نظرية التدافع

نحو نظرية لفهم وتفسير السلوك الإنسانى



أ.د / خالد النجار

أستاذ علم النفس كلية التربية للطفولة المبكرة

جامعة القاهرة

نظرية التدافع

نحو محاولة تنظيرية لفهم وتفسير السلوك الإنساني

أ.د/ خالد النجار

أستاذ علم النفس- جامعة القاهرة

٢٠١٨

اسم الكتاب: نظرية التدافع

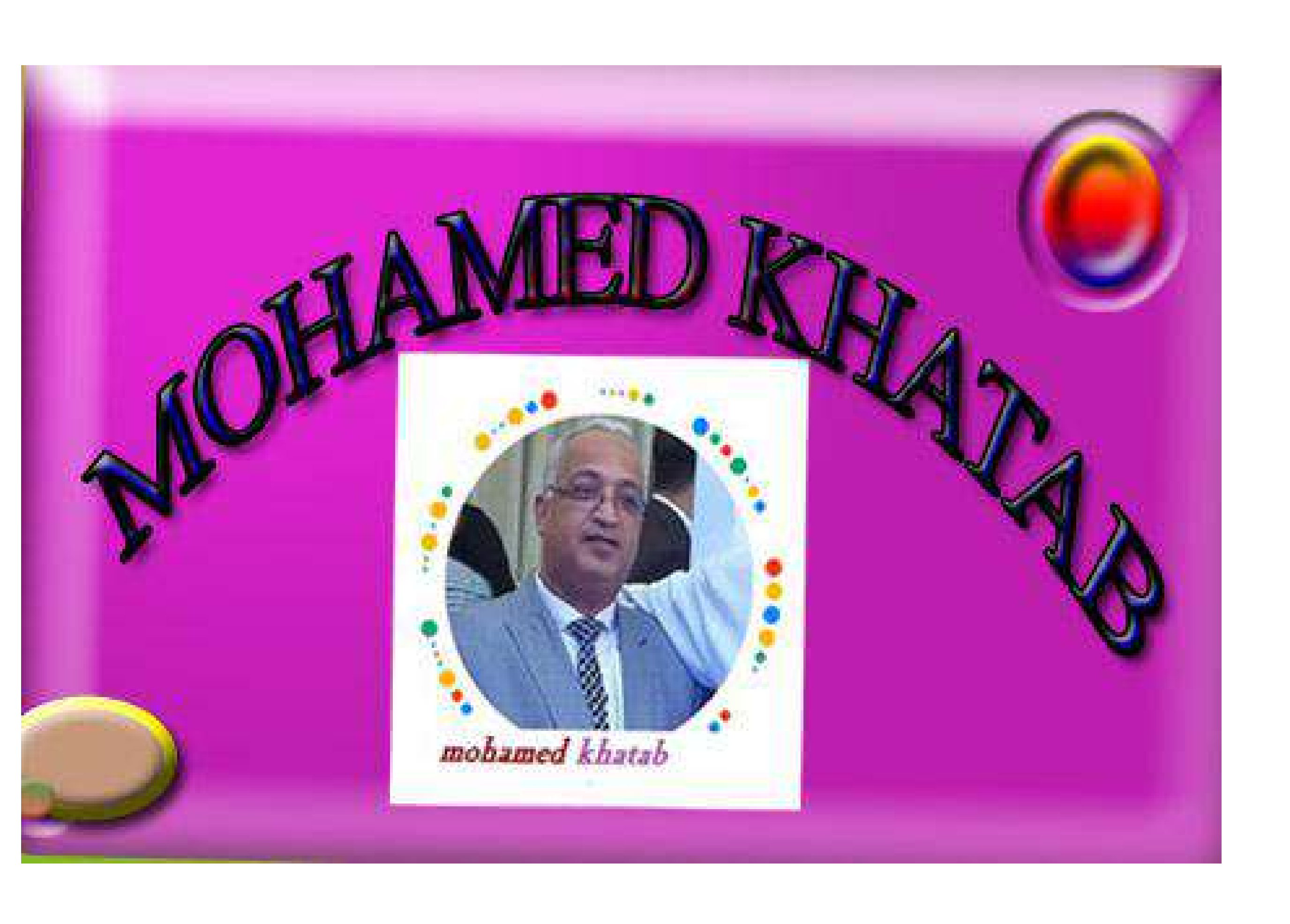
نحو نظرية لفهم وتفسير السلوك الإنساني

المؤلف: خالد النجار

الناشر: مؤسسة حورس الدولية

رقم الإيداع: ٢٠١٦٠ / ٢٠١٨

الترقيم الدولي: 978-977-368-988-9


MOHAMED KHATAB
mohamed khatab

الفصل الأول

علم النفس بين الاستقلالية والتبعية

علم النفس... بين الاستقلالية والتبعية

مقدمة جدلية:

كان العلم ولا يزال هو ذلك الفكر الرائع والإبداع الإنساني الذي يعبر عن ديالكتيك الوجود البشري في علاقته بالتاريخ، عامدًا إلى جملة نتاجاته صاعدة في بعض الأحيان محققة أسمى أشكال الوجود الإنساني في العالم، تواصلاً يتيح ديمومة الحوار وإنجازًا يدفع بحركة تطور العلم والعالم، وكشوفًا تعمل على معرفة الإنسان لنفسه وبنفسه. والتي قد تنحدر حينًا آخر إلى تلك الصور الحصرية التي يصرُّ عليها البعض بالنسبة للبحث العلمي أو تنحرف عن أهدافها هابطة إلى صور الدوجماطيقية (الجمود العقلي) التي لا تعمل على إقلاق العقل وتنشيط عادات المعرفة العلمية، بل والتي قد تعمل على تجريد وإلغاء للدراما الإنسانية، أي فضّ الخبرة من طابعها الإنساني، أو حديثًا باللجوء إلى ذلك الارتداء إلى جملة ما اخترعه الإنسان من أساليب بحثية تستهدف السيطرة والتحكم في الإنسان باعتباره عنصرًا من عناصر الطبيعة، مستخدمة في ذلك أشكال الضبط التجريبي الذي لا تتدخل فيه سوى ظواهر "مدبرة" تقوم المعامل والأدوات بإنتاجها بدلاً من تسجيلها.

فالعلم إذ يتناول الأشياء والموضوعات، فإنه كذلك يتخلى عن الإقامة فيها؛ ذلك لأن حركة تطور العلم لا تتوقف، فلا ثابت ولا مطلق، بحيث تكون الموضوعات العلمية المتناولة فى حقبة زمنية هي التي تعبر عن هذه الحركة الديالكتيكية (الجدلية) لروح التطور ومن ثم يكون التاريخ هو تأريخ لتلك العلاقة بين الإنسان وجملة ما حوله من ظواهر والتي تفرض نفسها وفقًا لمتغيرات كل حقبة زمنية.

فالوجود الإنساني هو وجود جدلي يمتزج فيه الفعلي بالممكن، والإنسان هو الكائن الحي الوحيد الذي يعيش عالمين؛ عالم الأشياء وعالم الأفكار، وأنه يتحرك حركة بندولية دائمة وعبر مراحل النمو النفسي يتطور النشاط العقلي البدائي ليصبح خيالاً مفكرًا يسعى الإنسان إلى تحقيقه وتنفيذه على أرض الواقع، ويلتحم النشاط العقلي الإبداعي بالنشاط العملي الإنتاجي، وتستمر الحركة البندولية صاعدة وهابطة معلنة عن واحدة من أخطر حقائق الوجود الإنساني وهو الوجود الراغب، والذي هو في الحقيقة انتقال من الوجود بالقوة إلى الوجود الرمزي إلى النشاط المتخيل. فالوجود الإنساني، هو وجود في حضرة الآخرين، معهم وبينهم وجود يمنح الرغبة الإنسانية معنى إنساني لا يمكن وجودها خارجه أو تصورها بمعزل عنه، فهي رغبة في آخر أو هي رغبة فى رغبة أخرى، تولد فى وجوده وتستهدفه بل وتتخلق ملامحها وقسماتها باعترافه وموافقته، ومعنى ذلك ببساطة أن رغبة الإنسان لا وجود لها بدون موضوعها الإنساني، أي بدون الآخر.

وهكذا تكون العلاقة بالآخر، التقاء به وأنسًا إليه ورغبة فيه وصراع معه، فالعلاقة بين الأنا والآخر، هي لبُّ الوجود في العالم، وهي موضوع البحث الأساسي فى العلوم الإنسانية – وعلم النفس بصفة خاصة – حيث إنها تلك العلاقة الدينامية الجدلية التي تهدف إلى تحقيق الاتزان الناتج عن إشباع الحاجات الحيوية والنفسية معًا.

وهذه هي معالم الميلاد الجديد لعالم الإنسان، بما هو كذلك، أنس ومؤانسة، وجود فى حضرة الآخرين، وكيف يأنس الإنسان لغيره وكيف يأنس غيره له، ذلك هو فعل التواصل.

لقد كان الإنسان دال على قدرة الله في خلقه "وهو الذي أمره بين الكاف والنون" أي هو فعل الكنية، أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأعظم تكريم، حيث لم

يخاطب المولى عَزَّ وَجَلَّ الإنسان في أي من الكتب السماوية إلا بكلمة يا أيها الإنسان.

وفى ذلك دحض لكل من حاول أن يُعرف الإنسان بأنه حيوان ناطق أو حيوان مفكر، فالإنسان إنسان ناطق، إنسان مفكر، ميّزه الله بالعقل والذي هو "فكر" والذي هو "لغة".

لذلك تعتبر اللغة – لغة الإنسان – فريدة لا مقابل لها لدى غيره من الكائنات، فهي رموز متنوعة فى مضمونها ومطلقة بغير ذات أو مجال وليست نسبية، فالإنسان صاحب التاريخ وصانعه بفعل اللغة الخاصة به والقاصرة عليه.

هذا هو الإنسان، عين ترى، أذن تسمع، فم ينطق، ويد تعمل، ويتحقق هذا كله فى ترابط وتكامل فى حدة جدلية متناغمة ومتكاملة، يقودها مايسترو مبدع هو العقل يعزف سيمفونية رائعة.. سيمفونية الفصل والوصل، القرب والبعد، الحب والكره، الأنا والآخر، الوحشة والأنس... هذه السيمفونية هي اللغة.

تعتبر سُنةُ التَّدافُع أحد السُننُ الكونية، فالله تعالى فطر الأشياء والنفوس والمجتمعات والمجالات على طبائع عدة وبث في الكون سننًا ونواميس تحكم كل ما فيه وتحدد اتجاهاته وعلاقاته وردود أفعاله، فالكون قائم على مبدأ الزوجية "**وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**" [الذاريات: ٤٩]، وهذه الزوجية دليل على وحدانية الخالق، فإنها أيضًا مصدر للمدافعة، لأن الزوجية تقوم على المغايرة والاختلاف، ولعلنا نجد هذا الاختلاف بين الرجل وزوجه رغم ما تجمعهم مصالح مشتركة، وحياة مفعمة بالحب والتقدير، فيتولد بينهم نوع من الصراع والتَّدافُع الذي ينتهي بنوع من التكامل والتعاون، ونطاق هذا التَّدافُع أكبر من مجرد إنسان مع آخر، أو قل تقلبات حياة الإنسان ذاته، لتصل هذه المدافعة إلى مجموعات أو شعوب، أو تحالفات، تبرز جوانب من التوافق والاختلاف، اختلاف

على صعيد العواطف والأمزجة والأهواء والرؤية والفهم والتقدير والمعرفة والخبرة والأهداف والغايات، واختلاف على صعيد المصالح والمنافع، وهذا التَّدافُع هو شيء ضروري لاستقامة الحياة والبعد عن الشطط، ومصدر لِدرْءِ الشر وتحجيمه إلى أدنى حد ممكن، بالإضافة إلى أنه عامل نماء وارتقاء.

وقصارى القول أنه لابد للتدافع اذن من أن يتسم بالخصائص الثلاث الآتية: "الكلية، والتحولات، والتنظيم الذاتي".

والمقصود بالسمة الأولى من هذه السمات – ألا وهى الكلية Totality – هو أن "التَّدافُع نسق". ولا ترتد قوانين تركيب هذا النسق إلى "ارتباطات تراكمية"، بل هي تضفي على "الكل" من حيث هو "العلاقات" القائمة بين العناصر، أعني عمليات التأليف "أو التكوين"، على اعتبار أن "الكل" ليس إلا الناتج المترتب على تلك "العلاقات" أو "التأليفات"، مع ملاحظة أن قانون هذه العلاقات ليس إلا قانون "النسق" نفسه، أو "المنظومة" نفسها.

وأما المقصود بالسمة الثانية – ألا وهي التحولات Transformations – فهو أن "المجاميع الكلية" تنطوي على ديناميكية ذاتية، تتألف من سلسلة من التغيرات الداخلية التي تحدث داخل "النسق" أو "المنظومة"، دون التوقف على أية عوامل خارجية. وليس الحديث عن ضرب من "التوازن الكوني" سوى تعبير عن هذه الحقيقة الهامة ألا وهى أن "التدافع" حالة من نفي السكون المطلق في كل أحواله وأشكاله؛ بل هى تقبل دائم من "التغيرات" ما يتفق مع الحاجات المحددة من قبل "علاقات" النسق و"تعارضاته" فكل شيء في طريقه لكى يصبح شيء آخر، فلا صمت ولا سكون في الرحلة ما بين الحياة والموت، ولا صمت ولا سكون في حالة الصراع التي تحكم حركة الكون وتفاعلاته. صحيح – فيما يقول بياجيه – أن الحلم الأكبر للكثير من "البنيويين" هو تثبيت "التدافعات" حالة لا

زمانية شبيهة بدعائم الأنظمة المنطقية – الرياضية، ولكن من المؤكد أن ثمَّة علاقة متينة بين مفهوم "التدافع" ومفهوم "التغير".

وأما المقصود بالسمة الثالثة – ألا وهي "التنظيم الذاتي" – فهو أن في وسع "البنيات التدافعية " تنظيم نفسها بنفسها، مما يحفظ لها وحدتها، ويكفل لها المحافظة على بقائها، ويحقق لها ضربا من "الانغلاق الذاتي". ومعنى هذا أن للتدافعات قوانينها الخاصة التي لا تجعل منها مجرد "مجموعات" ناتجة عن تراكمات عرضية، أو ناجمة عن تلاقي بعض العوامل الخارجية المستقلة عنها، بل هى "أنساق" مترابطة، تنظم ذاتها، سائرة في ذلك على نهج مرسوم وفقا لعمليات منتظمة، ألا وهي قوانين "الكل" الخاص بهذه "البنية" أو تلك. وعلى الرغم من أن كل "بنية من التدافع" مغلقة على ذاتها، إلا أن هذا "الانغلاق" لا يمنع "البنية" الواحدة من أن تندرج تحت "بنية" أخرى أوسع، على صورة "بنية سفلية" "أو تحتية". كأن نتحدث عن التَّدافُع السياسي أو التَّدافُع الاقتصادي أو التَّدافُع الاجتماعي أو النفسي أو الاعلامي وهكذا.. والمهم أن عملية "التنظيم الذاتي" لابد من أن تتجلى على شكل "إيقاعات"، و"تنظيمات"، و"عمليات"؛ وهذه كلها عبارة عن "آليات بنيوية"، تضمن للبنيات ضربا من الاستمرار للمحافظة على سنة الكون الدافعة نحو التقدم والتغير والنماء.

لا يخفى عن كل متأمل ومدقق في تاريخ تطور العلوم الإنسانية بصفة عامة وعلم النفس بشكل خاص في العالم العربي، أنها قد تمر بأزمة، وكغيرها من فروع المعرفة نرى أنها الآن وبعد التخلي النسبي عن الفلسفة قد أصبحت أسيرة لجملة البرامج والأدوات التي طغت على النظريات وصياغة المفاهيم وبات الإنسان يبحث في النماذج البنائية عن مهاراته وقدراته في التطبيق أكثر من البحث عن تحقيق أهداف العلم في الفهم والتفسير، وباتت لغة الارقام (الاحصاء)

عمليات تفسر نفسها أكثر ما تفسر الواقع المعاش، ويمكن إيجاز هذه الازمة في النقاط التالية:

١-ذهب (فراج، ٢٠٠٧) إلى أن الخاصية المركزية للدراسات السيكولوجية في العالم العربي خلال القرن العشرين تتمثل في التبعية للنموذج الغربي، حيث إن التركيز من الناحية الأكاديمية مازال متأثرًا بالجذور والاتجاهات والمدارس الأمريكية التقليدية من حيث الموضوعات ومناهج البحث وأدوات الدراسة، الأمر الذي يتعذر معه تحديد هوية أكاديمية مميزة للدراسات النفسية في العالم العربي.

٢-يؤكد (فؤاد عبد اللطيف أبو حطب، ١٩٩٧: ٢٤-٢٦) من أن علم النفس الحالي يعاني من الغربة عن الثقافة العربية والمجتمع المحلي في مشاكله وطبيعته ومناهجه وأدواته والقصور في تطبيقاته العملية وتطويرها لمواجهة المشاكل والاحتياجات، حيث إنه في جموده يفتقر إلى الهوية العربية.

٣-"خطابنا السيكولوجي لم يتجرد بعد من الدور الذي يلعبه كوكيل فرعي لمدارس واتجاهات سيكولوجية لا علاقة لها بخصائص الإنسان العربي ومقوماته الأساسية، اعتمادا على أحادية وجهة الاستيراد والتصدير، بل وصلت التبعية إلى درجة التقبل والتأكيد والتهليل حتى لبعض الأفكار التي مازالت موضع شك في بلدانها الأصلية، وغابت في الممارسات البحثية العلمية في البلدان العربية ثلاث ممارسات علمية هي: التنظير، التجريب الحقيقي، واستثمار المعرفية النظرية في تقويم الواقع".

(الخضر، ٢٠١٦)

٤-ذهب (مصطفى حجازي، ٢٠١٢) إلى أن علم النفس من بداية ظهوره عربيًا علم هامشي محصور في دوائر ضيقة، سواء في المدارس أو الجامعات أو العيادات أو في بعض التطبيقات، وأن علماء النفس العرب

لم يقوموا بأي جهد حقيقي لتوظيف علم النفس لخدمة قضايا الإنسان والمجتمع العربي، كل ما عملوه هو نقل نظريات جاهزة، وهذه النظريات وضعت أصلاً للمجتمعات الغربية الصناعية، ولم توضع لاحتياجات مجتمعاتنا بخصوصياتها الثقافية والاقتصادية وغيرها.

٥- حدد (فؤاد عبد اللطيف أبو حطب، ١٩٩٧) ثلاث سيناريوهات في حديثه عن مستقبل علم النفس في العالم العربي، مؤكدًا على وجود ثلاث احتمالات أساسية تمثل ثلاثة سيناريوهات رئيسية، وتتمثل في:

- السيناريو التشاؤمي: يعكس حالة التبعية والانقياد واستيراد النموذج واجترار التوجهات البحثية للغرب.
- النموذج التطوري التفاؤلي: حيث من المتوقع في ضوئه تزايد الجهود الإبداعية والتجديدية القليلة التي قام بها وأنجزها علماء النفس العرب.
- السيناريو التحولي أو الثوري: حيث من المتوقع في ضوئه حدوث تغيرات جوهرية في علم النفس كعلم وكمهنة في الوطن المصري، وهو يتطلب تحولات فائقة السرعة، في ضوء الموجة المعلوماتية الثالثة التي سيشهدها القرن الحادي والعشرون .

٦-إنه على الرغم من مرور عقود من الزمن على طرح هذا التصور، يلاحظ من مراجعة الكتابات النظرية والدراسات التي وصفت وضع علم النفس في العالم العربي، أن السيناريو الأول مازال يهيمن على قضايا البحث السيكولوجي مع وجود ملامح لبعض الجهود الفردية للاقتراب من النموذج الثاني، على الرغم من إمكانية التقاط ملامح هذا النموذج في كتابات وبحوث رواد علم النفس في العالم العربي من جيل الآباء المؤسسين وبعض الرواد وعلماء النفس ذوي الجدارة والاقتدار.

(نزار عيون السود، ٢٠٠٠)

٧- يُضاف إلى ذلك ما أشار إليه (أنور رياض بخيت، إبراهيم محمد، ٢٠٠٩) من وجود غموض وعدم دقة المصطلحات والمفاهيم العلمية نتيجة البعد عن دراسات التأسيس المفاهيمي وتحرير المصطلحات.

٨- ورأى (محمد عثمان نجاتي، محمود عبد الحليم السيد، ١٩٩٦) أن الوضع الحالي للدراسات النفسية يترجم مقولة "كنا ننادي بتثوير الفكر السيكولوجي العربي، والآن نطالب فقط بوقف عمليات تبويره وتجريفه"، ولا يمكن الوصول إلى مرحلة التثوير الإيجابي للدراسات النفسية في العالم العربي إلا بإعادة صياغة هوية أكاديمية مميزة لعلم النفس لا ينفصم بموجبها عن العطاء السيكولوجي العالمي بل يكمله بربط دراساته تنظيرًا وتطبيقًا بواقع العالم العربي وقضاياه النوعية الخاصة.

٩- أشار كايث لو(Keith Laws, 2016) إلى أن علم المعاصر يعاني من أزمة وجودية خانقة - هكذا بنصه - على مستوى منطلقاته النظرية وأطره المنهجية وتطبيقاته العملية على الرغم من كل مظاهر الإحكام العلمي والقاعدة المعرفية شديدة الثراء التي توصل إليها، فبدءًا من علوم الفراسة Phrenology إلى التحليل النفسي بصيغته التقليدية والمُحْدثة، إلى الطب النفسي التقليدي، إلى علم النفس المعاصر بفروعه شديدة التنوع والازدهار تبقى ملامح الأزمة الوجودية فاعلة في عملياته متجذرة في بنيته وقضاياه ومتماوجة في دوامات افتراضاته ومنطلقاته النظرية.

١٠- أكد مالت ايلسون وأندرو برزيبيلسكي Andrew Przybylski & Malte Elson (٢٠١٧) بأنّ الأزمة الحقيقية لعلم النفس منذ نشأته باستثناءات محدودة، تتمثل في التوجه نحو فقه المماثلة أي مماثلة الظاهرة السيكولوجية بالظاهرة الطبيعية ومحاولة اصطناع منهجيات بحث ذات طابع إجرائي تخضع بموجبه الظاهرة النفسية لثلاثية: الملاحظة + التجريب + القياس؛ وبالتالي رقمنة المتغير السيكولوجي الذي هو بأساسه

يتشكل من وجدانات ومشاعر وانفعالات ودافعية وتصورات ورؤى معرفية للذات في السياق مقترنة بآمال ورجاءات وتطلعات، بل وأوهام يصعب عزلها أو فك ارتباطاتها، أو حتى تفهم ديناميات تفاعلاتها بصورة دقيقة .

هذه مقدمة أَجِدُ نفسي مدفوعًا إليها، ذلك لأنني كنت أبحث عن سياق إنساني أتناول عبر أثيره أحد الموضوعات الهامة الجديرة بالبحث والتأمل، وقد تعمدت أن أطرق موضوعًا جديدًا يفتح آفاق رحبة من المعرفة والعلم، بل ويتيح أبواب جديدة للاجتهاد، وللحق فإن ما يحتويه هذا العمل هو ثمرة أكثر من ثلاثة أعوام من البحث الدؤوب في شتى فروع المعرفة الإنسانية، فعندما ذهبت لأبحث عن نص يتناسب مع هذا الدافع القوي من جانبي فى استيفاء جوانب الموضوع المطروح، تعثرت حينًا حتى أنني عندما يقع اختياري على نص كنت أذهب إلى غيره، فلم أجد نصًا قد أشتمل على كل جنبات هذا الموضوع، حتى انتهيت في نهاية الأمر إلى توثيق هذا الجهد، فتحرير النص مدخلاً طيبًا لتحرير الفكر، وأذكركم وأذكر نفسي وفى هذه التذكرة "عود إلى بدء" بأن الإنسان هو اسم جنس هو "البحث" على وزن "فعل".. فكان الإنسان ومنذ أمد بعيد باحثًا (فاعلاً) ومبحوثًا (مفعولاً) بل إن اللغويين يذهبون إلى أبعد من هذا بوصفهم أن حال الإنسان أنه كُتب عليه وقدّر له أن يكون ويظل دومًا "بحاث" (فعال).

وهنا تتجلى متعة البحث استنادًا إلى أن الإنسان فيه إذ يقوم بدور الباحث، فإنه لا يبحث إلا فى نفسه، أو بعبارة أدق يبحث عن نفسه في غيره، فيلعب دور المبحوث.

الفصل الثاني

التدافع ... التأصيل والمعنى اللغوي

التدافع.....التأصيل والمعنى

نقطة البداية:

عشنا عقودًا نشبه الظل، نسير خلف أناس جعلوا منا ظلاً لهم، لم يكن لنا الحق في التفكير أو التأمل أو اتخاذ قرار مهما بلغت درجة أهميته وخصوصيته، وكنا ونحن صغار نجبر على الذهاب إلى الكُتَّاب لكي نحفظ القرآن، ولأننا كنا نخشى العقاب والضرب فكنا نُضرب لكي نحفظ، وكان ثمن الخطأ فادح لايزال بعضه أشبه بالنقش الفرعوني على أجسامنا من شدة الضرب، ولم يسألنا أحد يومًا هل تفهم ما تحفظه؟ وحينما كبرنا كفوا عنا الضرب فنسينا كل ما كنا نحفظه، ويبدو أن قدسية النص تتجلى عند البعض في حفظه فقط وليس محاولة فهمه أو تعقله أو تدبره أو تفكره أو العمل به، نعم يبدو أن مرحلة التفكير بالنص تحتاج إلى درجة من النضج لا تتاح في مراحل العمر الباكرة، فكم من المرات قرأت في سورة البقرة الآية ٢٥١ قوله تعالى: ﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ صدق الله العظيم... نعم هنا كانت البداية لحالة من التأمل فى هذه الآية الكريمة والتى تبدأ بـ لولا دفع الله ... لفسدت الارض وكأن هذا الدفع مشروط بحماية الارض من الفساد وحفظها، أي أن هذا الدفع للناس هو الحامي للأرض من الفساد ومن ثم فإن التَّدافُع بين الناس يجسد أسمى معاني الإيجابية التي تسعي لحفظ الارض وحمايتها من الفساد والمفسدين، كذلك أن التَّدافُع ليس هو الصورة الذهنية لمشهد تدافع الحجيج أثناء أداء فريضة الحج، فتتزاحم الناس فيما بينها ويسقط من يسقط ويصاب من يصاب ويموت من يموت فيصبح التَّدافُع مشهدًا مأسويا في أذهان الناس، في حين صوره الله عَزَّ وَجَلَّ باعتباره سُنة كونية تحفظ وتصون الارض من الفساد.

وكانت رحلة البداية بالبحث عن المعني اللغوي للتدافع، وإعلان عن حالة من التأمل القصوى لمعاني هذه الكلمة في القرآن الكريم وكتب تفسيره والتي وردت

عشر مرات فقط لم يستخدم فيها المصدر دفع غير مرتين فقط والباقي مترادفات مشتقة من المصدر، وكذلك البحث في الانجيل(١) عن معناها.

اولاً: الدفع والتَّدافُع فى القرآن الكريم:

- ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١] (for the) repelling
- ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠] Allah checks
- ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أو ادْفَعُوا﴾ [آل عمران: ١٦٧] Defend
- ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦] You Deliver
- ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٦] You Deliver
- ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨] Then Deliver
- ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٦] Repel
- ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤] Repel

---

(١) وردت كلمة دفع وكل المترادفات المشتقة من المصدر ٢٩٩ مرة في الانجيل بأسفاره ال ٦٦ سواء في العهد القديم ٣٩ أو في العهد الجديد ٢٧.

- ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ، مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ [الطور: ٧–٨] Preventer
- ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ، لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ [المعارج: ١–٢] Any Preventer

تم كتابة المرادف باللغة الانجليزية وذلك من النسخة المعتمدة باللغة الانجليزية من المملكة العربية السعودية.

ثانيًا: لغويًا كما ورد فى معاجم اللغة:

إن لفظ التَّدافُع مشتق لغة من الفعل "دفع"، والذي يعني الإزالة بقوة، دفعه يدفعه دفعًا ودفاعًا ودافعه ودفعه فاندفع وتدفع وتدافع وتدافعوا بالشيء دفع كل واحد منهم عن صاحبه وتدافع القوم أي دفع بعضهم بعضًا.

ففي معجم المعاني نجد:

- دفَع الشَّيءَ: نحّاه وأبعده وردّه (دفع المركبَ: نحّاه وأبعده عن الشّاطئ– {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[قرآن]: ادفع السّيئةَ بالحسنة).
- دفَع العربةَ: ساقها وسيّرها.
- دفَع خَصمَه: نحّاه وصدّه وردعه بقوّة، أبعده ورماه بقوّة.
- دفَع الدَّينَ/دفع الثَّمنَ: أدّاه، سدّده (دفَع الحسابَ/الفاتورةَ/الضرائبَ/مبلغًا من المال) (*) ادفع واحمل: عبارة تدلّ على البيع المباشر دون خدمة– دفَع الثَّمنَ غاليًا: لاقى الصّعاب فيما حاول أو أعطى أكثر ممّا أخذ، نال عقابًا شديدًا على خطئه.
- دفَع الحجَّةَ: ردّها بالدّليل وأبطلها (دفع القولَ: ردّه وأبطله بالحجّة– دفع التهمةَ عن نفسه– {لِلْكَافِرينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ} قرآن)
- دفَع الشَّيءَ إلى صاحبه: ردّه إليه، أعطاه إيّاه {فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ} (قرآن).

- دفَع الشَّخصَ إلى كذا: اضطرَّه إليه (دفعه الحزنُ إلى ملازمة منزله- دفعه إلى ترك العمل)- دفَع به إلى التَّهلكة: أوقعه في الشَّرِّ دون حساب العواقب.
- دفَع عنه الأذى ونحوَه: ردّه عنه وحماه منه (دفَع عن ماله الخطرَ- {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ. مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ} قرآن)
- دفَع عن فلانٍ: سلّفه ما يؤدّي به دينه لآخر. اندفعَ/اندفعَ إلى/اندفعَ على/اندفعَ في يندفع، انْدِفاعًا، فهو مُندفِع، والمفعول مُندفَع إليه.
- اندفعَ الشَّخصُ: تسرّع، أقدم دون خوف من دينٍ أو تقاليد (يندفع الحمقى حيث يتريّث العقلاءُ).
- اندفعَ السَّيلُ: تدفّق، دفع بعضُه بعضًا.
- اندفع المبلغُ: مُطاوع دفَعَ/دفَعَ عن: أُعطِيَ وسُدِّدَ.
- اندفع إلى الشَّيءِ: تزاحم وتهافت، انطلق بسرعة وهجم (اندفع الركابُ إلى القطار- اندفع إلى العمل: أنكبّ عليه).
- اندفع على فلانٍ: انقضّ عليه.
- اندفع في الأمر: مضى فيه (اندفع في مشروعه غير مُبال بالمصاعب).
- اندفع في الحديث: أفاض فيه وتوسّع.
- اندفع الفرسُ في سيره: أسرَع (قطار مُندفع- اندفع الجيشُ في هجوم مباغت).
- تدافعَ يتدافع، تَدَافُعًا، فهو مُتَدَافِع، والمفعول مُتدافَع (للمتعدِّي).
- تدافع السَّيلُ: اندفع، دفعَ بعضُه بعضًا (تدافع الموجُ).
- تدافع القومُ الشَّيءَ: -دَفَعه كُلٌّ واحدٍ منهم عن صاحِبه (ضيفٌ يتدافعه الحيُّ).
- دفعه كلّ منهم إلى الآخر (تدافعوا الكُرة: تناقلوها).

- تدافع القومُ لدى الباب: تَزَاحَمُوا، دَفَع بعضُهم بعضًا (تدافع القومُ في الحرب– تدافعوا لإنقاذ الجرحى).
- دافعَ/دافعَ عن يُدافع، دِفاعًا ومُدافَعةً، فهو مُدافِع، والمفعول مُدافَع.
- دافع الرَّجُلَ: زاحَمه (لا يدافعه في فنِّه أحدٌ) (*) هو سيِّد قومِه غير مُدَافَعٍ: لا ينافسه أحد.
- دافع الرَّجُلَ بحقِّه/دافع الرَّجلَ عن حَقِّه/دافع الرَّجلَ في حَقِّه: ماطَلَه فيه فلم يَقْضه له (دافع فلانًا في حاجته).
- دافع عنه: حامَى عنه وانتصر له (دافع عن نفسه/حقوقه/وطنه– {إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا}[قرآن]: بإعلائهم بالحجَّة).
- [انْدِفاع] مفرد: –مصدر اندفعَ/اندفعَ إلى/اندفعَ على/اندفعَ في. - في علم النفس ميلٌ تلقائيٌّ إلى الفعل ويطلق بوجه خاصٍّ على ذلك الميل الشَّديد الذي تسيطر عليه الإرادة فتصدر عنه حركات اندفاعيّة (طبعٌ اندفاعِيّ).
- انْدِفاعَة [فرد]: –اسم مرَّة من اندفعَ/اندفعَ إلى/اندفعَ على/اندفعَ في. - في الفلسفة والتصوُّف قوة حيويّة أصيلة تنتقل في الكائنات الحيّة من جيل إلى آخر وهي مصدر الحياة في تطوُّرها وتشعُّبها.–في الطبيعة والفيزياء كمِّيَّة كبيرة من الكهرباء تندفع فجأةً.
- دافِع [مفرد]: جمعه دوافع (لغير العاقل): – اسم فاعل من دفَعَ/دفَعَ عن.– حافِزٌ وسببٌ، أمرٌ مُوجِبٌ (ما الدَّوافع وراء ارتكاب هذه الجريمة؟) (*) بدافع كذا: بسببه. - في علم النفس ما يحمل على الفعل من غرائز وميول فهو وجدانيّ، ولا شعوريّ في حين أنّ الباعث عقليّ وشعوريّ.
- دافعيَّة [مفرد]: مصدر صناعيّ من دافِع: رغبة.
- الدَّافعيَّة اللاَّشعوريَّة: في علم النفس الرَّغبة الجارفة التي لا يدري الفرد عنها شيئًا ولكنّها تؤثِّر فيه لكي يسلك سلوكًا معيَّنًا قد يكون ضدّ إرادته.

- دِفاع مفرد: – مصدر دافعَ/دافعَ عن - ردٌّ ومنع {وَلَوْلاَ دِفَعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ} قرآن).
- ما يستند إليه أي خصم في تأييد ما يدّعيه (قدَّم دفاعَه ضدّ خصمه).- في القانون ممثِّل المدَّعى عليه (الكلمة الآن للدِّفاع).
- في العلوم العسكرية ما يُتَّخذ في الحروب من أساليب لردّ هجوم العدوّ (دفاع مضادّ للطائرات).
- في القانون أساليب يتّبعها المحامون في دحض المزاعم والاتّهامات عن موكِّليهم.
- الدِّفاع: في الرياضة والتربية البدنية اللاّعبون المكلَّفون بإيقاف الخصم عن إحراز الأهداف.
- الدِّفاع السَّلبيّ: في العلوم العسكرية وسائل الحماية ضدّ الغارات الجوِّيَّة.
- الدِّفاع الوطنيّ: في العلوم العسكرية مجمل الوسائل التي يلجأ إليها بلدٌ ما لتأمين سلامة أراضيه.
- الدِّفاع الجوّيّ: في العلوم العسكرية مجموعة الأسلحة الجوِّيّة المعدّة للدِّفاع عن المجال الجوّيّ.
- الدِّفاع المدنيّ: في العلوم العسكرية النظم والخطط والأبنية المُصمَّمة لحماية المدنيِّين من الكوارث الطَّبيعيّة واعتداءات العدوّ.
- وزارة الدِّفاع: في العلوم العسكرية وزارة تتولّى الدِّفاع عن البلاد وإعلان الحرب على الأعداء.
- الدِّفاع الشَّرعيّ: في القانون حَقٌ يعطيه القانون للشَّخص بحيث يبيح له الالتجاء إلى قدر من القوّة لمنع خطر الاعتداء على نفسه وماله، أو على نفس الغير وماله.
- الدِّفاع عن النَّفْس: حالة مَن يُضطر إلى الإقدام على فعل لحماية نفسه.

- حقُّ الدِّفاع عن النَّفس: في القانون الحقّ في حماية النَّفس من العنف أو التهديد به بأيّة قوَّة أو وسيلة ضروريّة.
- دِفاعيَّة مفرد: اسم مؤنَّث منسوب إلى دِفاع.
- الوسيلة الدِّفاعيَّة: في الأحياء نشاط عضويّ يقوم به جسمُ الكائن الحيّ كإجراء دفاعيّ ضدّ الميكروبات وما يهدِّد حياته.
- الأنا الدِّفاعيَّة: في علم النفس الحفاظ التَّعويضيّ على تقدير الذَّات وذلك في الظُّروف التي تهدِّد الأنا.
- دَفْع [مفرد]: جمعه دُفوع (لغير المصدر): - مصدر دفَعَ/دفَعَ عن (*) الدَّفع مقدَّمًا: تحصيل الثَّمن قبل تسلُّم الشّيء المشتَرى.
- دَحْر، ردّ ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾[قرآن]: ووسيلة الدَّفع هي الشرائع والقوانين).
- في القانون أن يدّعي المدَعَى عليه أمرًا يريد به درء الحكم عليه في الدّعوى، ما يدفع به الخصمُ حجّةَ خصمه عند الحاكم الشّرعيّ.
- الدَّفع بعدم الاختصاص: في القانون الطَّعن في اختصاص المحكمة بنظر الدّعوى.
- الدَّفع الذَّاتيّ: في الطبيعة والفيزياء الحركة بقوّة داخليّة.
- دَفْع رباعيّ: في الهندسة نظام في تصميم قيادة المَرْكَبات يتمُّ فيه نقل القوَّة الميكانيكيَّة من عمود التدوير إلى العجلات الأربع.
- دَفْعَة مفرد: جمعه دَفَعات ودَفْعات: – اسم مرَّة من دفَعَ/دفَعَ عن. - جزءٌ من المبلغ الكامل (والشائع ضمّ الدال) (اشترى سيّارة وسدَّد قيمتها على دفعات أربع).
- دُفْعَة [مفرد]: جمعه دُفُعات ودُفْعات ودُفَع: ما انصبّ من إناء مرّة واحدة (الدُّفْعَة من المطر: ما يسيل في المرّة الواحدة).

- الدُّفُعَة من الطُّلاب وغيرهم: المجموعة المتخرّجة في سنة واحدة (فلان من دُفعتي- دُفعة من الضبَّاط).
- دُفْعَة على الحساب: في التجارة مبلغ من النقود يدفعه المُشتري إلى البائع دفعة أوَّليّة من الثمن الذي تمّت الموافقةُ عليه في شأن المبيع.
- دَفَّاع [مفرد]: جمعه دَفَّاعات (لغير صيغة المبالغة): - صيغة مبالغة من دفَعَ/دفَعَ عن.- جهاز يُستعمل في دفع وتحريك الأجسام.
- مِدْفَع [مفرد]: جمعه مَدافِعُ: - اسم آلة من دفَعَ/دفَعَ عن.
- في العلوم العسكرية آلة حربيّة حديديّة تُرْمَى بها القذائفُ ولها أنواع كثيرة (مِدْفَعٌ رَشَّاشٌ/مضادّ للطائرات)
- مِدْفَع الإمساك: قذيفة تُطلق في شهور رمضان لتنبيه الصائمين إلى حلول موعد الإمساك- مِدْفَعُ الإفطار: قذيفة تُطْلق في شهر رمضان لتنبيه الصائمين إلى حلول موعد الإفطار- مِدفع الماء: آلة محمولة تقذف الماء بضغط عالٍ تستخدم بشكل خاصّ للسَّيطرة على الجماهير.
- مِدْفعيَّة [مفرد]: مصدر صناعيّ من مِدْفَع: مجموعة من المدافع والعربات والعتاد الحربيّ موضوعة في منطقة واحدة (سلاح المِدْفعيّة- مِدْفعيّة ثقيلة/خفيفة).
- مَدْفوع مفرد: اسم مفعول من دفَعَ/دفَعَ عن
- مَدْفوعات عينيّة: ما يُعْطى لوفاء دَيْنٍ.
- ميزان المَدْفوعات: في التجارة وثيقة تبيِّن المبادلات الجارية من مدفوعات وموصولات مستلمة بين المقيمين في البلد والدّول الأجنبيّة خلال فترة زمنيّة محدَّدة.
- نسبة المدفوعات: في الاقتصاد النسبة بين أقساط التَّأمين المدفوعة لشركة تأمين والمبالغ التي تدفعها عن خسائر حاملي بوالص التأمين.

- مُنـدفِع مفـرد: اسـم فاعـل مـن اندفعَ/انـدفعَ إلى/انـدفعَ على/انـدفعَ فــي.
- متَّسِمٌ بعُنْفٍ فـي تصرُّفه، شـديد الغَضـب (شـباب/مِزاجٌ منـدفعٌ– فتـاة مندفِعةٌ).

جاء في مختار الصحاح:

- د ف ع: **دَفَعَ إليه** شيئا ودَفَعَهُ فانْدَفَعَ وبابهما قطع وانْدَفَعَ الفرس أي أسرع في سيره واندفعوا في الحديث والمُدَافَعةُ المماطلة ودَافَعَ عنه و**دَفَع** بمعنى تقول منه دَافَعَ الله عنك السوء دِفَاعًا واسْتَدْفَعَ الله الأسواء أي طلب منه أن يدفعها عنه وتَدَافَعَ القوم في الحرب أي **دفع** بعضهم بعضا والدُّفْعَةُ من المطر وغيره بالضم مثل الدفقة والدفعة بالفتح المرة الواحدة.

وفي المعجم الوسيط:

- دفَـعَ الشــيءَ: نَحَّـاهُ وأزالَـهُ بقُـوَّة .ويقـال: دَفَعْتُـهُ عنِّـي، ودفـع عنـه الأَذى والشَّرَّ .ودَفَعَ إليه الشيءَ: رَدَّهُ .ويقال: دفع القولَ: رَدَّهُ بالحجَّة ودَفَعَ فلانًا إلى كذا: اضطرَّه

وفي لسان العرب:

- الدَّفْع الإِزالة بقوّة. دَفَعَه يَدْفَعُه دَفْعًا ودَفاعًا ودافَعَه ودَفَّعَه فانْدَفَع وتَدَفَّع وتَدافَع، وتدافَعُوا الشيءَ: دَفَعَه كلّ واحد منهم عن صاحبه، وتدافَع القومُ أَي دفَع بعضُهم بعضًا.

ملاحظات واستنتاجات:

فـي ضـوء العرض السـابق لمعـاني التَّدافُع ومشـتقاتها كمـا وردت فـي بعـض المعاجم اللغوية نجد:

- أن كلمة دفع لم ترد في النص القرآني سوى مرتين فقط، الاول أتى بعمومية اللفظ والمعنى كشرط لحماية الارض وعدم فسادها، منذ أن خلق الله الارض وما عليها وحتى يوم الساعة، أما المعنى الثاني فجاء مشروط بأنه لولا دفع الله الناس لهدمت المعابد والكنائس والمساجد التي يذكر فيها اسم الله، وفي ذلك تصور مماثل لفساد أشد لحال الأرض والناس بعد أن هدمت الأديان.
- كشف البحث عن المعنى في اللغة العربية بأنه يقوم على وحدة التشابه في المصدر وانطلاقا إلى كم كبير من المترادفات التى تحقق معاني كثيرة ومتعددة، بينما المعنى في اللغة الانجليزية بقوم على الاختلاف في المعنى فنجد على سبيل المثال دفع تعنى Push – Pay – Defend – Repel – Prevent وكلها معاني لا يوجد بينها أي تشابه على الاطلاق وهو الأمر الذي يدفعنا إلى استنتاج مؤداه أن مفهوم التَّدافُع بما يتضمنه من ثراء في المعنى والمضمون لا يمكن أن نجد ما يقابله عند البحث عنه في اللغة الانجليزية حتى أن مفهوم التَّدافُع بكل ثراءه ومعانيه التي كشف عنها البحث في المعاجم اللغوية العربية لا يوجد ما يوازيه في المعني في اللغة الانجليزية ولا توجد كلمة انجليزية تعبر عن ثراء هذا المعنى الذي جاء في اللغة العربية، وهو الامر الذي يجعلنا نستنتج أن هذا المعني للتدافع لم يرد جملة ولا تفصيلا في التراث العلمي الاجنبي في مجال العلوم الإنسانية أو غيرها.

التَّدافُع سنة كونية:

تعتبر سنة التَّدافُع أحد السنن الكونية, فالله تعالى فطر الأشياء والنفوس والمجتمعات والمجالات على طبائع عدة وبث في الكون سننًا ونواميس تحكم كل ما فيه وتحدد اتجاهاته وعلاقاته وردود أفعاله, فالكون قائم على مبدأ الزوجية

"وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ"، وهذه الزوجية دليل على وحدانية الخالق، فإنها أيضًا مصدر للمدافعة لأن الزوجية تقوم على المغايرة والاختلاف، ولعلنا نجد هذا الاختلاف بين الرجل وزوجه رغم ما يجمعهم من مصالح مشتركة، وحياة مفعمة بالحب والتقدير، فيتولد بينهم نوع من الصراع والتَّدافُع الذي ينتهي بنوع من التكامل والتعاون، ونطاق هذا التَّدافُع أكبر من مجرد إنسان مع آخر، أو قل تقلبات حياة الإنسان ذاته، لتصل هذه المدافعة إلى مجموعات أو شعوب، أو تحالفات، تبرز جوانب من التوافق والاختلاف، اختلاف على صعيد العواطف والأمزجة والأهواء والرؤية والفهم والتقدير والمعرفة والخبرة والأهداف والغايات، واختلاف على صعيد المصالح والمنافع، وهذا التَّدافُع هو شيء ضروري لاستقامة الحياة والبعد عن الشطط، ومصدر لدرء الشر وتحجيمه إلى أدنى حد ممكن، بالإضافة إلى أنه عامل نماء وارتقاء.

وقد ورد هذا اللفظ القرآني في مواضع عدة من التنزيل الحكيم

ففي سورة البقرة قال تعالى: ﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾.[البقرة: ٢٥١]

وهنا تتكشف على مد البصر ساحة الحياة المترامية الأطراف، تموج بالناس في تدافع وتسابق وزحام إلى الغابات ومن ورائها جميعًا، وتقود الموكب المتزاحم المتصارع المتسابق إلى الخير والصلاح والنماء في نهاية المطاف.

لقد كانت الحياة تأسن وتتعفن لولا دفع الناس بعضهم ببعض ولولا أن في طبيعة الناس التي فطرهم الله عليها فتتزاحم وتتغالب وتتدافع فتنفض عنها الكسل والخمول، إن هم أطاعوا الله واستمسكوا بدينهم.

وجاء فى تفسير أبي السعود في كتابه "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" ولولا دفع الله الناس بعضهم؛ لفسدت الأرض؛ وبطلت منافعها؛

وتعطلت مصالحها؛ من الحرث؛ والنسل؛ وسائر ما يعمر الأرض؛ ويصلحها؛ ولكن الله ذو فضل؛ عظيم لا يقادر قدره؛ على العالمين ؛ كافة؛ وهذا إشارة إلى قياس استثنائي؛ مؤلف من وضع نقيض المقدم؛ منتج لنقيض التالي؛ خلا أنه قد وضع ما يستتبعه؛ ويستوجبه؛ أعني كونه (تعالى) ذا فضل على العالمين؛ إيذانا بأنه (تعالى) متفضل في ذلك الدفع؛ من غير أن يجب عليه ذلك؛ وأن فضله (تعالى) غير منحصر فيه؛ بل هو فرد من أفراد فضله العظيم؛ كأنه قيل: ولكنه (تعالى) يدفع فساد بعضهم ببعض؛ فلا تفسد الأرض؛ وتنتظم به مصالح العالم؛ وتنصلح أحوال الأمم.

وقد **فسر الامام محمد أبو زهرة فى كتابه زهرة التفاسير** هذه الآية ووقف عندها طويلاً وأشار إلى أن الله عز وجل بيَّن في عبارة جلية، وإشارة واضحة أن تلك المدافعة هي في طبيعة البشر بمقتضى خلقتهم وفطرتهم، إذ قال سبحانه: ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض، فهو سبحانه قد حكم بأن دفعه للناس أجمعين، ثم أردف القول بالبدل بقوله: بعضهم ببعض وفي ذلك إشارة إلى أن تلك المدافعة بين الناس مستمرة، وأنها ليست في جيل دون جيل، ولا زمان دون زمان، ولا يتعين أن يكون قوم بأعيانهم للشر، وآخرون للخير، فقد يكون بعض الناس فيه خير في بعض نواحيه، فيدفع شر غيره في هذه الناحية، ويكون في الآخر ما يدفع به شرا في بعض نواحي الأول، وقد يكون بعض الأقوام في جانب الحق ينصرونه لغايات في نفوسهم، وإن لم يكونوا فضلاء في عامة أحوالهم، فالشر يدفع بالبر، وينصر الحق بالأخيار والأشرار، ولذا لم يقل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ولولا دفع الله الأشرار بالأخيار، بل قال سبحانه: بعضهم ببعض ليعم تلك الأحوال، وذلك من فضل الله على عباده؛ ولذا ختم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الآية بقوله تعالت كلماته: ولكن الله ذو فضل على العالمين.

إن الاجتماع البشري لا بد أن ينشأ عنه اختلاف في الأهواء والرغبات، وتعارض في المصالح، والنفوس البشرية فيها حب الأثرة، وحب الرياسة، وحب العلو في الأرض، ومن سنن الله في كونه أن يوجد فيه الشيء وضده، فيوجد الغني والفقير، والصحيح والمريض, والضعيف والقوي, والعالم والجاهل, وغير ذلك من الأضداد التي تقتضيها سُنة التَّدافُع البشري، ولا بد أن تنتج هذه المتضادات اختلافا في الآراء والمقاصد والغايات، وتتعدد وجهات النظر وتتصارع الأفكار، كل فريق يبحث عن مصلحته قبل الفريق الآخر، وهذا أمر واقع ومشاهد في جميع المجتمعات، وقد أشار الله تعالى إلى هذا التَّدافُع باعتباره سُنة من سُنُنه سبحانه في الاجتماع البشري (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) [هود: ١١٨]

وهذا التعبير القرآني يبين حقيقة علو القرآن على التفاسير التي خطها البشر، فهو لم يحصر هذا في القتال أو النزاع والخصام، ولكن عبر بالتَّدافُع ليشمل كل أنواع التعاون والاختلاف؛ بل والصراع والصدام للوصول بكل وسيلة إلى الاستقرار وتحقيق مراد الله من خلقه: عبادة، وعمارة وتزكية.

فالتَّدافُع سنة إلهية تبين أن الإنسان قد خلقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اجتماعيًا يحتاج إلى الآخرين، وهم يحتاجون إليه، فلم يخلقه منعزلا قادرا على البقاء وحده حتى يحقق مراد الله من خلقه، بل إنه لابد أن يعمل في فريق ليصل إلى هدفه، وعمله في الفريق، وحراكه الاجتماعي ونشاطه الذاتي يحتاج إلى إدراك سُنة التدافع، وإدراك هذه السُنة يتولد منها قوانين كثيرة لضبط هذا النشاط والحراك، وعليه فإن عمليةً فكريةً لابد أن تسبق النشاط، وهو ما قد يكون الإنسان العصري قد افتقده حيث سبق النشاط الفكر، وكان ينبغي أن يسبق الفكر النشاط ويسبق حديث القلب أيضا الفكر.

وتكون سُنة التَّدافُع بمدافعة أهل الخير وجند الله، لأهل الشر والإفساد في الأرض؛ وذلك لتحقيق الصلاح والاستقرار على الأرض، فقد أوضح ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن من آثار هذه السنة الإلهية منع الفساد في الأرض (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ)، وأوضح سبحانه أن هذا التَّدافُع الذي جعله الله تعالى بين جنده القائمين بالصلاح والإصلاح وإعمار الأرض، وبين أعدائه الفاسدين المفسدين القائمين بتخريب الأرض من أعظم نعم الله على البشرية، إذ لو تُرك الفاسد يشيع الفساد في الأرض ويستضعف الصالحين، وهم لا قوة لهم لتهدمت كل القيم وكل الأشياء الجميلة في هذا الكون، حتى أماكن عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما أخبر الحق تعالى بذلك فقال: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

وسُنة التَّدافُع ليست أمرًا شرعيًا بقدر ما هي حالة تحدث لتطهير الأرض ونقاءها، فإن الله لا يبقي الخبيث يقود ويسود حياة الناس أبدًا، حتى وإن مكَّنه من ذلك قليلاً، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

فإن حق قيادة الناس يكون دائمًا للأصلح الذي يحقق الخير والنماء والرخاء لهم، بما يحقق حضارة الإنسان، التي تعلو فيها القيم الأخلاقية على الشهوات، ولذا كتب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذلك في الرسالات السابقة قبل القرآن، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥: ١٠٧].

أما الموضع الثاني فكان في سورة الحج، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨]، ويعني ذلك أن الله يدافع عن عباده المؤمنين ويصرف عنهم شر الأشرار وكيد الفجار، إن هم أطاعوا الله واستمسكوا بدينهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، وفسرها ابن كثير: أي لولا أنه يدفع بقوم عن قوم ويكف شرورهم أناس عن غيرهم بما يخلقه ويقدره من الأسباب لفسدت الأرض ولأهلك القوي الضعيف، لهدمت صوامع الرهبان وبيع النصارى وصلوات اليهود وهي كنائسهم ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله، كل هذه الأماكن التي يعبد فيها الله معرضة للهدم رغم قدسيتها. لا يشفع لها في نظر الباطل أن اسم الله يذكر فيها ولا يحميها إلا دفع الله الناس بعضهم ببعض.. أي دفع حماة العقيدة لأعدائها الذين ينتهكون حرماتها ويعتدون على أهلها.. فالباطل قبيح لا يكف ولا يقف عن العدوان إلا أن يدفع بمثل القوة التي يصول بها ويجول ولا يكفي الحق انه الحق ليوقف عدوان الباطل بل لابد من قوة تحميه وتدفع عنه وهي قاعدة كلية لا تتبدل مادام الإنسان هو الإنسان.

فحينما يفيد لفظ التَّدافُع معنى التعايش في قوله تعالى: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

ومعنى الرد بالحجة في قوه تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٦]

كما يرى "محمد حسن جبل" أن المعني المحوري لكلمة دفع هو الصد والرد فقوله تعالى (ادفع بالتي هي أحسن السيئة) فإن فيه معني الصد والرد

وفي القرآن معان متعددة ومتجددة:

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون: ٩٦]

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٤٣]. معني جديد من معاني التعارف والتعايش مع الآخر.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أو ادْفَعُوا﴾ [آل عمران: ١٦٧]

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨]

كما أن الدفع إزاحة للضرر والسوء ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ، مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ [الطور: ٧-٨]

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ، لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ [المعارج: ١-٢]

وقد ورد اللفظ فى الحديث الشريف في أكثر من موضع:

حدثني أبو حميد الحمصي أحمد بن المغيرة قال: حدثنا يحيى بن سعيد قال: حدثنا حفص بن سليمان، عن محمد بن سوقة، عن وبرة بن عبد الرحمن، عن ابن عمر قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: "إن الله ليدفع بالمؤمن الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء" ثم قرأ ابن عمر: "(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض).

حدثنا يحيى بن سعيد قال: حدثنا عثمان بن عبد الرحمن، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: إن

الله ليصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله، ولا يزالون في حفظ الله ما دام فيهم.

وقد عرف جمال عبد العزيز أحمد التدافع: "التَّدافُع عمل يعني التزاحم والحركة والتموج لكنه لا يعني معنى التناحر والتكالب والإفناء".

وقد اختزل اختز سامي الدلال (٢٠٠٤) أبعاد التَّدافُع في البعد العقائدي، ويعود ذلك إلى أهمية الدين في تحريك وتفعيل العلاقات بين الأفراد والجماعات والدول حتى تدافع أصحاب العقائد فيما بينهم، وتصاعد على إثبات ذواتهم وتحصل مصالحهم، إنه تدافع وسعي عام يشمل الأفراد والجماعات والقبائل والأحزاب والشركات والمؤسسات والدول والشعوب والتحالفات والتكتلات، فهو تدافع يشمل البشرية كلها، وهو أحد السنن الإلهية الهادفة إلى الحفاظ على صلاح الأرض وحمايتها من الفساد.

معاد أبو الفتوح (٢٠١١) "التَّدافُع هو طريق الخالق في توجيه التفاعل بين القوى المتعددة بحيث يؤثر كل منها في الآخر ويتأثر به، إيجابًا وسلبًا، وذلك بصورة مستمرة ومتتالية تسهم في تحقيق التوازن بينها أولاً وتنتهي بظهور بعضها على البعض الآخر".

ويستطرد قائلاً: "فبتدافع القوى تتحقق المعادلة بين قوى الخير فيما بينها وقوى الشر فيما بينها أيضًا، وتأخذ كل قوى محلها ومكانها، إيجابًا في تحقيق التوازن في العلاقة بين المتضادات نحو التصادم والتصارع فتنقضي بعض هذه القوى في عملية التَّدافُع وتبرز قوى أخرى فتكون لها الريادة والسبق والظهور، وهكذا دواليك ليستمر التوازن قائمًا في فاعلية سنة التَّدافُع بين الناس في الحياة.

تدافع الحضارات النموذج الإسلامي:

والتَّدافُع أيضا يحتمل معني الدفاع، وبالتالي يمكن أن تدافع حضارة عن حضارة أخرى إزاء حضارة ثالثة باغية ومتسلطة، أو ما يمكن أن نسميه بالردع بين الحضارات والأمم.. ثم إن الحضارة التي تقوم على الحق وعلى الإيمان هي حضارة رسالية يمكنها أن تقوم بالدفاع عن الأمم المستضعفة، أو أن تكون حكما وشاهدا بين الحضارات أو الأمم الأخرى المتصارعة لخير البشر أجمعين.

التَّدافُع مصطلح أشمل:

في الوقت الذي لا يحتمل فيه الصراع إلا معنى واحدا وهو القضاء على الآخر وفنائه، فإن التَّدافُع يحتمل عدة معان وهو وسيلة للحيوية والحركة والنمو وانطلاق الطاقات وله صوره ودرجاته المتعددة بداية من الحوار ومرورا بالجدل والمناظرة والمنافسة والسباق والمواجهة والمغالبة وانتهاء بالصراع أو القتال.. وكما نرى فإن صور التَّدافُع مشروعة كما أنها في نفس الوقت محكومة بضوابط من شرع الله.. وحتى الصراع أو القتال فقد كُتب على المسلم وهو كره له ولكنه محكوم أيضا بضوابط.

إن الصراع أو القتال لا يكون إلا بعد استنفاد صور التَّدافُع المختلفة السابق الإشارة إليها.. وبالتالي فإن الصراع لا يكون إلا بين الخير والشر، العدل والظلم، الحب والحقد، العفو والثأر، أو بعبارة أشمل الصراع يكون بين المعروف والمنكر ولا يتوقف إلا بتوقف الحياة تلك سنة الله في الأرض... ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧] إنه تدافع مهم لمنع فساد الأرض.. ومن خلال هذا التَّدافُع والاختلاف يتمحص الحق ويبقي ما ينفع الناس.

التَّدافُع إضافة إلى المعاني السابقة يحتمل معان جديدة. التَّدافُع يعني الدفع بأن يفسح أحدهم مكانا للآخر، وهذا يعني التعايش والتنافس وقبول الآخر.. والدفاع كما أشرنا.. كما أنه من المدافعة أي المماطلة.. كلها معان مليئة بالحركة والحيوية في صورها المختلفة.

فالإسلام ليس ضد حضارة الآخر.. وفي قضية التَّدافُع الحضاري يمكن أن نتفاعل ونتعايش مع حضارة الآخر نؤثر فيها ونتأثر بها ونتواصل معها.

التَّدافُع هو صدام الحضارات المتماثلة أو المتعارضة وصراعها حتى تدول الدول وتتغير، وهذا هو النوع الأول من التدافع.. والتَّدافُع السلمي (ادفع بالتي هي أحسن) أي المدافعة بالكلمة الطيبة.

أما التداول فهو مصطلح قرآني أيضًا ورد في قوله تعالى ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين﴾.

وفكرة المداولة هنا تعني التغيير والتبدل في الأحوال والنظم والسياسات، أي فعل دينامي يستهدف تمحيص الجماعات البشرية وإثارة الصراع بينها.

الفصل الثالث

التدافع ... محددات ودلائل

التدافع... محددات ودلائل

مقدمة:

التدافع... وثبة تأملية في بُعد المعنى والتأصيل للبحث والتفكير نحو تحقيق واحد من أهم أهداف العلم، وهو الفهم والتفسير لتلك الصيرورة الدينامية المتحركة والمتجددة والتي يجسدها المعني الضمني والمباشر لكلمة التدافع، فتقاس بوحدة الزمن لكي نفهم أن تعاقب الليل والنهار هو تجسيد حيّ لأحد معاني التدافع، فالليل يدفع النهار بكل أحداثه، وكذلك النهار يدفع الليل بكل تفاصيله ومحتواه لكي تطوى الاحداث ويبدأ يوم جديد بأحداث جديدة وآمال جديدة وسعي جديد نحو تحقيق أهداف ربما لم يكن لها وجود بالأمس وأصبح لها وجود اليوم، وتتوالى الأيام متعاقبة ومتدافعة لكي نقف أمام دورة زمنية جديدة متمثلة في الأسابيع والشهور والسنين والعقود والقرون، تصنع مظاهر الحياة وتصنع الأحداث وتصنع الحضارة وتصنع التاريخ كله بدءًا من الفرد وحتى الدول والحضارات بكلها.

ويدفعنا عمق المعنى المتضمن في مفهوم التَّدافُع إلى طرح معنى آخر وهو تدافع الأجيال، لكل جيل (باعتباره وحدة زمنية) له أهداف وإنجازات وتعثرات وعوامل خاصة به قاصرة عليه، تدفع الجيل السابق ويكون تمهيدًا لجيل قادم، يقوم بدوره بجملة التدافعات لأجيال متعاقبة، مدفوعة لتحقيق إرادة الله في خلقه سعيًّا نحو إقامة الحياة وتحقيق النماء والرخاء وحفاظ على بقاء هذه الارض وحمايتها من الفساد والضرر والأذى.

فمنذ أن خلق الله الأرض زمن عليها، يروي التاريخ ذلك الصراع الدائم والتَّدافُع الذي لا يتوقف بين الخير والشر، وبين الحق والباطل، وبين العدل والظلم، وبين العلم والجهل، وبين القوي والضعيف، وبين الغني والفقير، والتاريخ زاخر باستشهادات لا حصر لها من الوقائع الدالة على كل هذه الاشكال من

التدافعات والتي تنتهي إلى انتصار الخير والحق والعدل تحقيقًا لسنة الله في الأرض وحفاظا لها مما عليها.

فالتَّدافُع هو الصيرورة التي توجه التفاعل بين القوى المتعددة، بحيث يؤثر كل منهما في الآخر، ويتأثر به سلبًا أو إيجابًا، وذلك بصورة مستمرة ومتتابعة تسهم في تحقيق التوازن بينها وتنتهي بظهور بعضها واختفاء البعض الآخر، فالتَّدافُع يحقق التعادل بين قوى الخير فيما بينها، وكذلك بين قوى الشر فيما بينها، وتأخذ كل قوى محلها ومكانها تحقيقًا للتوازن في العلاقة بين المتضادات نحو التصادم والتصارع؛ حيث تتقضي بعض هذه القوى في عملية التَّدافُع وتبرز قوى أخرى فتكون لها السبق والريادة والظهور والسيطرة انتظارًا لقوي أخرى تحل محلها وتلعب دورها وهكذا دواليك ليستمر التوازن قائما في فاعلية قدرة وسنة التَّدافُع بين الناس لكي تستمر الحياة.

محددات التدافع:

التَّدافُع الكوني:

- خلق الله الكون مدفوعًا في اتجاه واحد، فحركة الاجرام والكواكب لابد أن تسير بالضرورة في اتجاه واحد، فالكوكب في حركته دافع لغيره ومدفوع بغيره في توازن بديع لا يزيد ولا يقل وضمن منظومة كونية شديد الدقة والاتقان تؤدي بدورها إلى تدافع الليل والنهار وتدافع الايام وتحقيقًا دوره الزمن.
- وفي علاقة الارض بالشمس يحدث تدافع جديد فدورة الارض حول نفسها أمام الشمس يتيح تعاقب فصول السنة وهو ما يؤثر بدوره في دورة الحياة على الارض من ارتفاع وانخفاض لدرجات الحرارة وهطول الأمطار وإعمار الارض وزراعتها وتحقيق التوازن في بقاع الارض

بـين الأرزاق والمـوارد الطبيعيـة مـن أنهـار وبحـار وجبـال وسـهول ومرتفعات ومنخفضات.

التَّدافُع ودورة الجهاز الهضمي:

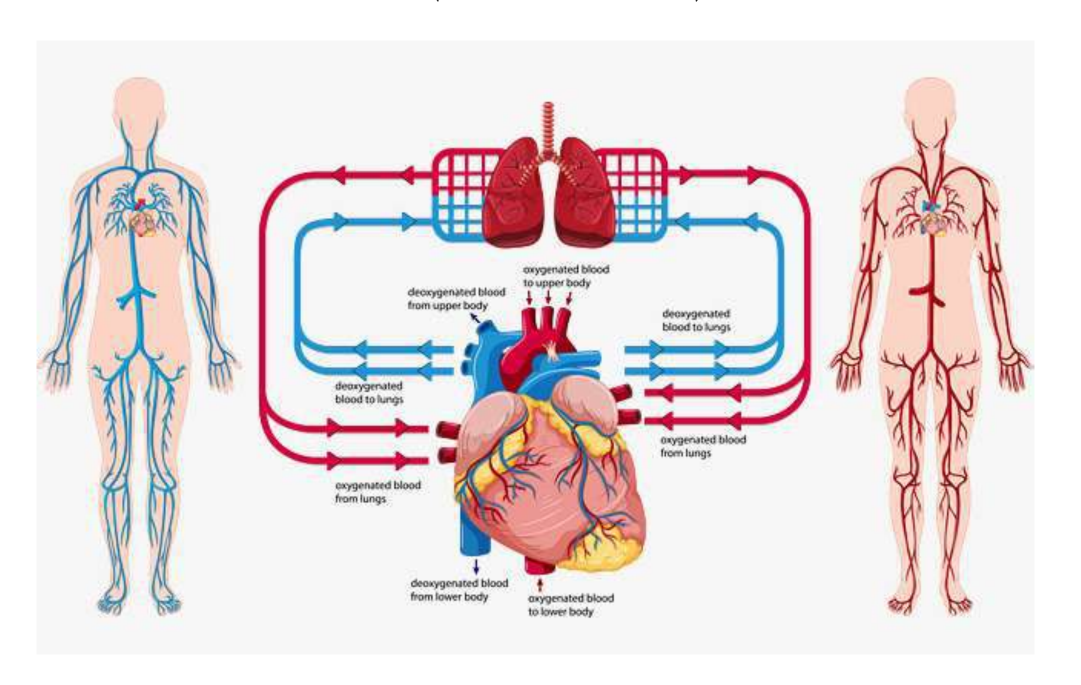
لعل من أهم محددات التَّدافُع هو أن يكون التَّدافُع في اتجاه واحد، ومن أكثر العمليات التى تقوم على التَّدافُع هي عملية الهضم، وهي من العمليّات الرئيسيّة في جسم الإنسان والحيوان التي تجسد مفهوم التدافع، وهي عبارة عن عمليّة تحويل جزيئات الطعام الكبيرة والمعقّدة، إلى جزيئات صغيرة وبسيطة، قابلة للامتصاص والنفاذ عبر أغشية الأمعاء، من أجل استخدامها في بناء أنسجة الجسم وإصلاحها، وكذلك تحويلها إلى طاقة، للقيام بالعمليات الحيويّة والجسديّة المختلفة، ويعتبر الجهاز الهضميّ، الجهاز المسؤول عن عملية الهضم، وهو عبارة عن قناة طويلة ومتعرّجة، تبدأ بالفم وتنتهي بفتحة الشرج. مراحل الهضم المرحلة الميكانيكية تتم العمليات في هذه المرحلة في الفم بواسطة الأسنان، واللسان، والغدد اللعابية، حيث يتمّ تقطيع الطعام، لتسهيل عملية هضمه، كما يتم جزء من هذه المرحلة في المعدة، وفي الأمعاء عند انقباض عضلاتها. المرحلة الكيميائية تحدث العمليات في هذه المرحلة أثناء مرور الطعام في القناة الهضمية كاملةً، حيث يتمّ خلالها تحويل السكريات المعقدة إلى سكر بسيط مثل الجلوكوز، وتحويل الشحوم المعقّدة إلى أحماض شحمية وكوليسترول، وتحويل البروتينات إلى أحماض أمينية.

وتخضع عملية الهضم لمفهوم التَّدافُع؛ فكلما زادت كمية الطعام الذي يتم تناوله كلما زادت شدة التَّدافُع للطعام داخل المعدة والذي يسير في اتجاه واحد وتحتاج عملية الهضم الطبيعية إلى دورة زمنية تصل إلى ٨ ساعات كاملة تقل كلما زاد تدافع الطعام وتزيد كلما قلت معدلات تدافع الطعام داخل المعدة، ويبقى

اضطراب التَّدافُع متمثل في حدوث حالة مرضية مثل المغص أو الاسهال أو الامساك.

التَّدافُع والدورة الدموية في الجسم:

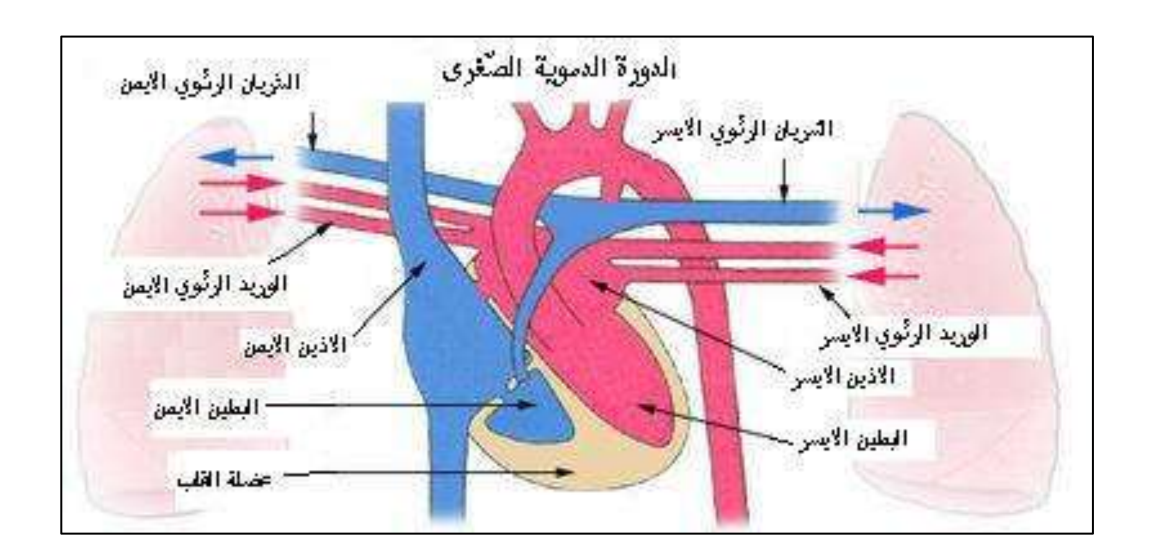
يتكون قلب الإنسان من مضختين تقودان الدم في نظام الدورة الدموية واحد منهم هو القلب الأيسر(الجانب الأيسر للقلب)، الذي يتلقى الدم المؤكسد من النظام الرئوي (الرئتين) والمضخات الدورية إلى الأجهزة الطرفية عبر الشريان الأورطي وفروعه، والنظام الشرياني الآخر هو القلب الأيمن (الجانب الأيمن للقلب)، والذي يتلقى الدم الوريدي من الأجهزة الطرفية عن طريق نظام الوريد، وضخها من خلال الرئتين (الدورة الدموية الرئوية) نحو القلب الأيسر



من ذلك يتبين أن القلب يتكون في واقع الأمر من قلبين موضوعين جنبًا إلى جنب ولكنهما يعملان على التوالي إذ يستقبل "القلب الأيمن" الدم العائد من الجسم بعد استهلاك الأكسجين منه **لدفعه** عبر الرئتين ليعاد تشبعه بالأكسجين،

بينما يستقبل "القلب الأيسر" الدم القادم من الرئتين مشبعًا بالأكسجين لتوزيعه على الأنسجة المختلفة للجسم.

عندما ينقبض البطين الأيسر يرتفع الضغط بداخله مما يؤدي إلى إغلاق الصمام الميترالى. بعد ذلك يأخذ الضغط في الارتفاع حتى ينفتح صمام الشريان الأورطي ويبدأ **دفع** الدم عبر الأورطي وشبكة الشرايين إلى الشعيرات الدموية لتوزيع الأكسجين والغذاء على أنسجة الجسم المختلفة. هذه الدورة تسمى الدورة الدموية الجهازية (الكبرى)



التَّدافُع الاقتصادي

البورصة: أكبر ساحات التَّدافُع الاقتصادي (هي سوق منظمة تقام في أماكن معينة وفي أوقات محددة يغلب أن تكون يومية بين المتعاملين بيعًا وشراء وبمختلف الأوراق المالية وبالمثليات التي تتعين مقاديرها بالكيل والوزن والعدد وذلك بموجب قوانين ونظم تحدد قواعدها المعاملات والشروط الواجب توافرها في المتعاملين والسلعة).

فالبورصة أداة فعالة في توجيه الاقتصاد وتحريكه وتنشيطه على أساس أنها تؤثر بمختلف جوانب الاقتصاد الوطني إي أنها تتأثر أيضا بهذا الاقتصاد، كما أنها مكان التقاء الفاعلين المستثمرين وإطار تنظيم وامن إتمام المعاملات بالشراء والبيع، فضلا عن أن البورصة تجذب فائض رأس المال والذي يستفاد منه في الاقتصاد الوطني وتحوله من مال مكدس لا دور له إلى رأس مال مشتمل له نتائجه على مالكه وعلى الاقتصاد بشكل عام ذلك أن الأسهم والسندات المطروحة للاكتتاب تجعل كل من الأفراد والشركات يستثمرون أموالهم المكدسة والمدخرة في الاستثمار رغبة منهم في تحقيق الأرباح.

كذلك نجد أن البورصة توفير الأموال الضرورية لإنجاز الاستثمارات ومشاريع المؤسسات بطريقة مستمرة وتساهم بشكل واضح في الدفع من مستوى الشركات العمومية والخاصة ذات الأسهم بتمكينها من جهة بإنجاز مختلف نشاطاتها الاستثمارية ومن جهة أخرى تجعل هذه الشركات تعمل إلى تحسين والرفع من فعاليتها خوفا من أن تهبط أسعار أسهمها أو سنداتها وتحفيزها إلى المنافسة المشروعة للجميع.

وهي كذلك أداة لإشباع رغبات المستثمرين الصغار الذين لا يملكون ما يستلزمه الاستثمارات الكبرى فيلجئون إلى الاكتتاب بعدد أو بقدر يناسبهم في السداد والأسهم المطروحة راغبين في تحقيق الربح المناسب والمحفز.

يضاف إلى كل ذلك أن القوانين المنظمة للعمل في البورصة تؤمن جو من المنافسة الضرورية لتامين حرية المبادلات والتي تكرس حرية الاقتصاد "مبدأ اقتصاد السوق".

وتكفي الاشارة إلى أن معدلات التنمية التي يحققها أي مجتمع هي التجسيد لقدرة هذا المجتمع على التَّدافُع الإيجابي وتحقيق مفهوم التنمية والعمل نحو تحقيق الأهداف الاقتصادية وتحقيق النماء والرخاء لهذا المجتمع.

(بوضياف، ٢٠٠٧: ٤٤-٤٥)

التَّدافُع السياسي

الصراع العربي- الإسرائيلي، تاريخ زاخر بأشد أنواع الصراع والحرب والاقتتال، صراع يروي ويجسد أشد تجليات حالة اضطراب التَّدافُع بين الدول، فالصراع المصري الاسرائيلي منذ حرب العدوان الثلاثي ١٩٥٦، ثم حرب جديدة ١٩٦٧ انتهت باحتلال سيناء بالكامل، ثم حرب الاستنزاف والتى دامت ٦ سنوات حتى استطاعت مصر في حرب اكتوبر ١٩٧٣ من تحقيق النصر واستعادة سيناء، ثم بدأت الدولتان في تغيير لغة الحوار بالسلاح والانتقال إلى ساحة التفاوض والحوار السلمي والذي أعاد صياغة شكل العلاقة بين البلدين من حالة الصراع والقتال (اضطراب التدافع) إلى لغة الحوار والتفاوض حتى صاغا معا معاهدة السلام والتى غيرت مسار التَّدافُع من حالة الاضطراب إلى حالة التَّدافُع السوي الساعي إلى لغة الحوار والتفاوض، وباتت الحرب لغة غير مطروحة على ساحة العلاقة بين البلدين والبحث عن سبل وأشكال مختلفة للتواصل والحوار السياسي والاقتصادي.

لا يخفى على أي متابع للأحداث السياسية في مصر بعد ثورة ٢٥ يناير وما حدث من فراغ سياسي عقب تنحي رئيس الجمهورية عن السلطة، الأمر الذي دفع القوى السياسية والدينية إلى التَّدافُع السياسي للوصول إلى السلطة والحكم والسيطرة على مؤسسات الدولة، فسعى من سعى وحاول من حاول وظهر التَّدافُع في أشد صورة وتجلياته بين قوى عديمة الخبرة وجماعات يسارية أو يمينية متطرفة ارتدت عباءة الأحزاب السياسية كوسيلة للوصول إلى السلطة حتى تأزم

المشهد السياسي بالدرجة التي دعت الشعب إلى استدعاء الجيش للتدخل وحسم صراعات وأطماع الأحزاب السياسية والدينية والتلاعب بمقدرات الدولة حتى أصبحنا أمام ثورة جديدة واستدعاء جديد للقوات المسلحة للتدخل وإدارة المشهد السياسي تأكيدًا على دور التَّدافُع الذي يحسم دوما لمن هو أكثر خبرة والاكثر تنظيما والأقوى في إدارة المشهد السياسي.

التَّدافُع والسياسة الدولية:

السياسة الدولية هو مجموع تصرفات الدولة تجاه دولة أخرى أو في المجتمع الدولي عموما، هذا اذا كان الأمر يتعلق بالسياسة الدولية لدولة ما، أما السياسة الدولية بشكل عام فهي مجموع تصرفات الدول في علاقاتها مع بعضها البعض، سواء في شكل وحدات أو تنظيمات دولة. (الشيب ويحيي، ٢٠١٧: ٢٢١)

الخطة التي ترسم العلاقات الخارجية لدولة مع غيرها من الدول فالسياسة الخارجية لأي دولة تعكس وجود عملية ديناميكية تأخذ في الاعتبار المصلحة القومية والظروف البيئية الدولية، والتي تترجم إلى واقع ملموس ومن خلال الأداة الدبلوماسية. (النعيمي، ٢٠٠١: ٢١)

فالتَّدافُع السياسي الدولي هو ما أدى إلى خلق التكتلات السياسية والاقتصادية كالاتحاد الاوربي واتحاد دول مجلس تعاون الخليج العربي وغيرها من التكتلات التى تلعب أدوار هامة وحاسمة في القضايا الدولية.

العوامل التي تحدد السياسة الخارجية:

إن السياسة الخارجية لأي دولة تتأثر بالعديد من العوامل التي يصعب حصرها ولكنها بشكل عام تقع ضمن مجموعتين: عوامل داخلية تتمثل في (الحجم – الجغرافيا– الثقافة والتاريخ– التطور الاقتصادي –المقدرة الوطنية–

التركيبة الاجتماعية– المنظمات السياسية– دور الصحافة – المحاسبة السياسية – القيادة)، وأخرى خارجية تتمثل في (تركيبة القوة– النظام الدولي – رده فعل الدول الأخرى – التحالفات– الرأي العام العالمي).

(الشيب ويحيي، ٢٠١٧: ٢٣٢– ٢٣٤)

التَّدافُع المهني والنظام التعليمي:

يرتبط النظام التعليمي في اي دولة بتحقيق أهداف محددة، فالتعليم ليس هدفًا في حد ذاته مالم يرتبط بتحقيق أهداف المجتمع وتلبية احتياجاته من توفير كوادر مهنية متخصصة في جميع التخصصات النظرية والعملية والفنية، وتقوم الجامعات من خلال جميع كلياتها بتخريج دفعات سنوية تلبي احتياجات المجتمع وتصبح مرحلة الثانوية العامة هي المنعطف الرئيسي في حياة جميع الطلاب لأنها تمثل نقطة تحديد الكلية وبالتالي تحديد التخصص المهني الذي يقوم من خلاله الطالب بأداء دوره في المجتمع بعد اجتياز مرحلة التعليم الجامعي، ويظل أحد أهم عناصر تقييم الانظمة التعليمية هو قدرة الجامعات على توفير كوادر متخصصة علميًا وأكاديميًا وفنيًا في توفير احتياجات سوق العمل وتخريج كوادر مؤهلة بشكل كافي لتأدية دوره في التنمية المجتمعية، وتتدخل كثير من العوامل المجتمعية في توجيه التَّدافُع نحو تخصصات معينة فنجد مسميات مثل كليات القمة والتى يسعى الطلاب وأولياء أمورهم بالحاق ابناءهم بهذه الكليات وكذلك الكليات العسكرية لما توفره من فرص عمل مضمونة، فضلاً عن العديد من العوامل الأخرى التى يمكن أن تلعب دورًا محوريا في توجيه التَّدافُع المهنى داخل المجتمعات.

التَّدافُع التكنولوجي:

أثرت التكنولوجيا وتطورها بشكل كبير على نمو مجتمع ريادة الاعمال وتطوره وانتشاره لدرجة أنه لا تكاد تخلو شركة ناشئة في أي قطاعٍ كان من

تطوير أو ابتكار يعتمد كليًا على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، بما فيها الصناعات والأعمال التقليدية مثل التجارة والمواصلات تعرضت جميعها لهزة جبارة بمجرد ادخال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في دورة العمل (خير مثال لذلك التجارة الالكترونية E-commerce وتطبيقات طلب التاكسي والمواصلات) بالإضافة إلى ذلك فان كل القطاعات قد استفادت من قنوات التسويق الرقمي Digital Marketing التي ساعدتها في تطوير أعمالها ونموها وانتشارها بما في ذلك محطات التلفزة المختلفة التي تعتبر المنافس التقليدي لقنوات التسويق الرقمي وذلك لان تكنولوجيا المعلومات والاتصالات قد اتاحت لها مصادر دخل مختلفة (مثل التصويت عبر الرسائل والمسابقات وغيرها) مكنتها من النمو والتطور والانتشار.

ويتضح أثر تطور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في نمو مجتمع ريادة الاعمال وتطوره من خلال خلق فرص نمو هائلة في السوق يقوم باستغلالها رواد أعمال يتسمون بالإبداع من خلال نماذج خلاقة وأفكار مبتكرة تلبي رغبات السوق أو تخلق سوقًا جديدة بمساحات شاسعة لا حدود لها يتم ترجمتها فيما بعد لخدمات مبتكرة للعملاء وأرباح لرواد الاعمال والشركاء.

بقدر ما كان إصدار أبل عام ٢٠٠٧ لهاتفها الذكي الأول أي فون IPhone طفرة كبيرة في عالم تكنولوجيا الهواتف الذكية، فإن إطلاقها لمتجر التطبيقات خاصتها آب ستور App Store في العام الذي يليه يعد قفزة عظيمة في التكنولوجيا بشكل عام لأنها فتحت الطريق واسعًا امام رواد أعمال كثيرين تقدر أعدادهم حاليًا بالملايين لتطوير تطبيقات مبتكرة خاصة بهم تعمل على نظام التشغيل الخاص بـ أبل IOS يتم توزيعها من خلال المتجر ثم تلتها جوجل باستخدام نفس النموذج من خلال متجر التطبيقات بلاي Play Store الذي يعمل بنظام تشغيل أندرويد Android. بالإضافة إلى عدة متاجر أخرى

للتطبيقات منها متاجر التطبيقات الخاصة بـ أمازون وويندوز وبلاك بيري وغيرهم.

عندما نعلم أن عدد التطبيقات على متجر أبل آب ستور تخطى حاجز المليون ونصف المليون، بينما عدد تطبيقات متجر جوجل بلاي ستور تخطى مليونان ومائتي ألف تطبيق، ندرك جيدًا أن خلق أبل لفكرة فتح الطريق لطرف ثالث Third Party من مطوري تطبيقات الهواتف الذكية ونشرها عبر متجر التطبيقات App Store على هواتفها الذكية، كان له تأثيرًا ملموسًا على نمو مجتمع ريادة الاعمال الذي تعتبر البرمجيات (بما فيها تطبيقات الهواتف الذكية) أحد أكبر روافده على الاطلاق. لذا نشأت علاقة طردية بين أعداد المبرمجين وأعداد رواد الاعمال في أي مجتمع وذلك نتيجة لكون ريادة الاعمال في مجال تطبيقات الهواتف الذكية تحتاج إلى الابداع الفكري من خلال نماذج خلاقة وأفكار مبتكرة أكثر من احتياجها لرؤوس أموال ضخمة للاستثمار كما في مشاريع تقليدية كثيرة مما جعل من مهنة مطور برامج مرادف لكلمة رائد أعمال (مع بعض الاعتبارات طبعًا) وجعل من مصطلح شركة ناشئة Startup مردافًا لشركة جديدة تعمل في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ICT (مع بعض الاعتبارات أيضًا).

فالتَّدافُع التكنولوجي قد وضع كبرى الشركات المنتجة للهواتف الذكية في حالة تنافس وتدافع وتحدي مستمر، حيث إنها أصبحت مدفوعة لإصدار هواتف ذكية بشكل دوري مطورة ومحدثة ومجهزة بأحدث التطبيقات الالكترونية، وقد فتحت تطبيقات الهواتف الذكية طريقًا واسعًا أمام الشباب من رواد الأعمال في العالم أجمع لاستثمار طاقاتهم على عظمها ومعرفتهم على تنوعها وثقافاتهم على اختلافها ومجالاتهم على اتساعها للعمل على خلق تطبيقات ذكية في مجالات عديدة مثل الصحة والتعليم والاتصالات والمواصلات والتجارة والصناعة والإعلام

والأعمال والخدمات والألعاب ومجالات أخرى عديدة، ويكفي الإشارة في هذا السياق إلى تطبيق أوبر للسيارات، وهو مجرد تطبيق إلكتروني أصبح هو رأس مال الشركة المنظمة التى لا تملك سيارة فعلية واحدة، ولكنها تملك تطبيق يدر عليها ملايين الدولارات والجنيهات وأصبحت شركة دولية في معظم دول العالم.

التَّدافُع الصناعي:

الصناعة هي تاج الاقتصاد الحقيقي في اي دولة ويلعب علم اقتصاديات الصناعة دورًا بارزًا الان في طرح مفهوم جديد للصناعة في علاقتها بالاقتصاد والزراعة والسياحة ومختلف قطاعات التنمية، فأصبحنا نتحدث عن صناعة الزراعة وصناعة السياحة وصناعة الاقتصاد.

يتعلق علم اقتصاديات الصناعة بدراسة هيكل أو شكل السوق الموجود في الصناعة من حيث المنافسة أو الاحتكار ودراسة سلوك المشروعات أو المنشآت الصناعية من حيث حجم الإنتاج والسعر الذي يتأثر بطبيعة السوق الموجودة وهل هي سوق احتكار أو منافسة كما يدرس مستويات الأداء للمشروعات الصناعية من حيث معدل الربحية والكفاءة والتطور التقني إضافة إلى السياسات الصناعية التي تتبعها الحكومة والتي تؤثر على هيكل السوق وعلى سلوك المنشآت الصناعية وأدائها.

أهمية قطاع الصناعة في الاقتصاد الوطني:

يحتل قطاع الصناعة أهمية متزايدة في الاقتصاد الوطني وفي دفع التنمية خاصة في الدول النامية لعدة أسباب:

١. يسهم نمو قطاع الصناعة في علاج مشكلات البطالة، حيث إن نمو قطاع الصناعة يمكن أن يوفر فرص للعمالة، حيث إن غالبية الدول

النامية تعاني من مشكلة البطالة سواء البطالة الإجبارية الظاهرة أو البطالة المقنعة.

٢. تسهم تنمية قطاع الصناعة في تنويع مصادر الإنتاج والدخل والصادرات في الدول النامية وبالتالي ترتفع نسبة إسهام قطاع الصناعة في الناتج المحلي الإجمالي والصادرات، وبالتالي يقل الاعتماد على تصدير المواد الأولية لأن الاعتماد على تصديرها فقط يعرض الدول النامية لحدوث التقلبات الاقتصادية فيها بسبب تقلب الطلب الخارجي على المواد الأولية، حيث تتعرض الدول الصناعية للموجات من الكساد الاقتصادي أحيانًا والرواج الاقتصادي أحيانًا أخرى وهذا ينعكس على تقلب طلبها على المواد الأولية التي تصدرها الدول النامية وهذا يعرض الدول النامية لتقلب حصيلة الصادرات والدخل القومي فيها كما يتجه معدل نمو الطلب الخارجي على بعض المواد الأولية (باستثناء البترول) نحو الانخفاض بسبب تطور هيكل الصناعة في الدول المتقدمة صناعيًا حيث أصبحت تعتمد أساسًا على الصناعات الإلكترونية والتي لا تحتاج إلى استخدام مواد أولية كثيرة وأيضًا تتجه الدول الصناعية المتقدمة إلى إحلال بدائل محل المواد الأولية الطبيعية التي تصدرها الدول النامية ولذلك تهتم الدول النامية بعملية التصنيع لتنويع هيكل الاقتصاد القومي فيها.

٣. يسهم نمو قطاع الصناعة في رفع مستوى الإنتاجية وذلك لأن قطاع الصناعة من أكثر القطاعات قدرة على تطبيق استخدام التقنية والتكنولوجيا الحديثة وهذا يسهم في رفع الإنتاجية، كما يمكن تقسيم العمل والتخصص في قطاع الصناعة بدرجة أكبر مما يسهم في ارتفاع الإنتاجية كما أن قطاع الصناعة لا يحدث فيه قانون تناقض الغلة بنفس الدرجة والسرعة التي يحدث بها في الزراعة لأنه في (قطاع الزراعة يكون عنصر الأرض ثابتًا نسبيًا ويتزايد عنصر العمل بسرعة بسبب النمو

السكاني وهذا يتسبب في حدوث قانون تناقص الغلة حيث يحدث نقص في الإنتاجية المتوسطة وفي الإنتاجية الحدية للعنصر المتغير وهو عنصر العمل)، أما في قطاع الصناعة فمن السهل تغير الكميات المستخدمة من عناصر الإنتاج مثل عنصر العمل ونمو رأس المال وبالتالي لا يحدث تناقض الغلة الإنتاجية بنفس الدرجة الذي يحدث بها في قطاع الزراعة.

٤. إن نمو قطاع الصناعة يسهم في رفع معدل النمو الاقتصادي في الاقتصاد الوطني لأن نمو قطاع الصناعة يساعد على فع النمو في القطاعات الأخرى مثل قطاع الزراعة وقطاع الخدمات لأن هناك علاقات ترابط بين قطاع الصناعة والقطاعات الأخرى فقطاع الصناعة يمد قطاع الزراعة بكثير من مستلزمات الإنتاج مثل الآلات الزراعية الأسمدة الكيماوية والمبيدات الحشرية ... إلخ.

٥. يعتبر قطاع الصناعة في نفس الوقت سوق لتسويق كثير من المنتجات الزراعية التي يتم تصنيعها في قطاع الصناعة.

٦. نمو بعض الصناعات يمكن أن يدفع النمو في الصناعات الأخرى، حيث يشجع على قيام صناعات أخرى مرتبطة بها أمامية أو خلفية، إضافة إلى قدرة قطاع الصناعة على ابتكار واختراع منتجات وسلع صناعية جديدة مما يسهم في رفع معدل النمو الاقتصادي.

٧. يسهم قطاع الصناعة في توفير موارد النقد الأجنبي وعلاج مشاكل عجز ميزان المدفوعات في الدول النامية وذلك من خلال تصنيع سلع تحل محل الواردات أو تصنيع سلع للتصدير للخارج.

ومجمل ما سبق أن كل خط انتاج لأي منتج صناعي أو زراعي هو تجسيد لمفهوم التَّدافُع الذي يسعي لتحقيق الخير والنماء والرخاء لأي مجتمع يساهم في سد احتياجاته وتصدير الفائض وكذلك الامر بالنسبة لكل شبر يتم زراعته يكون

بمثابة مصدر للخير والعطاء والنماء ووسيلة لتحقيق التَّدافُع الإيجابي، فاذا وجدنا مجتمع يقوم بالبناء على الاراضي الزراعية ليغطي الاحتياجات السكانية من وحدات سكنية ثم يذهب لاستصلاح الاراضي الصحراوية وانفاق ملايين الجنيهات في محاولة استزراعها، فهذا إهدار واضطراب في تحقيق التَّدافُع السوي الذي يسعى لتحقيق النماء والرخاء بكل أشكاله.

التَّدافُع القانوني:

ساحة القضاء واحدة من أهم ساحات تجسيد مفهوم التَّدافُع الحقيقي، فهي ساحة رد المظالم وساحة البحث عن تحقيق مفهوم العدالة بين ممثلي العدالة: ممثل النيابة والدفاع والقاضي، ساحة محكومة بعدد لا حصر له من القوانين التي تنظم العلاقة بين الناس، ساحة دفع الظلم ورد الظالم ونصرة المظلوم.

فالتقاضي حق مكفول للجميع، التقاضي هو الطرق على أبواب العدل والإنصاف والحرية والمساواة كقيم حضارية تقوم على ركام تكاثفت طبقاته من الظلم والقهر والاستبداد، والقاضي هو الشخص المؤهل والمتخصص والدارس والملم بمبادئ القانون الذي يحكم به وتسند له بحكم هذا القانون ولاية القضاء بين المتنازعين وفقا للنصوص التشريعية التي وضعتها الدولة، فيرأس المحكمة ويصدر الأحكام، ويشرف على تنفيذها، على أن يكون القاضي واسع الصدر، محيطًا بكافّة ملابسات القضية التي ينظر فيها، وأن يكون محمود السيرة حسن السمعة والسلوك، بطيء الغضب، ولا سيما حين سماعه مرافعة الأطراف، وذا روح عالية لا تجعله يخشى أصحاب القوة والسطوة، عزيز النفس، بعيدًا عن أطماع الدنيا، مترفعا عن الرشوة، ومن أهل التأمل والتحقيق، لا يمر بسهولة على القضايا، ولا يقضي دون دليل وعلم وسند، لا يكتفي بسماع الأقوال في إصداره لأحكامه وإذا اشتبهت عليه الأمور وبدت له صعوبتها لم يفقد القدرة على الاحتياط والتأمل والاختبار، ولا يتخلى عن كشف الواقع على أساس القرائن

والأدلة والبراهين، طلق الوجه مع الخصوم، لا يكل من سماعهم، مع الذكاء والاحتياط لعدم الانخداع بأساليب المكر والحيل، ولا يستهويه التملق والإطراء، وأن يكون حازما في إصدار الأحكام العادلة إذا انكشفت الحقائق، ولم يتعرض إلى ما يعيقها، فليس في حكمه محاباة لأحد ولا بخس لآخر. ويتعين عليه أن يكون محايدا. فلا يميل لخصم في المنازعة المعروضة أمامه. ويحترم حقوق الدفاع. فلا يجوز للقاضي الحكم على الخصم بدون سماع دفاعه واطلاعه على أقواله وإعطائه المهلة اللازمة لإعداد جوابه وسماع هذا الدفاع. والقضاء هو إقامة العدل في الأرض، وهو الممثل للسلطة التشريعية في الدولة، وتخضع له السلطة التنفيذية ممثلة في جهاز الشرطة كقوة لإنفاذ القانون بالقوة والتى تصبح بدورها هي القوة الدافعة لتطبيق القانون والحامية له.

التَّدافُع الرياضي:

تلعب الرياضة دورا هامًا في حياة البشر، فتعددت الرياضات وتنوعت، بعضها له طابع جماهيري والبعض الآخر لا يحظى بنفس القدر من الجماهيرية، ولكنها جميعا تتساوى في الدور والوظيفية التى تؤديها الرياضة في حياة ممارسيها ومشاهديها، ويكفي أن ندلل على التَّدافُع الرياضي بأنه حالة السعي الدائم والمستمر لتحقيق الانجازات وتحطيم الارقام العالمية في مختلف الرياضات، فلم يعلن اتحاد أي رياضة من الرياضات عن عدم إمكانية تحقيق أرقام جديدة وأن هذه هي الطاقة القصوى والحد الأقصى للقدرة الإنسانية في الأداء الرياضي في أي رياضة من الرياضات المختلفة، فالعداء في مسافة ١٠٠ متر لايزال يحطم الرقم الذي سبقه إليه غيره وكذلك في رفع الاثقال والسباحة وغيرها من الرياضات، لاتزال الأرقام تتحطم والتَّدافُع مستمر والمنافسات لم تنتهي.

الخلاصة:

إن محاولة البحث عن أدلة تعبر عن التَّدافُع فسنجد أنها تغطي كل مجالات الحياة بكل تفاصيلها الخاصة والعامة وفي مختلف نواحي الحياة، فما يحكم حركة القطارات هو التَّدافُع ووحدات التحكم ما هي سوى تنظيم لحركة تدافع القطارات وأن اي اضطراب في تنظيم حركة التَّدافُع هو ما يتسبب في وقوع الحوادث، كذلك الحال في قطاع المرور الخاص بالسيارات فقانون المرور في اي دولة هو تنظيم لحركة مرور السيارات ومساراتها وسرعتها واماكن توقفها أو انتظارها وتداولها من حيث الملكية، وحركة السيارات على الطرق هي تعبير عن شكل التَّدافُع فحينما تكون الكثافة المرورية كبيرة على أحد مسارات الطرق قلت وانخفضت معدلات التدافع، اذ أن كثافة السيارات يبطئ كثيرًا من حركتها بينما حينما تقل كثافة السيارات تزداد سرعتها ويزداد تدافعها.

وهكذا تتعدد الأمثلة ولا تتوقف فزيادة أسعار الوقود يترتب عليه تدافع في زيادة أسعار مختلف أنواع السلع، ولعل قانون العرض والطلب هو بعينه احد قوانين التدافع، فزيادة المعروض يقلل من التَّدافُع عليها، بينما يزيد التَّدافُع حينما يقل المعروض ويبلغ التَّدافُع اقصاه ينما يندر وجود المعروض، وهكذا الحال عند الحديث عن التَّدافُع في مجال السياحة حيث تتعدد دول العالم التى تشتهر بالمعالم السياحية وتتسابق في استقطاب السائحين اليها وهذا بدوره يخلق حالة من التَّدافُع بين الدول في دفع السائحين وتوفير كل عناصر الجذب لتوجيه حركة السياحة اليها لما تمثله من مصدر هام من مصادر الدخل الوطني وتوفير العملات الاجنبية.

التَّدافُع ومفهوم البنية:

وقد يكون من الحديث المعاد أن نقول أن لكلمة "بنية" استعمالات خاصة في العلوم المختلفة: من رياضة، ومنطق، وفيزياء، وعلم أحياء، وأنثروبولوجيا، وعلم نفس، ولغويات... إلخ، ولكن من المؤكد أن أبسط تعريف للبنية هو أن يقال "إنها نظام – أو نسق – من المعقولية": فليست "البنية " هي "صورة" الشيء أو "هيكلة" أو "وحدته المادية"، أو "التصميم الكلى" الذى يربط أجزاءه فحسب، وإنما هى أيضا القانون، الذى يفسر تكوين الشيء ومعقوليته. وبعبارة أخرى يمكننا أن نقول أن البنيويين حينما يبحثون عن "بنية" هذا الشيء أو ذاك، فإنهم لا يتوقفون عند المعنى التجريبي الذى يضعه الواقع بين أيدينا – على نحو مباشر –، وكأن كل ما يهمهم هو الوصول إلى إدراك العلاقات المادية الظاهرية التي تحقق الترابط بين "عناصر" المجموعة الواحدة، بل إنهم يهدفون – أولا وقبل كل شيء– إلى الكشف عن "النسق العقلى" الذى يزودنا بتفسير للعمليات الجارية في نطاق مجموعة بعينها.

إن التَّدافُع لهو نسق من التحولات، له قوانينه الخاصة باعتباره نسقا "في مقابل الخصائص المميزة للعناصر"، علما بأن من شأن هذا النسق أن يظل قائما ويزداد ثراء بفضل الدور الذى تقوم به تلك التحولات نفسها، دون أن يكون من شأن هذه التحولات أن تخرج عن حدود ذلك النسق، أو أن تهيب بأية عناصر أخرى تكون خارجة عنه.

وقصارى القول أنه لابد للتدافع اذن من أن يتسم بالخصائص الثلاث الآتية: "الكلية، والتحولات، والتنظيم الذاتي".

والمقصود بالسمة الأولى من هذه السمات – ألا وهى الكلية Totality – هو أن "البنية "نسق". ولا ترتد قوانين تركيب هذا النسق إلى "ارتباطات تراكمية"،

بل هي تضفي على "الكل" من حيث هو "العلاقات" القائمة بين العناصر، أعني عمليات التأليف "أو التكوين"، على اعتبار أن "الكل" ليس إلا الناتج المترتب على تلك "العلاقات" أو "التأليفات"، مع ملاحظة أن قانون هذه العلاقات ليس إلا قانون "النسق" نفسه، أو "المنظومة" نفسها.

وأما المقصود بالسمة الثانية – ألا وهي التحولات Transformations – فهو أن "المجاميع الكلية" تنطوي على ديناميكية ذاتية، تتألف من سلسلة من التغيرات الداخلية التي تحدث داخل "النسق" أو "المنظومة"، دون التوقف على أية عوامل خارجية. وليس الحديث عن ضرب من "التوازن الكوني" سوى تعبير عن هذه الحقيقة الهامة ألا وهى أن "التدافع" حالة من نفي السكون المطلق في كل أحواله وأشكاله. بل هى تقبل دائما من "التغيرات" ما يتفق مع الحاجات المحددة من قبل "علاقات" النسق و"تعارضاته "فكل شيئ في طريقه لكى يصبح شيئ آخر، فلا صمت ولا سكون في الرحلة ما بين الحياة والموت، ولا صمت ولا سكون في حالة الصراع التي تحكم حركة الكون وتفاعلاته. صحيح – فيما يقول بياجيه – أن الحلم الأكبر للكثير من "البنيويين" هو تثبيت "فالتدافعات" حالة لا زمانية شبيهة بدعائم الانظمة المنطقية – الرياضية، ولكن من المؤكد أن ثمة علاقة متينة بين مفهوم "التدافع" ومفهوم "التغير"،.

وأما المقصود بالسمة الثالثة – ألا وهي "التنظيم الذاتي" Autoréglage– فهو أن في وسع "البنيات التدافعية " تنظيم نفسها بنفسها، مما يحفظ لها وحدتها، ويكفل لها المحافظة على بقائها، ويحقق لها ضربا من "الانغلاق الذاتي". ومعنى هذا أن للتدافعات قوانينها الخاصة التي لا تجعل منها مجرد "مجموعات" ناتجة عن تراكمات عرضية، أو ناجمة عن تلاقي بعض العوامل الخارجية المستقلة عنها، بل هى "أنسقة" مترابطة، تنظم ذاتها، سائرة في ذلك على نهج مرسوم وفقا لعمليات منتظمة، ألا وهي قوانين "الكل" الخاص بهذه "البنية" أو تلك. وعلى

الرغم من أن كل "بنية من التدافع" مغلقة على ذاتها، إلا أن هذا "الانغلاق" لا يمنع "البنية" الواحدة من أن تندرج تحت "بنية" أخرى أوسع، على صورة "بنية سفلية" "أو تحتية"sous-structure. كأن نتحدث عن التَّدافُع السياسي أو التَّدافُع الاقتصادي أو التَّدافُع الاجتماعي أو النفسي أو الاعلامي وهكذا.. والمهم أن عملية "التنظيم الذاتي" لابد من أن تتجلى على شكل "إيقاعات"، و"تنظيمات"، و"عمليات"؛ وهذه كلها عبارة عن "آليات بنيوية"، تضمن للبنيات ضربا من الاستمرار للمحافظة على سنة الكون الدافعة نحو التقدم والتغير والنماء.

ويبقى السؤال هل التَّدافُع هو الذي يشكل البنية أم أن البنية هي التي تحدث التدافع، وتلك حلقة جدلية جديدة في سلسلة حلقات لا تنتهي من التصورات النظرية والتي ربما تنتهي عند نفس النقطة، باعتبار أن "الدفع" في جوهره حدث، وجملة التدافعات في كل نواحي الحياة ومجالاتها هي التي تتيح لنا البحث عن البنية المنظمة والمسببة للتدافع وتفسره، وهذا هو دور العلم والذي هو في جوهره مدفوع للبحث عن الأسباب.

فَمَنْ مِنَّا مَنْ لا يدفع غيره ومَنْ مِنَّا مَنْ هو ليس مدفوع من غيره، وتتواصل التدافعات لكي تشكل جملة أشكال التفاعل التي تحكم الفرد في علاقته بنفسه "المدفوعة نحو تحقيق أهدافها" وبين الآخرين المدفوعين نحو تحقيق أهدافهم، لتكون المحصلة شبكة معقدة من التدافعات بين البشر وبعضهم، فينجح من ينجح ويخفق من يخفق وفق نسق التدافعات وشدتها والعوامل الميسرة لتحقيقها ... وهذا هو جوهر البحث في علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد والسياسة.

ولعل هذا ما عبر عنه ليفى اشتراوس نفسه في كتابة "الأنثروبولوجية البنيوية" حين يقول: "إن المبدأ الأساسى هنا هو أن مفهوم البنية الاجتماعية لا يرتد إلى الواقع التجريبى، بل هو يرتبط بالنماذج التي نبنيها انطلاقا من هذا الواقع"، ولابد لكل "نموذج" – إذا أريد له أن يستحق بجدارة اسم "البنية" – من أن

يتصف بسمات أربع: فهول لابد أولاً من أن يؤلف "نسقًا" أو "نظاما" من العناصر، يكون من شأن أى تغير "كائنا ما كان" يلحق بأحد عناصره أن يؤدى إلى حدوث تغير في العناصر الأخرى. وهو لابد – ثانيا – من أن يكون منتميا إلى "مجموعة" من التحولات، بحيث تتكون من مجموع تلك التحولات "أو التغيرات" " جماعة" من النماذج؛ وهو – ثالثا – لابد من أن يكون قادرا على التنبؤ بالتغيرات التي يمكن أن تطرأ على النموذج في حالة ما إذا تعدل عنصر من عناصره؛ ثم هو – رابعًا وأخيرًا– لابد من أن يكون هو الكفيل بتفسير الظواهر الملاحظة من خلال عمله أو قيامه بوظيفته.

ومجمل القول بأن "البنية" هى القانون الذى يحكم تكون المجاميع الكلية من جهة، ومعقولية تلك المجاميع الكلية من جهة أخرى. فالتَّدافُع هو صانع البنيات المختلفة والمتعددة ومعنى هذا أن بيت القصيد – في كل "بنية" – إنما هو "وحدة تنوعها (أو تغيراتها) المتفاضلة" (على حد تعبير جان – مارى أوزيا). وأما القاعدة الأساسية – في رأى ديلوز – فهى أنه لا يمكن أن تكون ثمة "بنية" إلا حيث يوجد "التدافع" في مختلف مجالات المعرفة البشرية.

فالتَّدافُع هو نظام من العلاقات الكامنة خلف بعض التغيرات..."، ولعل هذا ما حدا ببعض الباحثين إلى القول بأن كل علم من العلوم لابد من أن يكون "بنيويا": فإننا لو تساءلنا ما الذى يدرسه هذا العلم أو ذاك، لكان الجواب بلا شك أنه يدرس أنساق من العلاقات..." وحين يكون على العالم أن يختار هذه "البنية" أو تلك، كمنظور رياضي ممكن من أجل وصف بعض الموضوعات العينية، أعني من أجل تكوين وجهة نظر خاصة بصدد مجموعة من الموضوعات في العالم الواقعي، فإنه عندئذ يقوم بصياغة "نموذج" و"النموذج"" – بهذا المعنى – لا يوجد إلا في الأشياء نفسها. ولكن المهم أن هذا النموذج "يمثل منسقا من المعقولية"، يستطيع العالم – عن طريقه – إدراك أو فهم "العلاقات" بين الأشياء،

وبالتالى صياغة الواقع في مجموعة من التراتيب" أو "التنظيم التدرجى" بين أنسقة المعقولية، وبالتالي فإنها تحول بيننا وبين الإلقاء بتلك الكثرة الهائلة من الوقائع التجريبية إلى ذلك العالم الضبابي المظلم عالم اللامنطق "" وإذن فإن تعريف البنية بوصفها "نسقا من المعقولية" لابد من أن يقودنا إلى فهم تلك "الخبرات المعاشة" التي يدرك البشر أنفسهم من خلالها، مع استبعاد كل تلك "الصور الواعية" المتغيرة التي يشكلها البشر عن تطورهم.

ويبقى الآن أن نحاول الاهتداء إلى تعريف واحد يمكن عن طريقه تحديد مفهوم "البنية" تحديدا منطقيا دقيقا. والرأي عندنا أنه على الرغم من تعدد التعريفات التي قدمها الباحثون المختلفون لهذا اللفظ، فإن من الممكن الإجماع على الأخذ بالتعريف الذى قدمه لنا "لالاند" في معجمه المشهور حين قال: "إن البنية هي كل مكون من ظواهر متماسكة، يتوقف كل منها على ما عداه، ولا يمكنه أن يكون ما هو إلا بفضل علاقته بما عداه وذلك كله بفضل جملة التدافعات التي تحكم حركة الكون والأشياء". ولا شك أن من مزايا هذا التعريف أنه عام يصدق على جميع أنواع "البنيات" بما فيها "البنية الرياضية" و"البنية اللغوية" و"البنية الأنثروبولوجية"... إلخ.

الفصل الرابع

التدافع... وعلاقته ببعض المفاهيم الأخرى

التَّدافُع وعلاقته ببعض المفاهيم الأخرى

التَّدافُع هو سُنة كونية لا يمكن أن يتحقق الوجود بدون حالة من التَّدافُع، أراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن تكون هي الحياة الرئيسية التي يعيشها الإنسان في هذا الوجود، بل والقانون الذي يحكم طبيعة العلاقة بين جميع الكائنات في هذه الحياة، التَّدافُع حاله من التوازن والتكامل والسعي الإيجابي والبناء الذي يحفظ الوجود والحياه ويُبقي على طبيعة العلاقة بين كل الكائنات والموجودات في هذه الحياه، التَّدافُع هو الحاجات والرغبات والوسائل والغايات والمعارف والحقائق والافكار، هو سُنة الوجود في الحياة.

أولا: التفاعل الاجتماعي والتدافع

لاشك أن التفاعل الاجتماعي هو عامل من العوامل الرئيسية في الحياة الاجتماعية للإنسان، أما السلوك الفردي ما هو إلا ظاهره تنتج عن التفاعل المستمر مع الآخرين من خلال سلوك الآخرين أو تفاعلهم معه، وهكذا أشار حامد زهران (٢٠٠٠: ٢٤٧) أن العملية التي يرتبط بها أعضاء الجماعة بعضهم مع بعض عقليا ونفسيا وفي الحاجات والرغبات والوسائل والغايات والمعارف وما شابه ذلك، لذلك فإن التفاعل الاجتماعي هو العملية المتبادلة بين طرفين في موقف اجتماعي بحيث يكون سلوك أي منهما منبهًا أو مثيرًا لسلوك الطرف الآخر، أما التَّدافُع فهو على الجانب الآخر ليس فقط عملية تجمع بين طرفين اجتماعيين في الموقف الاجتماعي، وإنما التَّدافُع هو الحالة الأعم والأشمل والاكثر عمومية التي تدفع الفرد في علاقته بالآخر وعلاقته بالجماعة وعلاقته بالمجتمع، بل وعلاقته بالعالم كله، التدافع ليس مقصورًا ولا محصورًا في تفاعل بين فردين فقد يكون التَّدافُع ذاتي داخلي، وقد يكون في التَّدافُع مع الآخر، وقد يكون مع الجماعة، وقد يكون مع العالم كله، وهنا يكون الاختلاف بين التفاعل الاجتماعي الذي يجمع بين فردين أو طرفين قائم على السلوك الفردي في حال

التفاعل مع الآخرين، أما التدافع فهو حالة تتجاوز حدود التفاعل الاجتماعي من حيث إن التفاعل الاجتماعي ليس هدفًا في حد ذاته وإنما هو الوسيلة التي يتحقق بها مفهوم التَّدافُع مع الأفراد أو الجماعات أو المجتمع أو الدولة أو العالم كله، لذلك فهو أكثر عمومية وأكثر شمولية، حيث يكون الفرد فيها شاء أول ما شاء مدفوعا للتواصل والتفاعل والتَّدافُع مع الآخرين في رحلته نحو تحقيق الأهداف.

مثال توضيحي:

لنبدأ بموقف مألوف، وهو موقف الأستاذ الجامعي في أثناء إلقائه محاضرة ما في أحد التخصصات العلمية. حيث إن هذا الموقف هو موقف تفاعلي ينطوي على تأثير متبادل بينه وبين طلابه، فالمعلومات التي يعطيها لهم، وأسلوبه في تدريسهم، وطريقة ضبطه لهم، ونمط تفكيره، واتجاهاته، تؤثر كلها فيهم وفي قيمهم واتجاهاتهم وطموحاتهم، أما من حيث تأثيرهم فيه، فإن مدى استماعهم له، ومتابعتهم لدرسه، وانتباههم ويقظتهم يزيده حماسًا ويدفعه للمزيد من الأداء الفعَّال، بمعنى آخر، إن ردود أفعال الطلبة على ما يقول (التغذية الراجعة) تجعله يُعيد تقييمه لنفسه ولمحاضراته، فقد يتطلب الأمر منه أن يغير أسلوب تدريسه إذا استنتج من هذه الردود أنهم غير مهتمين، أو يضرب لهم مزيدًا من الأمثلة التوضيحية إذا شعر بضرورة ذلك، أو يبطئ في شرحه أو يسرع فيه، إلى غير ذلك من عمليات التأثير المتبادل بينه وبين طلبته في ذلك الموقف التدريسي.

هذا الموقف قد يجسد القدرة على تحديد مجال دراسة علم النفس الاجتماعي من حيث دراسة عمليات التأثير المتبادلة بين الفرد (أستاذ الجامعة) والجماعة (طلاب الجامعة)، في حين نجد أن المقصود بالتَّدافُع هنا هو الهدف الذي يسعى أستاذ الجامعة لتحقيقه من خلال التدريس للطلاب وقدرته على تمكينهم من فهم التخصص الذي يقومون بدراسته وتخريج كوادر علمية متخصصة تقوم هي بدورها في سياق عملية التَّدافُع المتتالية والمتعاقبة بين الأجيال، وهو نفس الهدف

الذي يدفع الطلاب إلى حضور المحاضرة وهو بالطبع ليس تقديم تغذية مرتجعة للمعلم أو استاذ الجامعة، وإنما تحقيقا لأهدافهم المستقبلية بدراسة التخصص الذي يؤهلهم للعمل به للقيام بدورهم في المجتمع، وهنا يتحقق التَّدافُع المهني.

الصراع والتدافع

نزاع أو تطاحن بين الأفراد أو الجماعات يتخلله شعور عدائي بين الأطراف المتصارعة أو المتنازعة، مما يؤدي إلى التخاصم أو العداء أو حتى إلى القتال.
(حامد زهران، ٢٠٠٠: ٢٤٨)

عملية اجتماعية تنشأ عندما يحاول فرد ما أو تحاول جماعة من الجماعات أو مجتمع من المجتمعات الحصول على شيء ما (منفعة) ليس عن طريق التفوق على الأطراف المتنافسين، ولكن عن طريق منعهم من التنافس الفعلي لإضعافهم أو الحاق الهزيمة بهم. (حسني الجبالي. ٢٠٠٢: ١٣٩)

العملية الاجتماعية أو الموقف الذي يحاول فيه اثنان أو أكثر من الجماعات الاجتماعية أن يحقق كلا منهم أغراضه وأهدافه ومصالحه.
(حسني الجبالي. ٢٠٠٢: ٤٠٤)

بالنظر إلى التعريفات السابقة نجد أن حالة الصراع تتطلب – بل وتقوم على – وجود نزاع أو تطاحن بين أطراف متنازعة قد يؤدي إلى التخاصم والعداء وربما تصل إلى القتال، كما أنها قد تتطلب السعي نحو إضعاف الطرف الآخر المتصارع وإلحاق الهزيمة به، في حين أن التَّدافُع حالة السعي نحو تحقيق الأهداف بغض النظر عن سعي الآخرين لتحقيق نفس الأهداف، لأنها حالة إيجابية تسعى إلى النماء والرخاء والبناء وتحقيق الأهداف لكل الأطراف، فالتَّدافُع في معظمه لا يقوم على الصراع من حيث الوصول والتحقيق للأهداف الكلية والنهائية التى تسعى لتنمية المجتمع وتحقيق الرخاء للجميع، كما أن الصراع قد

يكون أحد آليات الفرد أو الجماعة في تحقيق أهدافها إذا ما كانت الأطراف المتصارعة تأخذ شكل الخصومة وتسعى لإلحاق الأذى بالآخرين، وهذا قد يدخل في تصنيف اضطراب التَّدافُع باعتباره حالة سلبية إذا سادت بين أفراد المجتمع وجماعاته.

التنافس والتدافع

عندما يتسابق الافراد أو تتسابق الجماعات أو المجتمعات للوصول إلى هدف يرغب الكثيرون فيه وينتهي التسابق بفوز احد المتسابقين، نكون عندئذ بصدد موقف تنافسي.

خلاف في الآراء أو تعارض في الأهداف أو في وسائل تحقيقها أو تنافر في الاتجاهات تكون نتيجته انتصار أحد الأطراف وهزيمة الاَخرين.

(حسني الجبالي. ٢٠٠٢: ١٣٨– ١٣٩)

كما يُعرَّف أنه اضطراب في السلوك الاجتماعي.

(حلمي ساري ومحمد حسن، ٢٠١٠: ٩٧)

التنافس الفردي بأنه هو سعي الفرد إلى تحقيق أهدافه قبل الآخرين، ويؤدي ذلك إلى فشل الآخرين فى تحقيق أهدافهم الفردية.

(أسماء الجابري ومحمد مصطفى، ١٩٩٨)

بينما يُعرفه كوهين (Cohen, 1993) بأنه ذلك الموقف الذي يتعارض فيه هدف الفرد مع أهداف الآخرين، الأمر الذي يؤدي إلى أن يصارع كل منهم الآخر للوصول إلى الهدف قبله.

وفى ضوء هذه التعريفات يمكن إيجاز التنافس الفردي أو الجماعي على النحو التالي:

١- يتسم الموقف التنافسي الفردي أو الجماعي ببذل أقصى جهد لتحقيق الهدف فى الوقت الذي يسعى جاهدًا لإفشال الآخرين فى الوصول لأهدافهم.

٢- يتسم الموقف التنافسي الفردي أو الجماعي بوجود علاقة سلبية بين الأفراد أو الجماعات عند تحقيق أهدافهم الفردية أو الجماعية (أى التحرك نحو هدفه أعاق تحرك الآخرين نحو تحقيق أهدافهم).

٣- يتسم الموقف التنافسي الفردي أو الجماعي بارتفاع كبير فى مشاعر التوتر والقلق والتحفز الذى يسيطر على الأداء حتى انتهاء موقف التنافسي.

٤- يتسم الموقف التنافسي الفردي أو الجماعي بغياب تقدير الفرد لمشاعر الآخرين والتمركز الشديد حول الذات أو الجماعة.

٥- إدراك الفرد أو الجماعة فى الموقف التنافسي الفردي أو الجماعي للآخرين (المنافسين) بوصفهم الآخر المدمر للذات والذي يحمل كل التهديد والإفناء للذات.

٦- الجو العام الذي يسود الموقف التنافسي الفردي أو الجماعي هو جو عدائي متوتر حاد فى انفعالاته وتوتراته يُكثر فيه التشاجر لأبسط الأسباب. (Broadhead, 1997; Carlson, 1999)

أما التَّدافُع فهو حالة سعي مطلق نحو تحقيق الأهداف بغض النظر عن سعي الآخرين نحو تحقيق أهداف ولا يتطلب الموقف عداء أو إقصاء أو عدوان أو تدمير للآخرين، كما أن التَّدافُع لا ينصب ولا يركز على موقف وإنما هو حالة عامة لتحقيق الأهداف والنجاح والانجاز والنماء والرخاء للفرد والمجتمع.

كما يجب الإشارة إلى أن التَّدافُع قد يكون من بين آلياته التنافس بالمعنى الإيجابي، حيث إن التنافس لا يستهدف تدمير أو إضعاف أو إفشال الاخرين،

فالتنافس في حد ذاته بعيدًا عن التركيز على استهداف الآخرين هو محرك من محركات التَّدافُع بين الناس، حيث يقوم كل فرد وكل جماعة نحو تحقيق أهدافها وتسخير كل طاقاتها وإمكانياتها وقدراتها للسبق في تحقيق ما تسعى إليه بعيدا عن سعي الآخرين نحو تحقيق أهدافهم، وهذا هو التَّدافُع الإيجابي على المستوى الفردي أو الجماعي، ومثال ذلك حين نجد طالب يسعى للتفوق من أجل التعيين كمعيد في الكلية بغض النظر عن سعي زملاءه لتحقيق نفس الهدف، فنجده يوظف ويسخر كل إمكانياته وقدراته لتحقيق هدفه دون الحاجة إلى إعاقة أو تدمير وإفشال الآخرين نحو تحقيق نفس الهدف، وهذا هو التَّدافُع الإيجابي.

الدافعية والتدافع

الدافع: هو الطاقة الداخلية التي تدفع الكائن الحي لأن يسلك سلوكا معينا وفي وقت معين، فالكائن الحي يكون مدفوعا في سلوكه بقوة داخلية تجعله ينشط ويستمر في هذا النشاط حتى يتم إشباع هذا الدافع. (صالح محمد، ٢٠٠٥)

الدافع: هو حالة داخلية في الكائن الحي تؤدي إلى استثارة السلوك واستمراره وتنظيمه وتوجيهه نحو هدف معين. (فؤاد أبو حطب وامال صادق، ٢٠٠٢)

الدافعية: هي الحالات الداخلية أو الخارجية التي تحرك سلوكه وتوجهه نحو تحقيق هدف أو غرض معين، وتحافظ على استمراريته حتى يتحقق ذلك الهدف.
(يوسف قطامي ونايفه قطامي، ٢٠٠٢)

الدافعية هي مجموعة الظروف الداخلية والخارجية التي تحرك الفرد من أجل إعادة التوازن الذي اختل، فالدافع بهذا يشير إلى نزعة للوصول إلى هدف معين، وهذا الهدف قد يكون إرضاء حاجات داخلية أو رغبات خارجية.
(محي الدين توق وآخرون، ٢٠٠٣)

الدافع هو تكوين فرضى يتضمن كل ما بداخل الفرد من حاجات وانفعالات ويرمز إلى العلاقة بين الفرد والبيئة. (عبد الحليم منسي، ١٩٩٠)

يوجد اتفاق عام على أن الدافعية حالة أو شرط داخلي (أحيانًا يوصف باستخدام مصطلحات: الحاجة، الرغبة، الاحتياج، والاهتمام) تعمل على تعبئة الإنسان بالطاقة والتحمس وتنشط سلوكه وتحدد مساره ووجهته.

- حالة داخلية تنشط السلوك وتحدد وجهته ومساره.
- رغبة أو حاجة تعبئ الشخص بالطاقة وتوجهه نحو السلوك الموجه بالهدف.
- تأثير الحاجات والرغبات على شدة السلوك ووجهته ومساره.
- أضاف مكونًا آخر لتعريف الدافعية يتمثل في: حالة الاستثارة والوجهة والمثابرة والاستمرارية للسلوك.

ويوجد اتفاق عام على أن الدافعية تمثل شرطًا أساسيًا من شروط التعلم وتفهم الدافعية في إطار نوعين جوهريين:

- الدافعية الداخلية: وترتبط بالعمليات الدافعية الداخلية وتتضمن (العمليات المعرفية، الانفعال، وتنظيم الذات).
- الدافعية الخارجية: وتتضمن المثيرات الاجتماعية والبيئية التي لها قوة استثارة السلوك وتنشيطه.

ولعلنا في إطار التأصيل اللغوي للتدافع قد بِينَا أن الاصل في المعني هو كلمة دفع، ومن بين المعاني التى تم إيضاحها هو الدافع والدافعية، فهي جزء أصيل من المعنى والمضمون للتدافع، والتعريفات السابقة تؤكد على نفس المعنى بشكل صريح ومباشر، وفقط نضيف أن التَّدافُع عملية أكثر شمولاً من المعنى الذي أراد الباحثين في علم النفس الإشارة إليه في تفسير دافعية السلوك، ويظل

التَّدافُع حالة السعي نحو تحقيق الأهداف بغض النظر عن سعي الاخرين لتحقيق نفس الأهداف لأنها حالة إيجابية تسعى إلى النماء والرخاء والبناء وتحقيق الأهداف لكل الاطراف، فالتَّدافُع لا ينفصل فيه العمليات الدافعة الداخلية عن العمليات الخارجية، كما أنه قد يتم تأجيله أو دمجه أو إبداله أو توحده ضمن أهداف الجماعة أو المجتمع، كما أنه مشروط بالإيجابية من حيث مقصده ومسعاه، حيث إنه لا يجب أن يكون مضاد لمعايير الجماعة أو مختلف عنها، أو ضد معايير المجتمع أو مخالف لقوانينه عند إشباعه وتحقيقه، فهو مشروط بالإيجابية والتوافق مع المعايير الخارجية للمجتمع، ومشروط كذلك بالسعي نحو عدم تعارضه وتحقيق الآخرين لأهدافهم، ومن ثم تنمية المجتمع وتحقيق الرخاء للجميع.

الفصل الخامس

التَّدافُع والنمو الارتقائي

التَّدافُع والنمو الارتقائي

مقدمة:

التَّدافُع سلسلة لا تنتهي من السعي نحو تحقيق الأهداف والغايات التى تكون هدفًا للوجود في الحياة، ويتطلب التَّدافُع الإيجابي للوجود في الحياة أن يخضع بدوره للعديد من القواعد والقوانين التى تنظمه وتساعد على تحقيقه، وترسم ملامح تحقيقه في الوجود المادي، بل وتمنح الدلائل والمؤشرات التي يمكن من خلالها تحقيق الوجود السوي، ومن ثم التَّدافُع السوي والإيجابي الذي يعبر عن إرادة الله في خلقه من وجود سوي وطبيعي يسعى إلى الخير وإلى النماء وإلى أسمى معاني التعايش الإيجابي والسلام النفسي الداخلى والمادى في العلاقة بالعالم الخارجي، والنمو الارتقائي الذي يمر به الإنسان عبر مراحله المختلفة هو قمة التجسيد لمعنى السعي نحو تحقيق الوجود الفاعل الإيجابي عبر قوانين نمو محددة وسلسلة من التغيرات تنظم هذا الشكل من التَّدافُع الارتقائي والنمائي الذي يرسم بدوره ملامح النمو السوي (التَّدافُع السوي) أو يرسم ويتيح كل أشكال الاضطراب والمرض من خلال التَّدافُع الارتقائي السلبي أو المرضي.

تعريف النمو:

النمو سلسلة متتابعة متماسكة من تغيرات تهدف إلى غاية واحدة، هي اكتمال النضج ومدى استمراره وبدء انحداره، فالنمو بهذا المعني لا يحدث فجأة، ولا يحدث عشوائيا، بل يتطور بانتظام خطوة إثر خطوة، ويسفر في تطوره هذا عن صفات عامة وخصائص يمكن من خلالها رسم ملامح كل مرحلة عمرية على حده، هذا الانتظام هو أحد قوانين التَّدافُع السوي الذي يجب الجميع دون استثناء، ومن يشذ عنه يكون بالضرورة تعبيرًا حقيقيًا عن اضطراب التَّدافُع الذي

أراده الله لخلقه من خلال النمو عبر سلسلة متتابعة ومتماسكة ومنتظمة من التغيرات عبر مراحل النمو المختلفة.

وللنمو مظهران رئيسيان نلخصهما في:

١. النمو التكويني – ونعني به نمو الفرد في الجسم والشكل والوزن والتكوين نتيجة لنمو طوله وعرضه وارتفاعه. فالفرد ينمو ككل في مظهره الخارجي العام، وينمو داخليًا تبعًا لنمو أعضاءه المختلفة.
٢. النمو الوظيفي– ونعني به نمو الوظائف الجسمية والعقلية والاجتماعية لتساير تطور حياة الفرد واتساع نطاق بيئته.

فالصفة الأساسية للحياة هي التحول، أي التغير من حالة إلى أخرى، وهذا التحول يرجع في جوهره إلى التغذي، ولكن الحياة ليس معناها التغذي فقط، وإنما يرجع هذا التغذي في جوهره إلى قوة **دافعة داخلية أي أن الإنسان يكون فيها مدفوعًا إلى التغير والتحول والانتقال من مرحلة نمائية ارتقائية إلى مرحلة أخرى لا يمكن التحكم فيها أو السيطرة عليها أو إيقافها أو الإسراع فيها وهذا هو الانتظام في عملية التدافع.**

اتجاه النمو:

يتجه النمو في تطوره البنائي التكوينى الوظيفي اتجاها طوليا مستعرضًا، عامًا، خاصًا، وبذلك يسبق بناء وتكوين ووظائف الأجزاء العليا من الجسم الأجزاء السفلى والأجزاء الوسطى والأجزاء البعيدة عن الأطراف، وكذلك يسير النمو من العام إلى الخاص في أساليبه ومناحيه المختلفة، هذا ويتراجع النمو عند الضعف والهزال.

[١] الاتجاه الطولي:

يتطور نمو الفرد تطورًا طوليًا من قمة رأسه إلى أخمص قدميه، ذلك بأن الأجزاء العليا من الجسم تسبق الأجزاء الدنيا في نموها البنائي والتكويني والوظيفي.

وبذلك يتم تكوين الأجزاء العليا من جسم الجنين قبل أن تتكون الأجزاء السفلية، فتظهر براعم الذراعين قبل أن تظهر براعم الساقين، ويبلغ طول رأس الجنين نصف طول الجسم كله في الشهر الثامن من الحمل، ثم تتغير هذه النسبة وتتراجع رويدا رويدا مع تغير مراحل النمو حتى تبلغ نسبتها العادية عند الرشد واكتمال النمو.

ويستطيع الطفل أن يتحكم في حركات رأسه قبل أن يستطيع أن يتحكم في حركات يديه وقدميه، فهو في الأيام الأولى من حياته يرفع رأسه عندما يرقد مستويا على بطنه، ثم يتطور به النمو فيرفع رأسه وصدره معًا. وهو حينما يحبو يجيد استخدام يديه في تعلم المهارة ثم يتطور به النمو فيمشي حينما يجيد استخدام رجليه.

[٢] الاتجاه المستعرض

يسير النمو في اتجاهه المستعرض الأفقي من الجذع إلى الأطراف، أي أنه يبدأ من المحور الرأسي للجسم ثم ينتشر حتى يصل إلى كل إصبع وكل بنان.

فالطفل يمسك الأشياء المختلفة ويلتقطها براحه يده قبل أن يصبح قادرٌ على التقاطها بأصابعه وحدها.

[٣] الاتجاه العام – الخاص:

يسير النمو من العام إلى الخاص، ومن المجمل إلى المفصل؛ فالطفل يتأثر بالمثيرات المختلفة التي تحيط به تأثيرًا كليًا عامًا قبل أن يتأثر بها تأثرًا خاصًا نوعيًا محدودًا. ويستجيب لها استجابات مجملة ويفصلها تفصيلا دقيقًا.

فالطفل يحرك جسمه كله ليصل إلى لعبته قبل أن يتعلم كيف يحرك يده فقط ليصل إلى نفس اللعبة. وهو ينظر إلى الأشياء المحيطة به نظرة كلية عامة قبل أن ينتبه إلى المكونات الجزئية لها. وهكذا يستطرد نمو الطفل في أساليبه ومناحيه استطرادًا ينحو به دائما من المجمل إلى المفصل، ومن العام إلى الخاص، ومن الكل إلى الجزء.

لهذا سارت التربية الحديثة على نفس هذا الأسلوب في أصولها ومناهجها وطرقها، وهكذا يبدأ الطفل المعاصر تعلمه اللغوي بالعبارة قبل الجملة، وبالجملة قبل الكلمة، وبالكلمة قبل الحروف الهجائية.

[٤] الاتجاه المضاد أو الاضمحلال:

يتراجع النمو في هيئته البنائية التكوينية الوظيفية تراجعا يهدف إلى النقصان والانحلال والشيخوخة والهرم، كما كان يسير حثيثا نحو الزيادة والقوة والاكتمال. هذا وتسير الزيادة جنبا إلى جنب مع النقصان، فتفوق الزيادة النقصان في مستهل الحياة ومقتبل العمر، وتتساويان ويتعادل أثرهما عند اكتمال النضج والرشد، ثم يتفوق النقصان عند الشيخوخة.

سرعة النمو:

يبدأ النمو منذ اللحظة الأولى التي تتكون فيها البيضة المخصبة، ثم يظل حتى يصل الفرد إلى اكتمال بلوغه ونضجه.

وبذلك ينمو الفرد في مسار متدرج، ومسلك متداخل الحدود والرسوم تنقاد فيه المظاهر المختلفة لتيار عام شامل ولا تنقاد للطفرات المباشرة ولا للتغيرات الفجائية؛ فالطفل الذي يبلغ اليوم خمس سنوات لا يستيقظ من نومه في اليوم الأول من سنته السادسة ليجد أن صفاته قد تطورت فجأة إلى صفات أخرى جديدة لا قبل له بها.

وقد يطرأ على بعض مظاهر النمو ما يعوقها عن السير قدما في طريقها المرسوم صوب غايتها المرجوة. كأن يمرض الفرد مرضا يعوق نموه ويحول بينه وبين تكونه الطبيعي. وقد تضعف حدة المرض وتزول أسبابه ودواعيه فيعاود النمو سيرته الأولي. وبذلك فالنمو تغير في نطاق الزمن.

ويتميز هذا التغير بسرعة عامة كلية تشمل جميع مظاهره المختلفة وتطوي الفرد كله في إطار النوع الذي ينتمي إليه، هذه السرعة الكلية العامة تخضع في جوهرها لنظام حيوي دقيق وتسفر في مظهرها العام عن صفة أساسية من صفات ظاهرة النمو.

وترتبط هذه السرعة الكلية ارتباطًا وثيقًا بكافة السرعات الجزئية التي تبدي كل مظهر خاص من مظاهر النمو.

الفصل السادس

التّدافُع وعلم النفس الاجتماعي

التَّدافُع وعلم النفس الاجتماعي

لعل من التعريفات الشهيرة التي تلقى تأييدا واسعًا في مجال علم النفس الاجتماعي هو تعريف "بارون وبايرن"، فيعرفانه بأنه ذلك الحقل العلمي "الذي يهدف إلى فهم طبيعة سلوكات الأفراد ومسببات هذا السلوك في المواقف الاجتماعية، مع العلم أننا نعني بمصطلح السلوك هنا مشاعر الفرد وأفكاره وأفعاله".

كذلك نجد "برم وكاسن" يذهبان مجددًا إلى تأكيد البعد الاجتماعي في تفسير سلوك الفرد إذ يقولان: "هو القراءة العلمية للطريقة التي يفكر ويشعر ويتصرف فيها الأفراد في المواقف الاجتماعية".

وأما "أرنسون" فيرى أن هذا العلم هو "قراءة التأثيرات التي يتركها بعض الناس في اعتقادات الآخرين وسلوكياتهم".

ويذهب "ديفيد مايرز" إلى تأكيد البعد العلمي في قراءة سلوك الفرد فيقول: "هو القراءة العلمية للكيفية التي يفكر فيها الناس ببعضهم، ويؤثرون في بعضهم، ويتصلون فيما بينهم".

ويتضح من التعريفات السابقة مع يلي:

أولاً: تؤكد التعريفات أن علم النفس الاجتماعي هو العلم الذي يدرس سلوك الأفراد كما يتشكل عن طريق المواقف والظروف الاجتماعية المختلفة. فاهتمام عالم النفس الاجتماعي ينصب على فهم سلوك الفرد من حيث هو متأثر ومؤثر في المواقف والظروف الاجتماعية، في حين أن التَّدافُع ليس مفهومًا قاصرًا على دراسة سلوك الفرد في المواقف والظروف الاجتماعية، وإنما يمتد ليصبح هو

السياق الذي يشكل المواقف الاجتماعية، وهو الهدف الأسمى لأهداف المواقف الاجتماعية وجملة السلوكيات الفردية الساعية نحو تحقيق أهدافها.

ثانيا: تؤكد التعريفات أيضًا، أن الفرد لا يعيش في فراغ أو بمعزل عن الآخرين، بل يمر بمواقف اجتماعية كثيرة يقوم الباحث في علم النفس الاجتماعي بفهمها وحصرها حتى يتمكن من فهم سلوك الفرد. ويقصد بالموقف هنا مجموعة الظروف (المنبهات الاجتماعية، ونمط العلاقات القائمة بين هذه المنبهات) التي تحيط بالفرد وتؤثر فيه. وهذه المواقف قد تكون ضيقة كوجود الفرد في أسرة أو جماعة اللعب، وقد تكون أوسع نوعا ما كوجوده في الجامعة أو المصنع أو المؤسسة التي يعمل فيها، وقد تكون واسعة جدًا كوجوده في المجتمع الكبير الذي يعيش فيه، ويبقى الفارق الأساسي والجوهري بين علم النفس الاجتماعي مفهوم التَّدافُع باعتبار أن حالة التَّدافُع هي الهدف الذي يسعى إليه سلوك الفرد وسلوك الأسرة والجماعة والمجتمع، فتعارض الأهداف والغايات بين الأفراد والجماعات هو الذي يؤدى إلى خلق المنبهات الاجتماعية وبالتالي نمط العلاقات القائمة بينها.

ثالثًا: إن عملية التأثير المتبادل بين الفرد والمحيط الاجتماعي بما فيه من مواقف مختلفة وظروف متباينة تشكل المجال الرئيسي لهذا العلم، ففي حين يركز علم النفس الاجتماعي على عملية التأثير المتبادل بين الفرد والمجتمع، يظل التداخل هو الغاية لهذا التأثير المتبادل؛ فالفرد مدفوع للتواصل مع الجماعة، والجماعة مدفوعة للحفاظ على معايير المجتمع وتحقيق أهدافه.

مثال توضيحي:

ولنبدأ بموقف مألوف، وهو موقف الأستاذ الجامعي في أثناء إلقائه محاضرة ما في أحد التخصصات العلمية، حيث إن هذا الموقف هو موقف تفاعلي ينطوي

على تأثير متبادل بينه وبين طلابه، فالمعلومات التي يعطيها لهم، وأسلوبه في تدريسهم، وطريقة ضبطه لهم، ونمط تفكيره، واتجاهاته، تؤثر كلها فيهم وفي قيمهم واتجاهاتهم وطموحاتهم، أما من حيث تأثيرهم فيه؛ فإن مدى استماعهم له، ومتابعتهم لدرسه، وانتباههم ويقظتهم يزيده حماسًا ويدفعه للمزيد من الأداء الفاعل، وبمعنى آخر، إن ردود أفعال الطلبة على ما يقول (التغذية الراجعة) تجعله يعيد تقييمه لنفسه ولمحاضراته، فقد يتطلب الأمر منه أن يغير أسلوب تدريسه إذا استنتج من هذه الردود أنهم غير مهتمين، أو يضرب لهم مزيدًا من الأمثلة التوضيحية إذا شعر بضرورة ذلك، أو يبطئ في شرحه أو يُسرع فيه، إلى غير ذلك من عمليات التأثير المتبادل بينه وبين طلبته في ذلك الموقف التدريسي.

هذا الموقف قد يجسد القدرة على تحديد مجال دراسة علم النفس الاجتماعي، من حيث دراسة عمليات التأثير المتبادلة بين الفرد (أستاذ الجامعة) والجماعة (طلاب الجامعة)، في حين نجد أن المقصود بالتَّدافُع هنا هو الهدف الذي يسعى أستاذ الجامعة لتحقيقه من خلال التدريس للطلاب وقدرته على تمكينهم من فهم التخصص الذي يقومون بدراسته وتخريج كوادر علمية متخصصة تقوم هي بدورها في سياق عملية التَّدافُع المتتالية والمتعاقبة بين الأجيال، وهو نفس الهدف الذي يدفع الطلاب إلى حضور المحاضرة، وهو بالطبع ليس تقديم تغذية مرتجعة للمعلم أو أستاذ الجامعة وإنما تحقيقا لأهدافهم المستقبلية بدراسة التخصص الذي يؤهلهم للعمل به للقيام بدورهم في المجتمع وهنا يتحقق التَّدافُع المهني.

مثال توضيحي آخر:

هو موقف الممثل على المسرح، إن هذا الموقف هو موقف تفاعلي؛ فالممثل يؤثر في جمهوره بأكثر من طريقة: إما بحركاته التعبيرية، أو بطريقة تقمصه

لدوره، أو بطريقة أدائه لهذا الدور ومدى اندماجه فيه، أو بنبرة صوته. وفي الوقت الذي يؤثر فيهم، نجده أيضا يتأثر عن طريق ردود أفعالهم (تنبيهات أو مثيرات)، فتصفيقاتهم له، وإعجابهم بما يقوم به، ومشاركتهم له عاطفيًا تحفزه إلى مزيد من الإتقان في أدائه. أما إذا لم يشعر بتحفيزهم واندماجهم وتشجيعهم له فإن أداءه سيقل.

المتأمل لهذا المثال قد يظن البعض أن هدف الفن المسرحي هو دراسة عمليات التأثير المتبادلة بين الفرد (الممثل) وبين الجمهور (الجماعة أو المجتمع)، وفي ذلك إغفال لمضمون النص المسرحي والأفكار والقضايا التي يثيرها العمل المسرحي، فالممثل ليس كل العمل وإنما هو أحد عناصره، والهدف من العمل ليس فقط دراسة عمليات التأثير المتبادل بين الفرد والجماعة بقدر ما هو تحقيق لدور الفن المسرحي في المجتمع، فكل نص وكل عمل مسرحي هو تجسيد لعملية التَّدافُع الفني الذي يُمكن أن يساهم به العمل المسرحي الواحد، فالأعمال الفنية والمسرحية تتدافع لتحقيق أهدافها لخدمة المجتمع وتطويره وتنميته وتثقيفه.

وقديمًا نجد الإمام الغزالي – الذي يُعدّ أحد أعلام الفكر الإنساني – ففي كتابيه (إحياء علوم الدين) و(ميزان العمل) نجده يتحدث عن الحياة النفسية والاجتماعية، وهو أول من استخدم مصطلح علم النفس في كتابه (ميزان العمل) وكان يشير إلى هذا العلم أحيانا بعلم المعاملة. ويؤكد الغزالي الجانب الاجتماعي للسلوك الفردي.. ومن أهم إنجازات هذا المفكر في هذا المجال تحليله لظاهرة الأُلْفَةِ وَالصُّحْبَةِ، ودراسته النقدية للعادات السائدة في بعض المواقف النفسية والاجتماعية في عصره في المنازل والأسواق والطرقات، وأيضًا دراسته الواسعة للدوافع السلوكية والاجتماعية، ودراسته التحليلية للعادات والأخلاق وإمكانية تعديلها، فإحياء علوم الدين وميزان العمل للإمام الغزالي هي أعمال ساهمت بقدر ما في عملية التَّدافُع التي ساهمت في تأسيس علم النفس الاجتماعي.

أما ابن خلدون، فيعدُّ من أشهر المفكرين المسلمين الذين تركوا بصمات واضحة على الدراسات النفسية الاجتماعية، فهو من أوائل المفكرين الذين قالوا العلاقة التبادلية بين الإنسان والمجتمع؛ أي إن الإنسان يؤثر في بيئته الاجتماعية ويغيرها، وهذه البيئة الخارجية تؤثر هي الأخرى فيه وتغيره. وهكذا نجد أن العلماء والمفكرين يساهمون بأعمالهم في تشكيل عملية التَّدافُع العلمي والمجتمعي، وهي حلقة من التَّدافُع العلمي والثقافي والمجتمعي لا تنتهي طالما بقيت الحياة، فلكل زمن علماؤه وَمُفَكِّرِيهِ وَكُتَّابِهِ، وتتوالى التدافعات في كل زمان ومكان يعيش فيه الإنسان.

ومجمل العرض السابق نجد أن علم النفس الاجتماعي قد يتناول بالدراسة موضوعات متنوعة مثل:

- التجاذب والحب (Attraction and Love)، أي ما الذي يجذبنا نحو بعض الناس أي عوامل الجذب، وما الذي ينفرنا من بعضهم الآخر أي عوامل التنافر؟.
- العدوان والعنف (Aggression and Violence)، ما مسببات السلوك العدواني والسلوك الذي يتصف بالعنف؟ وما الخطوات والإجراءات التي يمكن اتخاذها لتفادي مثل هذه الأنماط السلوكية غير المقبولة اجتماعيًا؟.
- الإدراك الاجتماعي (Social Perception)، كيف تتشكل انطباعاتنا الأولية عن الآخرين؟ وما الذي يؤدي إلى تشويه إدراكاتنا له؟.

ويظل التَّدافُع هو حالة السعي نحو تحقيق الأهداف، والتي تتضمن كل العناصر السابقة من تجاذب أو تنافر أو عدوان أو عنف أو تفاعل أو ادراك اجتماعي، فكل هذه العمليات تُشَكِّلُ الحالة الديناميية المحققة لديمومة الحياة والتَّدافُع فيها.

الفصل السابع

التّدافُع ومعايير الجماعة

التّدافُع ومعايير الجماعة

الجماعة تكوين وظيفي يرتبط به الأفراد لإشباع حاجاتهم: الجسمية والنفسية والاجتماعية (الجوع، الأمن، الانتماء....)، إذا فشلت الجماعة في إشباع هذه الحاجات، يختل توازنها وبالتالي يضطرب تدافعها.

فالجماعة وحدة اجتماعية تمثل كُلاًّ وَاحِدًا، يتكون من أفراد بينهم تفاعل وعلاقات. ويقوم تفاعل الأفراد وعلاقاتهم فيها على أساس الأدوار والمعايير الاجتماعية وإشباع الحاجات والسعي نحو تحقيق الأهداف والغايات، فالجماعة واحدة من أهم عناصر التَّدافُع الإيجابي في المجتمع، والتي تساهم في تحديد دور الفرد فيها وقدرته على تحديد وتحقيق أهدافه وتجسد قدرته على تحقيق التَّدافُع الإيجابي، فالجماعة قوة دفع إيجابي للفرد في اتجاه المجتمع والدولة.

خصائص الجماعة

من حيث: معايير السلوك، والأهداف، والتفاعل، والبناء، والاتصال وغيرها، فسنجد أنها تتسم بالخصائص الآتية:

١- وحدة المعايير والقيم التي توجه سلوك كل فرد من أفرادها في تفاعله مع الآخرين ومع البيئة المحيطة. ومعايير الجماعة تكون إطارا مرجعيا يُنسب أفراد الجماعة سلوكهم إليه، ويحدد توقعاتهم من سلوك زملائهم نحوهم، كما أنها تحدد مكانة الفرد في الجماعة بمقدر دفاعه عنها وتدافعه معها وتمسكه بها واتخذها أسلوبا لحياته وموجها لسلوكه.

٢- وحدة الهدف التي تسعي الجماعة إلى تحقيقه، وتكون أهداف الجماعة هي إشباع حاجاتها وتحقيق أهدافها وتدافعها مع المجتمع الأكبر وبالتالي الدولة.

٣-الجماعة كيان، وهذا الكيان دينامي (حيَّ)، أي أن أفرادها في حالة تفاعل وتدافع مستمر، فأحد مكونات مفهوم الجماعة هو التفاعل الاجتماعي وما يصاحب هذا التفاعل من عمليات تعاون وتنافس وصراع، وما يتم خلاله من تكوين وتعديل للاتجاهات والسلوك.

٤-وجود نمط تفاعل ثابت ومنظم له نتائجه بالنسبة إلى أعضاء الجماعة، ويكون التفاعل إما صريحا بواسطة عمليات فعلية والعمل معا لتحقيق أهداف الجماعة، أو ضمنيا بواسطة التوحد والارتباط بقيم مشتركة. مثل الثبات في تفاعل الجماعة الدينية أو الجماعة المهنية أو الجماعة العسكرية، بحيث أن التفاعل الاجتماعي بين أفراد الجماعة ليس هدفًا في حد ذاته بقدر ما هو حلقة لتحقيق أهداف الجماعة وهو التَّدافُع المجتمعي الذي يحقق أهدافها التى تسعى إليها.

٥-وجود بناء للجماعة قوامه الأدوار الاجتماعية والمراكز الاجتماعية. فالجماعة بناء أو تنظيم أو كيان لبناته الأساسية الأدوار والمراكز الاجتماعية، والتي بدورها تحدد نمط وطبيعة وشدة التَّدافُع بين أفرادها.

٦-وجود طريقة للاتصال، خاصة اللغة والرموز، فاللغة أساسية في الجماعة؛ فهي الوسيط الأساسي الذي يتفاعل ويتدافع أفراد الجماعة مع بعضهم من خلاله تحقيقًا لأهداف الجماعة.

٧-وجود قيم ومعايير مشتركة تؤدي إلى ضبط شكل التَّدافُع بين أفراد الجماعة الواحدة من جهة، وبين الجماعة والجماعات الأخرى من جهة ثانية.

أهمية الجماعة للفرد

تصور أنك تعيش منفردا وحيدا خارج دائرة الجماعة، فما الذي ستفتقده؟ ماذا عن الصداقات التي لديك؟ وماذا عن المعايير التي توجه سلوكك (ما هو صح

وما هو خطأ، ما هو حلال وما هو حرام، ما هو جيد وما هو ردئ، ما هو جميل وما هو قبيح ...). ويمكن أن تسأل الكثير من هذه الأسئلة.

*** وفي ضوء ذلك، تلاحظ أن أهمية الجماعة للفرد كبيرة ومتعددة الجوانب، نذكر منها:**

١. اكتساب معايير السلوك التي تحدد نَسْقُ التَّدافُع في إطار الجماعة ويتعلم الفرد المعايير والموجهات لسلوكه بما يسد حاجاته الاجتماعية والفردية.
٢. وحدة الهدف من خلال اكتساب خبرة الجماعة، بما يساعد الفرد على التَّدافُع وتحقيق أهدافه وحل مشكلاته.
٣. اكتساب فلسفة خاصة بالحياة تجعل لوجود الفرد معنى ومبررا. هل لديك فلسفة للحياة توصلت إليها بنفسك؟ وهذا هو الغاية الأسمى لوجود الجماعة وهو التَّدافُع لتحقيق أهداف وغايات جماعية تتجاوز حدود الأفراد لتصل للمجتمع الأصلي كله.
٤. اكتساب قوة نواجه بها الحياة كأفراد (التَّدافُع من خلال الجماعة).
٥. إشباع حاجاتنا مثل: الحاجة إلى الأمن، والحاجة إلى الانتماء.
٦. الشعور بالرضى في عملنا كأفراد في الجماعة، نتيجة لإشباع حاجاتنا وقدرتنا على التدافع.

أسس التصنيف والتصنيفات المختلفة للجماعة

عند التفكير في تصنيف الجماعات نجد أنفسنا أمام أسس متعددة يمكن أن يتم التصنيف وفقها. فيمكن أن نصنفهم على أساس اللون (لون البشرة)، ويمكن أن تصنفهم على أساس الجنس (فتقول ذكور وإناث)، أو على أساس الدين، أو على أساس المناطق التي يقطنون بها، وغير ذلك من الأسس. لكن يبقى في

جميع حالات التصنيف، أنهم يشكلون المجموعة نفسها، رغم أن التَّدافُع قد يختلف بين أفرادها عند إجراء هذه التصنيفات.

وبهذا المنطق يتم تصنيف الجماعات، أي أنها تصنف على أسس متعددة مثل؛ الحجم (صغيرة وكبيرة)، ودرجة العلاقة بين الأعضاء (أولية وثانوية)، والتقارب المكاني، وغير ذلك من الأسس. ونلاحظ أن الاتجاه في التصنيف هو التصنيف الثنائي، مثل تصنيف الجماعات إلى رسمية وغير رسمية، وأولية وثانوية، وصغيرة وكبيرة، ومؤقتة ودائمة، وموضوعية وذاتية، وجزئية وكلية، وداخلية وخارجية.

ولنأخذ أمثلة من التصنيفات السابقة ونحاول توضيحها، وتبيان أنواع العلاقات بين أفرادها، وسنكتفي بالتصنيفات إلى أولية وثانوية، ومؤقتة ودائمة، وجزئية وكلية.

الجماعات الأولية والجماعات الثانوية

يقوم تصنيف الجماعات إلى أولية وثانوية على أساس أسبقية ظهور الجماعة في حياة الفرد. وبهذا المعني يقصد بالجماعة الأولية (مثل الأسرة والدين)، الجماعة التي تسبق الجماعة الثانوية (مثل الأحزاب السياسية، والهيئات العلمية، والنقابات المهنية) من حيث الظهور في حياة الفرد والتأثير في تكوينه.

في الجماعات الأولية يكون اتصال الفرد مع أفراد الجماعة الأخرى مباشرا ومستمرا وعميقا، وتكون علاقاته بهم مباشرة وقوية. وفي ظلال هذه الجماعة، كما تعرف، تتشكل شخصيته، كما أن قراءة أثر الجماعة الأولى في السلوك الاجتماعي تؤدي بنا إلى فهم سلوك الفرد في الجماعات الكبيرة المعقدة والمتشابكة مثل: الجماعات المهنية والجماعات القومية. فالأسس الأولى لهذا السلوك تتكون في الجماعات الأولية، وتسري منها إلى الجماعات الثانوية، فنوع

استجابة الطفل وتدافعه مع سلطة أبيه يفسر لنا الأسس النفسية لاستجابة الإنسان وتدافعه مع القانون.

أما الجماعات الثانوية فتمثل الرغبات والحاجات العامة للفرد، ويتصف سلوكه فيها بالقصد والاختيار وهذا هو التَّدافُع الاختياري، أي يشارك فيها ولديه تصور مسبق، ولتحقيق غاية تقوم على نظام يحدد العلاقات، وتوزيع المسؤولية والقوة ممثلة بالسلطة التي يحددها النظام، وتكون العلاقات فيها غير شخصية، ويسودها السلوك العقلاني، ومن أمثلتها: المدرسة، والوزارة، والمستشفى. كما تكون غير مباشرة وتعتمد على وسائل الاتصال غير المباشر كالصحف. فلو أخذنا العامل العضو في نقابة العمال، كمثل، فكيف تتصور الاتصال بينه وبين العمال الآخرين الأعضاء في النقابة في المناطق المختلفة؟

وثمة سمة أخرى للجماعات الثانوية، وهي أنها تتطلب تنظيما وتنسيقا يفوق ما تتطلبه الجماعة الأولية.

الجماعات الجزئية والجماعات الكلية

يستند هذا التصنيف إلى مدى اشتراك الفرد في نشاط الجماعة ومدى سيطرتها على حياته. ومن أمثله الجماعة الجزئية النادي الرياضي الذي يشترك العضو في جزء من أنشطته. ومن الأمثلة على الجماعة الكلية "الجماعة الدينية" حيث تسيطر الجماعة سيطرة كلية على حياة العضو فيها، وتفني فيها شخصيته، وتصبح بمثلها ومبادئها هي كل ما يحيا له الفرد.

الفرق بين العلاقات في هذين النوعين من الجماعات من حيث: القوة، والعمق، والثبات. لو طلب مدير النادي شيئا من عضو النادي، هل يمكن أن يرفضه؟ لو طلب رئيس الجماعة الدينية من أحد أعضائها أمرا، ما مدى احتمال رفضه؟

الجماعة المرجعية (Reference Group)

هي تلك الجماعة التي يرجع إليها الفرد في تقويم سلوكه الاجتماعي، ويربط نفسه بها، أو يأمل أن يرتبط بها نفسيا، ويتأثر سلوكه بسلوك الآخرين فيها؛ أي أنه يتأثر بمعاييرها والاتجاهات السائدة فيها، ويؤدي فيها أحبُّ الأدوار الاجتماعية إلى نفسه، وهي أكثر إشباعا لحاجاته. ويشارك أعضاءها الآخرين دوافعهم وميولهم واتجاهاتهم وقيمهم ومثلهم، ويتوحد بها، ويُعدُّها جماعته وأداته في تحقيق التَّدافُع الأمثل الذي يحقق أهدافه الشخصية.

*** ويتوقف مدى تأثير الجماعة المرجعية في سلوك الفرد فيها على عوامل عدة، منها:**

١. مدى إدراك الفرد لمكانة الجماعة وقدرتها على التَّدافُع لتحقيق أهداف الجماعة.
٢. مدى وضوح موقف الجماعة من موضوعات السلوك الاجتماعي لدى الفرد.
٣. مدى إدراك الفرد للأهداف المشتركة في الجماعة.
٤. مدى إشباع حاجاته فيها.
٥. مدى شعوره بالأمان فيها.

خذ جماعة مرجعية ولتكن أسرتك، وحاول أن تستوضح مدى تأثيرها في أعضائها في ضوء المعايير السابقة.

والنوع الأخير الذي نود الإشارة إليه من أنواع الجماعات هو الجمهرة.

إن أحد الأسباب المهمة لإيجابيتنا للجماعة وامتثالنا لها هو الخوف من النتائج السلبية لظهورنا بمظهر المنحرف أو الشاذ عن الآخرين. فرغبتنا في أن

نكون مقبولين لدى الآخرين ومرغوب فينا يجنبنا أن نسلك طرقا تظهرنا بشكل غير مريح لهم. وربما نرغب في أن ننظر إلى أنفسنا كأفراد فريدين، إلا أن الاختلاف مع الآخرين والتصادم معهم يمكن أن يكون مزعجا. فالأفراد الذين ينحرفون عن معايير الجماعة عادة يرفضون، وربما يستهزأ بهم، وينظر إليهم بوصفهم غير متزنين. وهذا النوع من التأثير يسمى بالتأثير المعياري (Normative Influence)، وهو امتثال الفرد لخوفه من النتائج الاجتماعية السلبية المترتبة عن انحرافه.

ويصاحب التأثير عادة التهديد بحرمان الفرد من عضوية الجماعة أو من مركز اجتماعي أو قيادي فيها، وإيقاع العقاب عليه.

وسبب من أسباب امتثال الفرد للجماعة (التَّدافُع من خلال الجماعة) هو اعتقاده بأنهم على صواب في أحكامهم. فمن الطبيعي أن يعتقد الفرد بأن عقلين أفضل من عقل واحد. (ألا تعتقد بأن هذه السيكولوجية هي أساس الأخذ بحكم الأغلبية في عملية اتخاذ القرار في الحياة الاجتماعية؟). والفرد في هذه الحالة يرغب في أن يكون سلوكه أو حكمه صحيحا، ويتوقع من الآخرين الذين يتفقون على شيء أن يكونوا على صواب، وخاصة عندما لا يكون لديه هو نفسه معلومات تؤكد صحة موقفه أو حكمه. وهذا ما يسمي بالتأثير الإعلامي (Informational Influence).

وهناك عوامل أخرى تسهم في تدافع الفرد من خلال الجماعة، مثل نجاح الجماعة التي ينتمي إليها، والمكانة التي يحتلها مصدر التأثير فيه (كالقادة الفكريين السياسيين). أضْفِ إلى أن ألوان الثواب والعقاب التي تمارسها الجماعة على الفرد ليمتثل لها.

ومجمل ما سبق يؤكد أن الجماعة ليست هدفًا في حد ذاتها بقدر ما هي وسيلة يلجأ إليها الفرد لكي يتجنب التَّدافُع الفردي الذي يواجه كثير من الصعوبات، فيسعى للتدافع من خلال جماعة تسعى لتحقيق أهدافه العامة والخاصة.

الفصل الثامن

التّدافُع والعلاقات الأسرية

التّدافُع والعلاقات الأسرية

مقدمة:

تعتبر الأسرة هي الحلقة الاولى من حلقات التَّدافُع والتى تبدأ بلحظة الميلاد، وهي تلك اللحظة التي يُدفع فيها الوليد من عالم الرَّحم إلى عالم الحياة مع الآخرين وبينهم ومعهم، إيذانا بالدخول في سلسلة لا تنتهي من التدافعات المختلفة والمتعددة عبر مراحل العمر المختلفة والتي لا تتوقف إلا بتوقف الحياة حتى يُدفع الإنسان الدفع الأخير إلى حيث قبره ومثواه الأخير.

والتَّدافُع السوي يحتاج إلى العديد من القواعد والقوانين التى تنظمه حتى تحافظ على مساره في اتجاه السواء والأسرة هي الحاضنة الأولى لتلك القواعد والقوانين التي يمكن من خلاها أن يتحقق معه سواء الطفل أو اضطرابه، فالأسرة هي وحدة المجتمع الأولى، وهي الواسطة أو حلقة الوصل بين الفرد والمجتمع، وهي الواسطة بين الثقافة والشخصية، وهي الوسط الإنساني "الأولي" الذي ينشأ فيه الطفل، ويكتسب في نطاقها أول أساليبه السلوكية، التي تمكنه من التوافق مع المجتمع.

التَّدافُع وبدايات الحياة الزوجية:

تعتبر السنة الأولى من الزواج من أهم فترات الحياة المشتركة بين طرفي العلاقة، وكيفية التعايش والتعامل خلالها مع الطرف الآخر من العوامل المحددة لمصير العلاقة الزوجية، ولأنها تضم الأيام الأولى للانتقال من مرحلة العزوبية إلى مرحلة الحياة الزوجية المشتركة فهي تعتبر فترة دقيقة وحساسة في العلاقة وهو ما يجعلها صعبة على الطرفين. الأمر الذي يتسبب في الكثير من حالات الطلاق في السنة الأولى من الزواج، ويجعل من الأهمية بمكان للطرفين المقبلين

على الزواج، أن يتعرفا على نصائح وآراء المختصين في علم النفس وفي الحياة الأسرية.

وتفسر صعوبة الفترة الأولى من الزواج بكون الثنائي لم يتعود على الحياة المشتركة، وكأن كل طرف يكتشف نمطا جديدا من العيش بتفاصيل يومية مختلفة عن حياته كأعزب، وبأهداف مستقبلية جديدة يخشى أن يفشل في تحقيقها، وبالتالي يسيطر الخوف من المستقبل على حيِّز هام من مشاعره وجانب هام من تفكيره، ولعل من أكثر عناصر وعوامل التَّدافُع التي تؤثر على نجاح وسير الحياة الزواجية خلال العام الاول:

- **اختلاف الطِّباع:** يعتبر اختلاف الطِّباع بين الزوجين أكبر عقبة يواجهها كلاهما، فقد يكون أحدهما رومانسيًا يحب التعبير عن الحب بالكلام والورود بينما يكون الآخر عمليًا لا يلتفت لتلك الأمور لكنه قد يستطيع التعبير عن حبه بالأفعال، وقد يكون أحدهما شديد النظام بينما الآخر شديد الفوضوية، بل حتى فكرة العصبية والهدوء والصوت العالي والصوت المنخفض وغير ذلك من تلك الأمور.
- **تسلط أحد الزوجين واستسلام الآخر:** من المؤسف أن يكون أحد الزوجين متسلطًا أو متحكمًا أو أنانيًا إلى حد كبير، ولا يظن أحد أن الرجل دائمًا هو المشكلة فأحيانًا تكون المرأة هي المتسلطة، والزواج يعني شراكة كاملة وصداقة تامة وليس تسلطًا أو تحكمًا من طرف على الآخر.
- **تدخُّل الأهل:** كثيرًا ما يكون تدخل الأهل هو المشكلة ولا يجب على الأهل التدخل إلا بالإصلاح أو إن طلب الزوجان ذلك، ولا يجب التحيز لابنهم أو ابنتهم ولكن يجب التعامل بحكمة، وإنصاف من معه الحق، وتوجيه الطرف الآخر بلطف.

- **المقارنـة بعلاقـة سـابقة:** عندما يكون أحد الطرفين أو كلاهما قد مر بخطبة أو زواج سابق فكثيرًا ما يعقد المقارنة، خاصة إن كان هذا الطرف مجبرًا على الفراق، بل يفضل حتى وإن كانت المقارنة إيجابية ألا يذكر اسم الخطيب أو الزوج أو الخطيبة أو الزوجة السابقة.

ولسنا في حاجة – في هذا المقام – إلى الحديث عن أهمية الأسرة القصوى في تكوين الشخصية، وقد أضحى ذلك من مسلمات علم النفس اليوم. ويكفي أن الكائن الإنساني يمر بمرحلة الحضانة البيولوجية في رحم الأم، وعندما تنتهي هذه المرحلة بالميلاد، فإنها تدفعه إلى مرحلة الحضانة الاجتماعية، وهي تتم بالدرجة الأولى في الأسرة، لتعمل على تحويل إمكاناته واستعداداته السلوكية إلى سلوك فعلي. وإذا كان من المتعارف عليه عند الحديث عن الأسرة أن نقصر الحديث على جوانب التأثير البيئي، فإن تأثير الأسرة في الحقيقة يمتد إلى ما قبل ذلك، أي إلى عملية الاختيار الزواجي. وعلى ذلك فإن ما يرثه الطفل من صفات من والديه وأسلافه يدخل بصورة ما في نطاق التأثير الأسري.

والأسرة هي العامل الأساسي في صبغ سلوك الطفل بصيغة اجتماعية منذ نشأته الأولى وخلال مراحل نموه المختلفة التي تتولاها الأسرة بالعناية والرعاية وتأثيرها في توافقه النفسي أو سوء التوافق وكل ما يكتسبه الطفل من الأسرة من خبرات مؤلمة والناجمة عن أساليب خاطئة في التنشئة تظل راسخة في حياته حتى يكبر، وتؤدي به إلى اضطرابات نفسية وانفعالية واجتماعية في شخصيته مما تعرضه لبعض الأمراض النفسية التي تبعده عن حياة الأسوياء.

كما تؤثر أيضًا العلاقات بين الوالدين على صحة الطفل النفسية من حيث خلق جوًا يساعد على نمو الطفل إلى شخصية متكاملة متوازنة، وحاجاته إلى الأمن النفسي وإلى توافقه النفسي بالإضافة إلى وجود اتجاهات انفعالية سوية في الأسرة تساعد على الاستقرار وصحة نفسية لكافة الأفراد، وأن الخلافات والنزاعات

والمشكلات النفسية بين الوالدين يخلق جوًا مضطربًا ويؤدي إلى ظهور أنماط سلوكية غير سوية لدى الطفل؛ كالغيرة والعدوانية والأنانية وعدم الاتزان الانفعالي، ويهدد استقرار الجو الأسري والصحة النفسية لكافة أفراد الأسرة.

كما تؤثر العلاقات بين الوالدين والطفل على صحته النفسية وبين الأخوة على الصحة النفسية من خلال تكوين العلاقات والاتجاهات المملوءة بالحب والقبول والثقة التي تساعد الطفل في أن ينمو إلى شخص يحب غيره ويتقبل الآخرين ويثق فيهم، وخلق جو من الألفة والتعاون بين الأخوة بعضهم البعض وتؤدي إلى النمو النفسي السليم للطفل.

وتلعب العلاقات الأسرية دورًا كبيرا في سواء الطفل، أي في قدرته على التَّدافُع السوي والإيجابي أو التَّدافُع السلبي واضطراب التَّدافُع وهو ما يمثل سوء التوافق والدخول في عالم الاضطراب والمرض، ومن بين تلك سلسلة التدافعات التى تتعرض لها العلاقات الأسرية في رحلة البناء السوي للطفل فنجد العديد من العوامل التي تؤثر بدورها في قدرة الطفل على التوافق السوي والنمو القادر على التَّدافُع الإيجابي، ومن بين هذه العوامل:

[١] ترتيب الطفل في الأسرة:

ومما يبين خطورة وتعقد عملية التَّدافُع بين الطفل ووالديه، أن هذا التَّدافُع يتأثر بترتيب الطفل بين إخوته في المولد، وبالتالي أصبح متغير "الترتيب الولادي" (Birth Older) من المتغيرات الأسرية التي يعالجها الباحثون الآن كأحد العوامل التي تؤثر في شخصية الطفل.

وقد يكون شائعًا بين الناس أن الأطفال في الأسرة الواحدة يعيشون في بيئة واحدة، ولكن الأمر غير ذلك، فترتيب الطفل في الأسرة يجعل لكل منهم بيئة سيكولوجية مختلفة عن بيئة الآخر. وهذا التباين في البيئات يأتي من أن التفاعل

بين الوالدين – خاصة الأم – وكل ابن من أبنائها يختلف حسب موقعه بالنسبة لها، فتفاعلها مع الطفل الأول ليس كتفاعلها مع الطفل الأوسط، وتفاعلها من الأوسط ليس كتفاعلها مع الأخير. كذلك فإن الطفل الوحيد له بيئة سيكولوجية تختلف عن بيئة الآخرين من ذوي الأشقاء. كما أن للطفل الذكر وسط مجموعة من الأخوات الإناث، والبنت وسط مجموعة من الأخوة الذكور وضعًا خاصًا متميزًا.

فالطفل الأول أو الأكبر يأخذ قدرًا أكبر من الاهتمام ومن التدليل. ولهذا الطفل وضع فريد، وهو أنه يظل الملك المتوج على عرش الأسرة في الفترة التي يكون فيها وحيد والديه، ثم يتعرض للإبعاد عن العرش عند ولادة الطفل الثاني. وهو عندما يتعرض لهذه الأزمة والتي يشعر فيها باضطراب قدرته على التَّدافُع فيحاول أن يستعيد انتباه ورعاية والديه بشتى الأساليب التي قد تكون أساليب عدوانية أو استعطافية، وذلك لأنه يحارب في هذا الموقف من أجل استعادة حب الأم واهتمامها وبالتالي استعاده قدرته على التدافع.

أما الطفل الأصغر، فهو يتميز بأن مركزه ثابت في الأسرة، فكل طفل آخر يمكن أن يتغير مركزه أو ترتيبه بين الأخوة إلا الطفل الأصغر. وهو الطفل المدلل من قبل الجميع، ولا يخشى أن يفقد هذا التدليل كما حدث مع الطفل الأول. ولكنه كثيرًا ما يعاني من مشاعر قوية بالنقص أو الدونية، فهو دائمًا يوجد في بيئة تضم كبارًا أكثر قوة وأوسع تجربة، ولذلك فإن لهذا المركز مشكلاته العديدة، ويأتي بعد الطفل الأول في نسبة الأطفال المشكلين.

وأما الطفل الوحيد فهو مشكلة في حد ذاته، فمنافسه ليس الأخ أو الأخت ولكن منافسته تتجه إلى الوالد، فهو كطفل وحيد يكون هدفًا لتدليل أمه. وهي تخاف أن تفقده فتحيطه برعاية زائدة، وهو قد تعود أن يكون في بؤرة الاهتمام، ومكمن الخطورة بالنسبة لهذا الطفل أنه ينمو في بيئة محددة، ويكون تفاعله مع

أفراد كبار فقط، فهو محروم من التفاعل الاجتماعي مع أطفال من سنه، خاصة قبل سن المدرسة، وشبيه بموقف الطفل الوحيد – مع الفروق العديدة – موقف الطفل الذكر مع مجموعة من الإخوة الإناث أو موقف الطفلة الأنثى وسط مجموعة من الإخوة الذكور.

[٢] الحرمان من أحد الوالدين أو كلاهما:

أشارت نتائج الدراسات التي تناولت الحرمان من الوالدين، أن الأطفال الذين يتعرضون لهذا الموقف في وقت مبكر يعانون من اضطرابات شديدة وهي أكبر أزمة تجسد مفهوم اضطراب التدافع، وفي مقدمة هذه الاضطرابات الجوع الشديد إلى العاطفة، الذي يدفع بالطفل إلى بذل المحاولات الدائمة لجذب انتباه الآخرين واهتمامهم، والبحث القهري عن الحب والعاطفة عند الآخرين بأي ثمن، كما بينت الدراسات أن الحرمان المبكر من الأم يعوق تكوين الإحساس بالثقة في الآخرين، مما يدفع الطفل إلى الانزواء، وعدم الاكتراث وعدم القدرة على إنشاء علاقات إنسانية متوازنة مع الآخرين، والإحساس بالثقة ركن أساسي في تكوين الفرد النفسي كما يرى إريكسون في نظريته في النمو النفسي وهي أزمة الثقة.

الأسرة المنتجة لاضطراب التَّدافُع (للمرض والاضطراب):

والأسرة المنتجة لاضطراب التَّدافُع (للمرض والاضطراب) فرض يطرحه بعض علماء النفس والأطباء النفسيون معًا، بعد أن اكتشفوا – من خلال الدراسة والعلاج – الدور الكبير الذي تلعبه الأسرة في اضطراب قدرة الفرد على التدافع، وهم بذلك يعطون لبنية الأسرة ولظروفها الاقتصادية والاجتماعية بصفة عامة ثقلاً خاصًا في توفير الصحة أو نشأة المرض.

وفرض الأسرة المنتجة للمرض والاضطراب يقوم على أساس أن هناك بعض الأسر – بحكم بنيتها – أسر غير سوية، ويفصح عامل السواء في الأسرة

عن نفسه من خلال أحد الأبناء، وعادة ما يكون هذا الابن أكثر الأبناء تهيؤًا للوقوع في دائرة الاضطراب والمرض، فالمرض إذن طبقًا لهذا الفرض ليس اضطراب فرد، ولكنه اضطراب أسرة، أفصح عن نفسه من خلال أضعف الحلقات في الأسرة، وهو الطفل الأكثر تهيؤًا للاضطراب، ويحدث في مناخ الأسرة المنتجة للمرض بعد العمليات المرضية، وهي التي تعجل بظهور الأعراض المرضية لدى الطفل المريض.

وسنعرض فيما يلي لأهم العمليات الباثولوجية التي تميز "الأسرة المنتجة للاضطراب والمرض" وهي ما انتهى إليه عدد من دراسات وبحوث وملاحظات عدد من الباحثين في علم النفس والطب النفسي.

بعض العمليات المرضية في الأسرة المنجبة للمرض:

إن مشاكل الأسرة – سواء من وجهة نظر أعضاء الأسرة أو من وجهة نظر الملاحظ المتمرن – هي عبارة عن مواقف تهدد الحياة الانفعالية للأسرة كوحدة، أو مواقف تهدد استمرار الحياة الأسرية كهوية متفاعلة تؤدي وظيفتها، فالعلاقات الأسرية هي سلسلة من التدافعات التي قد تكون إيجابية فتؤدي إلى التوافق والسواء، أو التدافعات السلبية والتي يؤدي بدورها إلى الوقوع في دائرة الاضطراب والمرض، ونعتقد أنه من المناسب أن نقسم أنواع التدافعات في الأسرة إلى:

- **النوع الأول: التدافعات الأدائية Instrumental:** هي تدافعات تهدد جوانب الحياة الأدائية التي تحتاج إلى تنظيم وتخطيط خاص، أي الأنشطة الأساسية للكسب وأداء الوظائف الضرورية للمعيشة كالتدافعات الاقتصادية والتدافعات الصحية والتدافعات المتعلقة برعاية شئون المنزل، فعلى سبيل المثال تعطل الأب عن العمل أو عدم قدرة الأم على مباشرة عملها في المنزل – إعداد الطعام وترتيب البيت أو تربية الطفل أو مرض

أحد الأطفال بمرض مزمن أدى إلى شلل وتعطيل المتطلبات الأساسية للحياة الأسرية.

- **النوع الثاني: التدافعات الوجدانية Affective**: وتتضمن الجوانب الانفعالية في حياة الأسرة مثال ذلك طفل يداوم على إظهار الغضب ليرى إلى أي مدى يستطيع أن يتمادى في ذلك مع عدم جرأة الأم على وضع حد لتصرفاته، أو أب يخشى أن يكون متسلطًا وعندما تأتيه الشجاعة على الحديث تقوم الأم بكفه.

وقد تَدَّعِي الأسرة أن تدافعاتها أدائية، أي نتيجة لظروف اجتماعية واقتصادية ولكن على الأخصائي ألا يكتفي بهذا القول، بل عليه أن يبحث عن الجانب الوجداني في التدافع، وقد يحدث العكس فتَدَّعِي الأسرة أن تدافعاتها وجدانية مغفلة الجانب الأدائي فيها، وفي هذه الحالة على الأخصائي أن يتلفت إلى الجانب الأدائي للتدافعات، أي إلى الجانب الآخر من الشكوى لأنه من المفيد معرفة كل من الجانبين.

وقد أشار أكرمان (Ackerman, 1968) إلى أننا في أسرة المريض أمام جو أسري غير طبيعي وغير سوي، ويركز أكرمان على الاتجاهات العاطفية المتفاعلة في الأسرة، ويرى أنها تخلق مناخًا وجدانيًا غير سوي.

ويصور أكرمان هذا المناخ في الأسرة المنجبة للمرض قائلاً إنه يوجد فيها نوع من التناقض بين ما يبدو على السطح وما يحدث في الداخل، فما يبدو على السطح يوحي بالهدوء والثبات والاستقرار، ولكن هذا الهدوء لا يقوم على أسس قوية داخل الأسرة، وعلى نوعية العلاقات بين أفرادها، ولذا فهو هدوء وثبات يتسمان بالركود، وهو ثبات أميل إلى التوقف والجمود منه إلى الحياة والحركة.

ويذهب أكرمان إلى أن الوالدين في هذه الأسرة يريان أن كل شيء على ما يرام، وأن الأشياء يجب أن تظل كما هي، وينتشر في جو الأسرة نوع من "الموت الوجداني" (Affective Deadness)، وهذا الجو يصبغ التدافعات بين أفراد الأسرة بصبغة اكتئابية تتسم بالحد الأدنى من التلقائية والحيوية والحركة الحرة.

ولأن الهدوء هدوء ظاهري ومصطنع، فإنه يحدث من آن لآخر أن تمزقه بعض الثورات الانفعالية العنيفة، التي تبدأ من حادث صغير تافه، ولكنها سرعان ما تجتاح الأسرة كلها، وينقلب الهدوء إلى إثارة غامرة وذعر شديد، وتسري عدوى الثورة والتهيج بسرعة شديدة من أفراد الأسرة المفتقدين للاستقرار والأمن، وكما هبت الثورة فجأة فإنها تنطفئ فجأة، وتنحسر موجة الإثارة وتعود الأمور إلى سيرتها الأولى، وكأن شيئًا لم يحدث، ولا يتغير شيء في حياة الأسرة وأسلوب حياتها، ومع هذا الإنكار للحياة يقرر أكرمان أن المنزل يتحول إلى مكان موحش فارغ من العلاقات الإنسانية الدافئة.

وكأنما يفقد كل شيء معناه في هذه الأسرة، فالأبناء يتفوهون بالكلمات ويعبرون عن الأفكار، ولكن بدون شعور "ينظر كل منهم إلى الآخر دون أن يراه" ومن هنا فإن التَّدافُع في العلاقات الأسرية يفقدها صفتها الإنسانية، وتتأثر إلى حد كبير بعض الخصائص والصفات الإنسانية، مثل القدرة على التوافق مع الخبرات الجديدة، والقدرة على التعلم وعلى النمو وعلى النقد، ويستبدل الأبناء بهذا كله عالمًا سحريًا من صنع الخيال (التَّدافُع الخيالي).

وفي هذه الأسرة حرص على تأكيد قيم التفاني الكاذب والتضحية الجوفاء التي لا مبرر لها، وتركز الأسرة على بعض الأعمال الطقوسية التي لا معنى لها ولا قيمة، إلا تأكيد أعضاء الأسرة لأنفسهم بأنهم مثاليون، ويشعر أبناء هذه الأسر بالقلق والذنب، وتسري عدواهما بسهولة من واحد إلى آخر، وفي هذا الجو الكئيب يخاف عضو الأسرة دائمًا من أن يلام وأن يسب وأن يعاقب، وكدفاع ضد هذا

الخوف تنمو لدى عضو الأسرة الحاجة إلى كبش فداء، وإلى إلصاق التهم بالآخرين، ودمغهم بأوجه النقص بأسلوب إسقاطي.

ويشير أكرمان إلى نقطة هامة لدى أفراد هذه الأسر، وهي ارتباط الدافع الجنسي بالدافع العدواني، ولكنهما يعانيان معًا الكبت الشديد، ويسقط الفرد مشاعره على العالم الخارجي فيدركه عالمًا قاسيًا غير ودي، وعلى أفراد الأسرة لكي يواجهوا هذا العالم المعادي، أن يؤكدوا مبادئ الولاء المتبادل، فكل منهم يجب أن يشجع الآخرين ويدعمهم، وبدون التشجيع والدعم، فإن الجميع يشعرون بأنهم مهددون بالهلاك.

عدم نضج الوالدين:

يعتبر عدم اكتمال نضج الشخصية عند الوالدين، أو أحدهما في بعض الأحيان أو كليهما في معظم الأحيان، في مقدمة العوامل المهيئة للمرض عند الأبناء، فعلاقة المريض بأمه عامل حاسم في نشأة المرض ونموه، وتحمس للاتجاه القائل بأن المرض عند المريض ليس إلا مرضًا لانحراف الأسرة، والأسرة عنده وحدة واحدة وكائن عضوي، والعضو المريض داخل الأسرة هو الفرد الذي تعبر من خلاله الأسرة عن اضطرابها.

وقد يكون نسبة عدم النضج عند الآباء تتركز عند أحد الأبناء، وبالتالي فإن هذا الابن يكون حاملاً لدرجة أكبر من عدم السواء مما هو موجود عند أي من والديه، فإذا استمرت عملية تزايد عدم النضج من جيل إلى جيل، كان لابد وأن تنمو الأعراض المرضية واضحة صريحة، عند أحد الأبناء.

كما أن الوالدين لا يعترفان عادة بعدم نضجهما، ولكن يحدث في بعض الحالات أن يبالغ واحد منهما في إنكار الضعف وعدم النضج، ويتستر وراء واجهة من التوافق الزائد والزائف، وإذا حدث هذا من أحد الطرفين، فإن الآخر –

في معظم الحالات – يقر بالعجز، وبصعوباته في التوافق، وهذا التفاعل بين الزوجين يخلق علاقة سيطرة – خنوع، فالزوج الذي يدعي التوافق يميل إلى أن يتخذ موقف السيطرة، بينما يميل الزوج الآخر إلى اتخاذ موقف الخنوع.

كما أنه في الأسرة المنتجة للاضطراب والمرض تميل الأم إلى أن تكون الطرف المسيطر، بينما يتخذ الوالد موقف الخنوع، ويكون عاجزًا عن اتخاذ القرارات المناسبة في المواقف التي تعرض للأسرة، ويترك بذلك المجال للوالدة لتتسلط على جو الأسرة، وتشبع حاجتها إلى السيطرة.

ويلاحظ أن هناك تباعدًا عاطفيًا بين الوالدين يسمى الطلاق العاطفي، وما أن تشعر الأم بأنها تنتظر مولودًا حتى تتمركز بعاطفتها نحو الطفل الذي لم يولد بعد، بدلاً من الزوج الذي تكون معه في حالة طلاق عاطفي بالفعل.

وتكون العمليات المرضية تخص الثالوث المرضي بصفة خاصة، وهو "الأم – الأب – الابن المريض"، ويكون بقية أعضاء الأسرة بمعزل نسبيًا عن هذه الدائرة، وتكون حالة الثالوث المرضي كالآتي:

- **أم قاصرة:** عاجزة عن تحقيق التكيف، تعمد إلى السيطرة على ابنها، وتفعل كل شيء لحمايته، لا وجود حقيقي لزوجها في حياتها.
- **مريض ضعيف الحيلة:** يهب نفسه لأمه، لأنه لا يستطيع – ولا يسمح له– أن يفعل شيئًا غير ذلك، مما يعزز ضعفه.
- **والد هامشي:** ليس له قيمة سيكولوجية حقيقية في حياة ابنه. وهذه الهامشية تشجع الابن على الارتماء في أحضان الأم والارتباط بها، لحاجته إلى ما تقدمه له.

أن مشاعر الفشل وخيبة الأمل التي يواجهها كل زوج في زوجته، لها أثر كبير في نشأت المرض عند الطفل، فمثل هؤلاء الآباء لا يبحث كل منهم في الزواج عن شريك أو رفيق ناضج، وإنما يبحث عن أب محب عطوف في زوجه، إذن فكل منهما يتوقع أن يجد عند الآخر ما يفتقده هو وما يفتقده الطرف الآخر أيضًا، وعندما يخيب أملهما يشعران بالإحباط والضيق والفشل المريض.

وهذا الشعور عند الوالدين هو المناخ الملائم الذي تنشأ فيه المهيئات المرضية، فالأم تستدير إلى ابنها وتحيطه بحمايتها الزائدة، وتتحكم في حريته باسم المحافظة عليه، ويندر أن تسمح له بتصرف مستقل، وتضعه تحت الملاحظة الدقيقة والمستمرة، ويجد هؤلاء الأطفال أنفسهم مجبرين على أن يكون أطفال "نموذجيين"، وكما تريدهن الأمهات.

والطفل في هذه الأسرة ينشأ مثل غيره من الأطفال قاصرًا ضعيف الحيلة ويحتاج إلى مساعدة الآخرين، ولكنه يتحقق بعد ذلك أن هناك شيئًا مختلفًا بالنسبة لاعتماده على مساعدة والديه، فهو لا يجد مساعدة وإنما استحواذ، ويعيش تحت تهديد مستمر بأن يفقد حب الوالدين إذا فكر في الخروج على الإطار السلوكي المحدد له.

ويتفاعل انصياع الابن مع حاجة الوالدين إلى هذا الانصياع، وكلما أجهد الابن نفسه في إرضاء والديه، طلبا منه المزيد، وكلما أعطى لهما المزيد من الحب والامتثال عجل ذلك في إنهاك مصادره العاطفية، ووضعه على شفا الاضطراب النفسي.

الرسائل المزدوجة Double – Blind

الرسائل أو الروابط المزدوجة واحدة من أشهر التفاعلات أو التدافعات المرضية وأكثرها انتشارًا في الأسرة المنتجة للاضطراب أو المرض، ولعل

ديناميات هذا الموقف الذي يتعرض فيه الطفل لرسائل متناقضة من والديه من شأنه أن يؤدي به إلى المسالك والدروب المرضية.

إن كل فرد من أفراد الأسرة لديه نوع من التوقع الشعوري واللاشعوري لما سوف يقوم به الأعضاء الآخرين في الأسرة من سلوك هذه التوقعات تصبح قوة أو سلطة صامتة ينصاع لها بعض أفراد الأسرة ولا ينصاع لها البعض الآخر، كما نجد في كثير من الأحيان أن أحد أفراد الأسرة يُملي دور معين على فرد آخر ويقوم الآخر بتقبل هذا الدور، ولكن الملفت للنظر هنا أن هذه الأدوار المتبادلة بين العضوين من حيث فرض الدور يتم في مستوى لا شعوري ودون وعي تام من كلا الطرفين، وهنا يأتي دور الأخصائي المعالج بالإيضاح والإفصاح عن هذه الأدوار المتبادلة التي تكاد أن تأخذ شكل الاتفاق المتبادل بين أفراد الأسرة ولكن دون معرفة واضحة أو وعي بهذا الاتفاق.

والنموذج النمطي للمعاملة التي تخلق الرابطة المزدوجة هو أن يتلقى الطفل أمرين متعارضين، فيُؤمر بأن يفعل شيئًا، ثم يُؤمر – بطريقة أخرى – ألا يفعل نفس الشيء؛ فالأم قد تطلب من ابنها مطلبين كالآتي:

- **الأول:** مطلب عاطفي أو مطلب غير صريح وغير لفظي، إنما هي رسالة موجهة إليه من خلال سلوك الأم العاطفي نحوه، وفحوى هذا المطلب أن يبقى ابنًا مطيعًا ضعيفًا مرتبطًا بالأم، وهو مطلب غير لفظي وغير مباشر ولكنه قوي وملح.
- **الثاني:** مطلب لفظي وصريح ومباشر، وترسله الأم إلى ابنها عن طريق الأوامر اللفظية المباشرة، بأن يكون شخصًا ناضجًا مستقلاً متحملاً للمسئولية غير خاضع لأحد.

ويميل الابن في موقف الرابطة المزدوجة عندما يتلقى رسائل متعارضة من هذا النوع إلى استخدام عبارات استعارية من الناحية الأدبية، يساعد على ذلك أنه لا يستطيع أن يحدد ماذا يعني الآخرون بالضبط، عندما يتحدثون إليه. ويكون استخدام الاستعارة – في هذه الحال – ملجأ وملاذًا له من عدم الفهم.

القيم الشخصية المنحرفة Deviant Personal Values

وقد تحدث عن هذه القيم ودورها في نشأة المرض "شولمان" Shulman, 1968، وكان شولمان يعتقد أن المريض يصنع ولا يوجد، وهذه الصناعة تبدأ في الطفولة حيث يرى شولمان أن هناك عاملاً وسيطًا بين التنشئة الوالدية والاضطرابات النفسية، وهو ما أسماه القيم الشخصية، وهذه القيم أو القناعات الشخصية يكونها الفرد بنفسه خلال معيشته في كنف والديه، وفي ظل تنشئتهما له، وفي سياق تعليمهما له كيف يستجيب في مختلف المواقف، وهذه القيم إذا كانت سوية أو صحية فإنها تساعد الفرد على أن يتوافق مع بيئته ويسلك سلوكًا سويًا، أما إذا كانت غير سوية أو منحرفة، فإنها تكون عاملاً من عوامل الاضطراب النفسي.

ويحدد شولمان مجموعة من الأنماط السلوكية السلبية – الناشئة عن القيم الشخصية المنحرفة – والتي تنتج بدورها عن التدافعات الوالدية السلبية، وتؤدي هذه الأنماط بالطفل إلى سوء التوافق، ثم إلى المرض في المستقبل، ومن هذه الأنماط السلوكية ما يأتي:

- **زملة الطفل المتميز:** يحدث كنتيجة لسلوك الوالدين، أو لطبيعة الجو الأسري أن ينمو لدى الطفل الاعتقاد بأنه يختلف أو يتميز بدرجة ما عن أقرانه، وربما كان هذا الاختلاف يشير إلى أنه أكثر طيبة من الآخرين، أو أكثر شرًا منهم، ولا يظهر الطفل أي رغبة في التخلص من هذا

الاختلاف، وفي أن يسلك مثل الآخرين، بل يرحب بهذا التميز، ويجعله فضيلة يتمسك بها.

- **زملة الطفل النازع إلى السيطرة:** هذا الطفل يتعلم من والده السيطرة والتسلط، ويصطنع لذلك الأزمات العاطفية، وألوان السلوك الابتزازي ليجبر والدته على أن تسلك معه سلوكًا خاصًا، ويصعب جدًا التعامل مع هذا الطفل على أساس النِّدِّ لِلنِّدِّ، حيث إنها تتطلب درجة كبيرة من الأخذ والعطاء، في حين أن ما يشغل بال هذا الطفل في أي موقف، أو في أي علاقة هو لمن ستكون الغلبة في النهاية؟ وعندما تقابله في حياته مواقف ضاغطة، فإنه يلجأ إلى الأعراض العصابية بصورها الاندفاعية والانسحابية.

- **زملة الطفل العاجز:** وهذا الطفل سيء التوافق، ويشعر بالقصور في معظم المواقف، وهو قد تعوّد على الإحباط والفشل، وكان دائمًا يقف مواقف مشبعة، ويصبح مع الوقت أكثر اقتناعًا بأنه لن يستطيع أن يفعل ما هو مطلوب منه، ويفقد ثقته في نفسه، وقد ينسحب إلى عالم ضيق ومحدد ويتخلى عن اهتماماته مفضلاً الأساليب الهروبية.

- **الطفل الذي يريد أن يصبح هامًا ليرضي الآخرين:** وفي هذه الزملة فإن الطفل غالبًا ما يستغل من جانب الوالدين لكي يحقق لهم بعض الأهداف الخاصة مثل:

  - أن يخفف من شعور الوالدين بالوحدة.
  - أن يصلح علاقات زواجية غير سعيدة.
  - أن يحقق رغبات الوالدين في المركز الاجتماعي.
  - أن يستخدم الطفل كموضوع لإشباع حاجة الوالدين إلى القوة والسيطرة.

- أن يستخدم الطفل كوسيلة يشبع بها الوالدان حاجتهما إلى الضبط الخارجي والتوجيه.

الأدوار المرضية:

- **الأدوار الشاذة:** وهو الدور الذي ينفرد به الفرد لأنه يعكس خصوصيته. توجد خارج الأدوار الأسرية التقليدية أنواع أخرى من الأدوار يقوم بها بعض أفراد الأسرة وهي تلك الأدوار التي يتوقعها منهم باقي أفراد الأسرة أو هكذا يتصورون أنها الأدوار التي يتوقعها الآخرون منهم. ويكون هذا التصور لا شعوريًا في كثير من الأحيان مما يؤدي بهم للإحساس بضرورة القيام بها لعدم وجود أي خيار آخر، ولأن لهذه الأدوار وظيفة هامة هي الحفاظ على اتزان الأسرة في معظم الأحيان، ويمكن إعطاء المثال التالي لتوضيح الأمر.
- **الضحية:** حيث تجد الأسرة في بعض الأحيان وقد اختارت واحدًا أو أكثر من أفرادها للقيام بدور الضحية وتوجه إليه كل المشاعر السلبية والتوتر، ويصبح هذا العضو – الذي اختير للقيام بدور الضحية – الهدف لكل المشاعر المدمرة التي تثار وتتولد داخل الأسرة حتى تستطيع الأسرة أن تحافظ على تماسكها ووحدتها. كما تظهر هذه الأدوار كذلك عندما يفرضها أحد أعضاء الأسرة على عضو آخر في مواقف مختلفة ومتباينة، ولكن لأسباب ترجع للإشباعات الداخلية لكل منها.
- **الوسيط:** هو العضو الذي يقوم بدور الموفق بين شخصين على خلاف أو صراع في الأسرة.
- **المريض:** هو العضو الذي يسلك ويتحدث بضعف وبطريقة مرضية وغير صحية ولا يغير من موقفه هذا.

- **العضو الجيد:** هو العضو الذي لا يتسرع في إظهار مشاعره الملحة تجاه باقي أعضاء الأسرة ويتصرف طبقًا لما تتوقعه الأسرة منه.
- **العضو السيئ:** هو العضو الذي يتسرع في إظهار المشاعر الملحة باستمرار ولا يتصرف طبقًا لما تراه الأسرة.
- **الانقسامات في الأسرة:** وتعني الانقسامات في الأسرة وجود تكتلات أو مجموعات داخلها، فالأب قد يأخذ إلى جانبه بعض الأبناء، وكذلك قد تفعل الأم، أو أن ينجح أحد الوالدين في الاستحواذ على عاطفة واهتمام الأبناء جميعًا في صراعه مع الوالد الآخر، وكأن الأسرة ساحة صراع وليست واحة سلام، وتحدث عملية الصراع في معظمها على المستوى اللاشعوري، وإن كانت تبدو علنية وشعورية في بعض المواقف.
- **إعاقة عمليات التنميط الجنسي والهوية الجنسية:** ومن الأساليب الخاطئة في التنشئة – والتي تعود في معظم الحالات إلى باثولوجية الآباء أنفسهم – الفشل في تعليم الأبناء الممارسات وأساليب السلوك المناسبة لكل جنس كما حددتها الثقافة، وهي ما تسمى بعملية التنميط الجنسي Sex Typing أو "الهوية الجنسية" (Sexual Identity) ومما لا شك فيه أن عدم تعلم الطفل للسلوك المناسب لجنسه يسبب له كثيرًا من المتاعب، ويمكن أن يعيق توافقه السليم في البيئة، خاصة وأن معظم المجتمعات لا تتهاون إزاء الخلط في الأدوار الجنسية.

الفصل التاسع

التَّدافُع والصحة النفسية

التّدافُع والصحة النفسية

تعريفات في الصحة النفسية:

ظهرت مفاهيم متعددة وتعريفات متنوعة في ميدان الصحة النفسية، خاصة أن علم الصحة النفسية يتعامل مع السلوك والسمات المميزة لحالات السواء وعدم السواء والعوامل التي تتمتع بمظاهر الصحة النفسية أو الشعور بانحرافها أو اعتلالها وما يتبع ذلك من أساليب التوافق والتكيف سواء كانت سلبًا أو إيجابًا.

وأول من استهل مصطلح الصحة النفسية العالم أودلف ماير، وقد استخدم هذا المصطلح ليشير إلى نمو السلوك الشخصي والاجتماعي نحو السوية وعلى الوقاية من الاضطرابات النفسية؛ فالصحة النفسية تعني توافق الشخص مع العالم الخارجي المحيط به بطريقة تكفل له الشعور بالرضا، كما تجعل الفرد قادرًا على مواجهة المشكلات المختلفة.

وأشار البعض إلى أن تعريفات الصحة النفسية تعمل على تحديد مجالاتها وأهدافها ووسائلها وما يرتبط بها من عمليات داخلية وخارجية فقالوا أن الصحة النفسية هي السواء (وهذا هو المعنى المطلق لعملية التدافع).

وهناك تعريف "برنارد هارولد" للصحة النفسية، يقول المؤلف أنه "يمكن تعريف الصحة النفسية على أنها نواقص الأفراد مع أنفسهم ومع العالم بشكل عام بالحد الأقصى من الفعالية، والرضا والبهجة، والسلوك الاجتماعي المقبول، والقدرة على مواجهة الحياة وتقبلها، ويمكن وصف أعلى مستوى للصحة النفسية بناءً على المعطيات السابقة بأنه الحالة التي يحقق فيها الفرد مستوى عال من النجاح بتوافق واستعداداته الطبيعية، ويشعر فيها بأقصى حد من الرضا عن نفسه وعن النظام الاجتماعي، مع الشعور بالحد الأدنى من الخلافات والتوتر، ويعين ذلك

حالة من السعادة لا يشعر فيها الفرد بالقلق، ولا يظهر فيها سلوك غير مناسب ويحافظ فيها على مستواه الذهني والانفعالي في أي بيئة وفي مختلف الظروف.

هذا، وقد جاء أن الصحة النفسية هي تلك الحالة التي تتسم بالثبات النسبي والذي يكون فيه الفرد متمتعًا بالتوافق مع النفس والبيئة، ومتسمًا بالاتزان الانفعالي، وأن يشعر بالسعادة والرضا ولديه القدرة لتحقيق ذاته وسموها، ويصنع لنفسه مستوى من الطموح يتفق مع إمكاناته وقدراته واستعداداته لكي يتمكن من الوصول إلى هذا المستوى من الطموح، ولديه القدرة أيضًا في معرفة إمكاناته واستثمارها في أمثل صور ممكنة، ومثل هذا الشخص يُطلق عليه الشخص السوي.

والصحة النفسية تستطيع أن تقدم الكثير نحو تحقيق شخصيات إيجابية متوافقة مع نفسها ومع مجتمعها، قادرة على تجنب كل ما يعصف بحياتهم ويسبب لهم الاضطراب والقلق، كما أنها تُعنى بمساعدة الأفراد على تأدية أدوارهم في الحياة وفي أحسن صورة مما يجعلهم في حالة من الرضا والسعادة والثقة بالنفس.

وظهرت للصحة النفسية مجموعة كبيرة من التعريفات، وكان كل تعريف يركز على جانب معين من جوانب التوافق والصحة النفسية، حيث دلت بعض التعريفات على السلوك السوي الذي يسلكه الفرد أو قدرة الفرد على التوافق مع متطلبات الحياة أو التعلم أو التوفيق بين مطالب الفرد النفسية المختلفة، والقدرة على مواجهة الأزمات النفسية، حيث إذا نظرنا إلى هذه الجوانب التي تطرقت لها هذه التعاريف نجد أنها ليست تعاريف شاملة ولكنها تعريف لبعض الجوانب السلوكية التي قد تصدر عن أفراد يتمتعون بقدر مناسب من الصحة النفسية.

- **الاتجاه الطبيعي:** ويركز على الدوافع الغريزية في الإنسان مثل الجوع والجنس. ويرى أن الصحة النفسية هي القدرة على إشباع هذه الدوافع، على أن يتم هذا الإشباع في الحدود التي وضعتها البيئة، وهو ما يسمى بالمواءمة، والاضطراب العقلي هو الفشل في تحقيق هذه المواءمة.
- **الاتجاه الإنساني:** ويركز على وجهة النظر القائلة بأن الإنسان كائن عاقل ومفكر ومسئول، ويستطيع أن يسلك سلوكًا حسنًا، ينمي به ذاته ويحققها إذا تهيأت الظروف لذلك، والسلوك الشاذ – في هذه الحالة – ينتج عن إعاقة الإنسان في تحقيق ذاته.
- **الاتجاه الثقافي:** ويؤكد على الطبيعة الاجتماعية للإنسان، ويرى أن الهدف الأساسي أمام الإنسان هو التوافق مع المتطلبات الاجتماعية، وبذلك تكون الصحة النفسية رهنًا بقدرة الفرد على إقامة علاقات اجتماعية مثمرة مع الآخرين، وفشله في ذلك يعني الاضطراب النفسي.
- **الاتجاه الوجودي:** ويشير إلى انهيار القيم التقليدية وضرورة بحث الإنسان عن هوية خاصة به، وأن يعرف معنى وجوده، وأن يسعى لتحقيق هذا الوجود، والفشل في تحقيق هذا الهدف يعني الاضطراب بكل صوره.
- **الاتجاه الديني:** ويؤكد هذا الاتجاه على ضعف الإنسان، واعتماده على الله، وعلى أن خلاص الإنسان لن يتم إلا بالتجائه إلى الله، واعتماده عليه.

ويذكر كولمان أن كثيرًا من العلماء يعتمدون الاتجاه الانتقائي الذي يتضمن منهجًا مشتقًا من كل هذه الاتجاهات.

ويقوم مفهوم الصحة النفسية على إيضاح عديد من المفاهيم الآتية:

١- يقصد بالوظائف النفسية جوانب الشخصية المختلفة. الجسمية منها والعقلية والانفعالية والدافعية والاجتماعية، ولكل جانب من هذه الجوانب

وظائف فرعية بالطبع، وإذا كانت سيطرة الفرد الإرادية محدودة على الجوانب الجسمية، فإن الجوانب الأخرى تتأثر بصورة أكبر بالبيئة والتعلم، وبالتالي فهي تقع في نطاق سيطرة الإنسان بدرجة أكبر، ومن هذه الوظائف التذكر والانتباه والإدراك والتفكير والانفعال والاجتماع بالآخرين والالتزام بالمعايير الاجتماعية السائدة.

٢- نقصد بالتوازن ألا تطغى إحدى الوظائف النفسية على الوظائف الأخرى. ومعظم صور السلوك غير السوي في الأمراض النفسية تنتج عن المبالغة والتضخيم في إحدى الوظائف النفسية على حساب وظائف أخرى، وعجز الفرد عن إحداث التوازن أو إعادته إذا اختل بين الوظائف.

٣- يشير مفهوم التكامل إلى أن كل وظيفة نفسية تؤدي دورها أو عملها بتوافق وتناغم مع الوظائف الأخرى، باعتبارها جزءًا من نظام كلي عام، وهو الشخصية. وهذا النظام له أهدافه التي يجب أن تسعى جميع الأجزاء إلى تحقيقه، ومن الواضح أن عدم تكامل الوظائف النفسية وراء كثير من السلوك المضطرب. وشأن الشخصية المتكاملة الوظائف شأن الغدد الصماء، فالجهاز الغدي كله يعمل بدرجة عالية من الانسجام والتنسيق تحت قيادة الغدة النخامية، فإذا اختل هذا النظام ظهر أثر ذلك على الكائن في صورة ظواهر نمو شاذة، وأساليب منحرفة.

٤- تقبل الذات من الشروط الأساسية للصحة النفسية، فلا نتصور أن يتمتع بالصحة النفسية من يرفض ذاته أو يكرهها، أو يشعر بمشاعر الدونية أو الامتهان للذات، لأن هذا الفرد سوف تدفعه مشاعره السلبية إلى إتيان كثير من أساليب السلوك التي تتسم غالبًا بالفجاجة والمبالغة وعدم التعقل ليحسِّن صورته أمام نفسه، وأمام الآخرين. كما يصعب أن نتصور أن يحمل الفرد مشاعر إيجابية حقيقة نحو الآخرين، وهو لا يستطيع أن يحمل مشاعر مماثلة نحو نفسه.

٥- تقبل المجتمع أيضًا من الدلائل الأساسية للصحة النفسية، وقد رأينا أن معظم محكات السلوك السوي تشترط تقبل المجتمع أو رضاه عن السلوك. فالفرد عضو في جماعة لها ثقافتها، والثقافة هي النظام الذي ارتضته الجماعة لنفسها أسلوبًا للمعيشة وطريقة للتفكير، والفرد يستدخل – أثناء عملية التنشئة الاجتماعية – الأنماط الثقافية لجماعته. ونستطيع أن نقول إن الفرد لا يمكنه أن يعيش حياة سوية، بل طبيعية، ما لم يأخذ في اعتباره المجتمع وثقافته.

٦- أما مفهوم الرضا والكفاية. فنقصد بالرضا (Satisfaction) رضاء الفرد عن نفسه وشعوره بالسعادة (Happiness) والسعادة تشير إلى غياب المشاعر الاكتئابية، أما الكفاية (Sufficiency) فنعني بها الشعور الإيجابي الذي يشعر به الفرد عندما يأتي سلوكًا يترتب عليه تحقيق الذات (Self-Actualization)، وكلاً من الرضا والكفاية مظهران أساسيان يشيران إلى تمتع الفرد بالصحة النفسية.

(علاء كفافي، ١٩٩٠: ٣٦-٥٤)

ومن خلال العرض السابق يمكن بلورة التوافق من خلال مجموعة من الخصائص هي:

١- قدرة الإنسان على أن يعرف نفسه بصورة دقيقة، يقف بها الإنسان على مواطن الضعف أو القوة، والعمل على تجاوز مواطن الضعف واستغلال وتفعيل مواطن القوة.

٢- مدى تقبل الإنسان نفسه بما يحمله من جوانب إيجابية أو سلبية كمعيار هام في الوصول إلى الصحة النفسية.

٣- درجة الإشباع للحاجات والدوافع التي يحملها الشخص بصورة إيجابية دون كبت ومجال يتصف بالتقبل.

٤- القدرة على المرونة والتجاوب مع الظروف الطارئة وقدرته على استيعاب هذه التغيرات والتعامل معها.

٥- خلوه من الصراعات النفسية والإحباط وتجاوز أثرهما في تخفيف جوانب سلبية على بنية الشخصية.

٦- القدرة على الاستمرار في عمليات التوافق باعتبارها عملية ديناميية مستمرة يمارسها الفرد بصورة شعورية أو لاشعورية.

٧- مدى التوافق بين العمليات العقلية والنفسية من جهة والعمليات الجسمية من جهة أخرى باعتبارها خطوة فاعلة في الوصول إلى أقصى درجات التوافق.

٨- التكامل بين الجوانب النفسية والعقلية والجسمية والاجتماعية بصورة شاملة باعتبار العملية التوافقية عملية اجتماعية تتطلب توافق في هذا الجانب.

في ضوء هذا العرض السابق لتعريفات الصحة وبعض المفاهيم التي ترتكز عليها في رسم خريطة التوافق للفرد في علاقته بالواقع والعالم الخارجي متمثلاً في مفهوم التوافق وهو الهدف الاسمى الذي يجسد كل مفاهيم الصحة النفسية والاسس التي يقوم عليها من حيث التكامل بين الوظائف النفسية المختلفة والاحساس بالرضى والكفاية، نجد أن مفهوم التوافق هو وصف دقيق لمحاولة السعي للوصول إلى مفهوم السواء بكل ما يتضمنه من توازنات بين الدوافع الغريزية ومتطلبات المجتمع والتوافق مع الجماعة والمجتمع وبكل ما يحمله المعنى من توجه إيجابي نحو تحقيق الأهداف والشعور بالرضا والسعادة والتوازن النفسي، ويبدو أن هذا الوصف لمفهوم التوافق الساعي للسلوك السوي قد أقتصر على إصدار أحكام على الفرد، من حيث قدراته وامكانياته واحتياجاته وقدرته على تحقيق أهدافه الشخصية من خلال السلوك السوي الخاضع لمعايير الصحة النفسية ومحكات تقديرها، وهو الأمر الذي يتفق في بعض جوانبه الشخصية المحدود مع مفهوم التَّدافُع والذي يصف الحالة الأعم والاشمل لتحقيق الأهداف

والسعي للتوافق الشخصي والاجتماعي، وتجدر الاشارة إلى أن التوافق هو أحد أهداف عملية التَّدافُع والتى تتجاوز حدود الفرد لوصف حالة كلية وشمولية ومجتمعية تربط الفرد بالجماعة والمجتمع وتدخله إلى مستويات التَّدافُع الأكبر التى يتطلبها الواقع والمجتمع، وهنا علينا أن نصف التَّدافُع بأنه نتاج كلي لعمليات التَّدافُع النمائي السوي في إطار عمليات التنشئة الاجتماعية السوية التي تساهم في زيادة قدرة الفرد على التَّدافُع بشكل سوي داخل حدود الأسرة (التَّدافُع الاسري)، وبالتالي زيادة قدرته على التَّدافُع خارج نطاق الأسرة إلى التَّدافُع التعليمي والثقافي والديني والمجتمعي والمهني، فالحياة سلسلة لا تتوقف من التدافعات التي يكون لكل مجال منها أهدافه الخاصة بها ومتطلباتها الخاصة واحتياجاتها الخاصة من أجل تحقيق الأهداف التى تربط الفرد بالأسرة والجماعة والمجتمع والدولة والعالم كله.

العلاقة بين التوافق والتدافع:

لعل أول محددات العلاقة بين التوافق من حيث هو السلوك السوي والتَّدافُع نجد محكات السلوك السوي في مجال دراسة الصحة النفسية وهي:

محكات السلوك السوي:

والتي اقترحها العلماء للتمييز بين الصور السوية والصور غير السوية من السلوك، وسنرى أن بعضها محكات نظرية تقوم على التجريد، ومحاولة استخلاص سِمَة أو صفة تسم السلوك السوي وتميزه عن السلوك غير السوي، وبعضها الآخر عمل إجرائي يقوم على تحديد أساليب سلوكية معينة تشير إلى السواء، وأخرى تشير إلى عدم السواء.

وهذه هي أهم وأشهر المحكات النظرية التي اقترحها علماء النفس للتمييز بين صور السلوك السوية وصوره اللاسوية:

(١) المحك الإحصائي (Statistical Criterion)

يكاد المحك الإحصائي أن يكون الصياغة الرقمية لما هو سائد بين الناس. ويعتمد المحك الإحصائي على درجة تكرار السلوك وشيوعه بين أفراد الجماعة. فالسلوك الذي يصدر عن أكبر مجموعة من الأفراد يكون سلوكًا سويًا، أما السلوك الذي يصدر من جانب أفراد قليلين فهو سلوك غير سوي. وتظهر صلاحية هذا المحك أكثر ما تظهر في الجوانب الجسمية، لأنها بعيدة عن المعايير الاجتماعية والمسئولية الخلقية للأفراد، أي أنها قضايا محايدة بالنسبة للأخلاقيات والقيم وأسس التفضيل التي يعتنقها أفراد الجماعة.

ولعل الصياغة الرقمية التى تعبر عن موقع الفرد داخل الجماعة باعتبارها محكًا للسواء تبدو من حيث الشكل أنها تصف حالة توافقية مع الجماعة من حيث معدلات تكرار السلوك السوي، ولكنها في الوقت نفسه تسقط عناصر التميز والتفوق والاختلاف التي ترسم نمط وشكل التَّدافُع الإيجابي بدرجاته العالية والساعية إلى تحقيق القدر الاكبر من الأهداف على النحو الذي يحقق أهداف الفرد والجماعة والمجتمع وتحقق حالة الإنماء والرخاء التي يسعى المجتمع إلى تحقيقها من خلال أفراده.

وبناءً على هذا، فإن استخدام المحك الإحصائي يثير اللبس في بعض الجوانب، بل ويعتبر مقياسًا مضللاً في جوانب أخرى. لأننا نستخدم المحك أصلاً لتمييز السلوك غير السوي عن السلوك السوي بناء على معدل تكرار السلوك السوى داخل الجماعة واعتبار أن الانحراف عن المتوسط تجاه التميز والقدرات المرتفعة مؤشرًا للسلوك غير السوي مجردًا من المعنى والدلالة الاجتماعية والخلقية.

(٢) المعيار الباثولوجي أو المعيار المرضي:

ينظر إلى السواء على أنه الخلو من الأمراض، ومحكه هو ظهور أعراض أو أمراض تنتمي إلى فئة المرض.

علما بأن المرض يبدأ من الشكوى.. فمثلا: إذا ذهب شخص إلى العيادة النفسية بكامل إرادته نسأله بابتسامة ساذجة: خير؟! مم تشتكي؟!

فيجيب.. وكل كلمة ينطقها هنا تكون إقرار منه بأنه مريض! وعلى هذا نعود ونقول بأن المرض يبدأ من الشكوى.. فمتى بدأ الشخص بالشكوى يُسجل على أنه مريض.. وقد يكون هناك الكثير من المرضى مشبعين بالاضطراب ولكنهم لا يشتكون!

والمتأمل لهذا المحك سيجد أنه محك تقل فيه حدود الاختلاف، لأنه يستند إلى محك موضوعي وهو ظهور أعراض مرضية جسمية أو نفسية، باعتبارها من العوامل التى تؤثر على سواء الفرد أو اضطرابه، فإما أن يكون الشخص طبيعي سوي قادر على الدخول في سلسلة التدافعات التى يتطلبها الفرد والمجتمع ويحقق من خلالها أهدافه ويصبح شخصًا سويًا، وإما أن يكون مريضا فيفقد كل مقومات التَّدافُع الشخصي أو النفسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو التعليمى أو المهني وهنا يصبح الشخص غير سوي.

(٣) المعيار المثالي:

يعتبر هذا المعيار السوية هي المثالية وبلوغ الكمال في كل شيء؛ وتكون االلاسوية هي الانحراف عن الكمال.

* ولكن هل بالفعل أن كل شخص مثالي سوي؟! وهل كل شخص سوي مثالي؟! وهل يوجد بيننا أشخاص مثاليون؟!

– لا بد أن ننتبه إلى أن مفهوم المثالية هو مفهوم هلامي.. فلا يوجد بيننا أشخاص مثاليون.. نعم.. هناك متميزون.. وهناك أشخاص لا تحتمل الخطأ! لكن ليس هناك شخص مثالي كامل.. فالكمال لله والعصمة للأنبياء والأوصياء والرسل.. يقول (صلى الله عليه وسلم): "كل ابن آدم خطاء" وكلمة كل هنا تشير بوضوح إلى أن الخطأ يجب الجميع دون استثناء.. من هنا كان من الأجدر بنا أن نتعلم كيف نتقبل من أنفسنا الخطأ.. فموروث الخطأ هو الذي يهدي الإنسان إلى الصواب.

ويبدو أن هذا المعيار من بين المعايير النظرية غير المحددة إجرائيا، والتي يصعب معها وصف شخص بأنه مثالي، فنحكم عليه بإنه قادر على القيام بتدافعات تجعله قادر على تحقيق أهدافه، علما بأن أكثر ما يميز المثاليين أنهم قادرون على تحقيق أهداف يعجز الاشخاص العاديين عن تحقيقها، وهنا يأتي السؤال هل الشخص المثالي هو شخص سوي؟.

(٤) المحك الذاتي:

وهو أن يصبح الشخص بالنسبة لذاته هو معيار السواء والاضطراب، وهو الذي يخلق لنفسه قيمه ومعاييره، ويحكم على تصرفاته بالصحة والخطأ، وقد ظهر هذا المعيار في أعقاب الحرب العالمية الثانية.

ولكننا يجب ألا ننسى أن الأحكام التي تصدر على أساس المحك الذاتي، تتعرض في الكثير من الحالات للتشويه والتحريف، وذلك بحكم دوافع الفرد واتجاهاته وعلاقاته بالآخرين، خاصة في المواقف التي لا يكون فيها الفرد في موقف حيادي. ولذلك فإن هذا المحك إذ كان يصلح لإصدار أحكام السواء واللاسواء في بعض مواقف الحياة العامة، فإنه لا يمكن الركون إليه باعتباره محكًا علميًا دقيقًا، فضلا عن خروج المعيار وإسقاطه لمعايير وأهداف الجماعة،

وهو ما يتعارض كليًا مع مفهوم التَّدافُع باعتباره سلسلة لا تنتهي من التدافعات في مختلف المجالات تدفع الشخص للخضوع لمعايير الجماعة والمجتمع.

(٥) محك التوافق الشخصي Personal Adjustment Criterion

حياة الإنسان محاولات مستمرة لإشباع حاجاته الشخصية، ولإقامة علاقات منسجمة مع البيئة، وعندما يتعامل أحد الأفراد مع مشكلاته بكفاءة يقال إنه حسن التوافق، لأنه استطاع أن يتقابل أو يتواءم بنجاح مع كل من مطالبه البيولوجية الداخلية، ومطالب البيئة الاجتماعية الخارجية. أما إذا فشل في مواجهة مشكلاته فإننا نصفه بأنه سيء التوافق. ويفصح سوء التوافق عن نفسه من خلال مظاهر القلق والتوتر والتهور وبعض الأعراض الأخرى.

ورغم أن هذا المحك معترف به من جانب كثير من العلماء لأنه سهل التطبيق على المستويين البيولوجي والاجتماعي، إلا أن هذا المحك يبدو ناقصًا أو قاصرًا، لأنه لا يجعل هناك مرجعًا لتحقيق الفرد إمكاناته. فالعبقري أو الشخص المتفوق عقليًا الذي يقضي كل وقته في القيام بأعمال روتينية عادة يستطيع أن يقوم بها أي فرد آخر، لا يبدي بذلك سلوكًا صحيًا أو سويًا، سواء من الناحية الشخصية أو من الناحية الاجتماعية، ولا يغير من الموقف شيئًا أن هذا العمل قد يشبع المطالب البيولوجية الأساسية للفرد.

كذلك من الانتقادات التي توجه إلى هذا المحك أنه يغفل دور الفرد في الجماعة، والدلالة الاجتماعية والخلقية لسلوكه. فكيف نحكم على سلوك السياسي المنحرف أو التاجر غير الأمين؟! فكلاهما قد يكون ناجحًا وسعيدًا وحسن التوافق من وجهة نظره، ولذلك فإن الاقتصار على محك التوافق الشخصي لا يعتبر كافيًا في مجال الحكم على السلوك أو تقييمه على بعد السوية – اللاسوية.

فالتَّدافُع الشخصي وحده لا يقيم سند على تحقيق الأهداف والسعي نحو الانماء والرخاء لنفسه ولغيره ولجماعته ومجتمعه.

(٦) محك تكامل الشخصية Personality Integration Criterion

يشير هذا المحك إلى كلِّية السلوك أو إلى تكامل الشخصية. ويشير مفهوما الكلية والتكامل إلى العمل بتوافق وانسجام بين مكونات جهاز الشخصية من ناحية، والعمل بتوافق وانسجام بين جهاز الشخصية والبيئة من ناحية أخرى. ويتبدى هذا التكامل على المستوى السيكولوجي على صور كثيرة منها:

- التوافق بين الفكر والمشاعر والعمل.
- التحرر من الصراعات الداخلية الشديدة.
- عدم استخدام الميكانزمات الدفاعية الجامدة.
- الانفتاح على الخبرات الجديدة وتقبلها.

ويستخدم كثير من العلماء مصطلحي التوافق والتكامل كما لو كانا مصطلحين مترادفين، ولكن الحقيقة أن هناك فرقًا بينهما، فقد يظهر الفرد درجة منخفضة من تكامل الشخصية، ولكنه لازال حسن التوافق، وذلك إذا كانت البيئة تطلب منه الحد الأدنى من المطالب، مثل الشاب المدلل الذي يعيش في كنف والديه، ويتمتع بعطفهما ورعايتهما الكاملة، ويستكين إلى هذه الحماية الأسرية، فهذا السلوك لا يدل على النضج أو التكامل، وإن كان الفرد نفسه حسن التوافق.

وهذا المعيار من المعايير الهامة، إذا وضعنا في الاعتبار أن التكامل لا يحدث فقط بين الفرد ونفسه، وإنما يمتد إلى مجالات أخرى من الحياة يتدافع معها وفيها لكى يحقق حالة التوافق والتكامل مع نفسه في علاقتها بكل متطلبات المجتمع من حيث تحقيق الأهداف والغايات التى تعبر عن وجوده داخل الجماعة والمجتمع.

(٧) المحك الاجتماعي Social Criterion

ويعتمد المحك الاجتماعي على أن الأفراد لا يعملون فقط على أن يتوافقوا في البيئة التي يعيشون فيها، بل عليهم أن يعملوا في سبيل بناء وتدعيم القيم والأهداف والأنشطة الخاصة بالجماعة.

ويقوم المحك الاجتماعي على أساس القبول الاجتماعي، فالسلوك الذي يتفق مع المعايير الاجتماعية يكون سلوكًا سويًا، أما السلوك الذي لا يتفق مع هذه المعايير، فهو سلوك شاذ أو غير سوي. والمعيار الاجتماعي – كما قدمه مظفر شريف – مفهوم يشير إلى ما يقبله المجتمع من قواعد وعادات واتجاهات وقيم، وغيرها من العوامل التي تحدد سلوك الأفراد، بل إن هذه المعايير أداة في يد المجتمع يستخدمها كوسيلة ليوحد بها أفراده، ويزيد من تماسكهم.

والمحك الاجتماعي من أشهر المحكات التي تستخدم في تحديد سوية السلوك، وذلك لأن المجتمع لا يقبل إلا السلوك الذي يكون في صالحه، أي في صالح مجموع أفراده، وفي الوقت نفسه يرفض أي سلوك يهدد تماسكه واستقراره. ومن هنا فالجريمة سلوك شاذ لأنها تضر بتماسك المجتمع واستقراره، وتقوم التعاليم الدينية – خاصة في المجتمعات الشرقية – بدور كبير في تحديد المحكات الاجتماعية، لأن تماسك المجتمع واستقراره يعتمد في جزء كبير منه على الدين.

وحينما نطبق بعض المفاهيم الخاصة بسنن التغير، مثل الاختلاف بين الأجيال والصراع الناجم بين مفاهيم وقيم الآباء والتي قد تتعارض مع قيم ورغبات وأهداف الأبناء، نكون هنا أمام مفهوم التَّدافُع الاجتماعي وتغيير النسق القيمي وفقًا لما تتطلبه الفترة الزمنية من تغيرات تقع في إطار التطور الاجتماعي، حيث تختفي بعض القيم وتحل محلها قيم جديدة. ومع مقاومة القيم القديمة – التي

يتمسك بها الآباء – للاختفاء، ومحاولة القيم البديلة الحصول على القبول الاجتماعي – معتمدة على اعتناق الأبناء لها، وتمسكهم بها – يكون ما هو مقبول عند الأبناء مرفوضًا عند الآباء، وما هو سوي عند الآباء قد لا يكون كذلك عند الأبناء. وكمثال على التغيرات الاجتماعية المرتبطة بالقيم الخلقية تقبل المجتمع العربي لتعليم الفتيات حتى الجامعة، وهي أمور كان يعارضها بحزم حتى بدايات القرن العشرين، فالتَّدافُع الاجتماعي يعد من السنن الطبيعية المحكومة بالتغير ويبقى السؤال عند حدوث هذا التعارض بين القديم والجديد كيف يتم تحديد نمط التَّدافُع السوي ومن ثم تحديد السلوك السوي وغير السوي في سلوك الابناء.

مجمل العرض السابق يمكن إيجازه في أن الصحة النفسية تحاول أن تقييم الحدود الفاصلة بين السلوك السوي والسلوك غير السوي، وتضع معايير متعددة لإصدار نفس الحكم من زوايا متعددة، وتساهم على نحو كبير في تحديد شكل ونمط التَّدافُع من حيث التَّدافُع السوي الذي يحقق أفضل أشكال الوجود في العالم سعيا وراء تحقيق الأهداف والغايات العامة للمجتمع والدولة وبين اضطراب التَّدافُع والوقوع في دائرة الاضطراب والمرض والسلوك غير السوي.

نسبية الصحة النفسية:

[١] نسبية الصحة النفسية من فرد إلى آخر:

كما يختلف الناس بعضهم عن بعض في كل من: الطول والوزن وضغط الدم وتوتر العضلات، الذكاء والعبقرية، الاتزان والقلق... وغير ذلك، فإنهم يختلفون أيضًا في الدرجة التي يحوزونها في الصحة النفسية، وفي القدرة على التَّدافُع، حيث إن مفهوم النسبية واحدة من أهم المفاهيم التي تعبر عن الحالة البندولية من القدرة على تحقيق التَّدافُع بين عناصر وأفراد وقطاعات ومجالات

التَّدافُع التى يتطلبها المجتمع، ويحقق هذا المفهوم المعنى من الصيرورة الزمنية في أن كل شيء في طريقة لكي يصبح شيئا آخر، ومن ثم تتعد وتتبدل وتتغير أشكال ومتطلبات التَّدافُع للفرد داخل المجتمع وفقًا لأهدافه في كل فترة ومرحلة زمنية ومكانية.

[٢] نسبية الصحة النفسية لدى الفرد الواحد من وقت إلى آخر:

لا شك أن مثل هذه المواقف أو الخبرات السارة وغير السارة يمكن أن تحصى وتعد، ولو على وجه التقريب، وكلما زاد عدد المواقف أو الخبرات الإيجابية وشعور الفرد بالسعادة "بالنسبة إلى" المواقف السلبية وشعور الفرد بالتعاسة يعد على درجة مرتفعة من الصحة النفسية، وعكس ذلك صحيح أيضًا، فالفرد نفسه أهدافه تتغير وتتعدل وتتطور وتتبدل وقد تكون في إطار شخصي وقد تكون في إطار جماعي وقد تكون في إطار مجتمعي، وهنا تتحقق النسبية في نوعية الأهداف وما تتطلبه من قدرة على التَّدافُع من أجل تحقيقها.

[٣] نسبية الصحة النفسية تبعًا لمراحل النمو:

يتأثر تحديد الصحة النفسية بمراحل النمو التي يمر بها الإنسان، ويتصل ذلك بما يسمى بالمعايير العامة للنمو أو المعايير الشائعة له.

فإذا فهمنا الصحة النفسية على ضوء مفهوم السلوك السوي (العادي)، فإن إطلاقنا لوصف "سوي" Normal يحمل في طياته حكمًا نسبيًا، فقد يعد سلوك ما سويًا في مرحلة عمرية معينة، كرضاعة الطفل لثدي أمه حتى سن الثانية، على حين يعد هذا السلوك غير سوي إن حدث في سن الخامسة، ومص الأصابع سلوك سوي في الشهور الأولى من عمر الطفل ولكنه يعد مشكلة سلوكية إن حدث مثلاً في عمر السابعة. كما يعد التبول اللاإرادي الليلي أمر سويًا طبيعيًا في العام الأول من عمر الطفل ولكنه يعد مشكلة سلوكية إن حدث في عمر

السادسة، وأن الزيادة المفرطة للنشاط الجنسي في المراهقة لهي أمر طبيعي متوقع، ولكنها غير طبيعية أن حدثت في الستين مثلاً.

مجمل القول أن الحكم على سلوك معين بأنه علامة على الصحة النفسية أو مؤشر للشذوذ عن السواء يرتبط ارتباطًا وثيقًا بمرحلة النمو الذي يمر بها الفرد، فالتَّدافُع النمائي يجعل لكل مرحلة عمرية خصائصها المتغيرة وأهدافها ومعاييرها في إصدار هذه الاحكام على السواء والاضطراب، ولذا فإن الصحة النفسية والتَّدافُع النمائي أو الارتقائي يعد من الامور النسبية.

[٤] نسبية الصحة تبعًا لتغير الزمان:

يعتمد تعيين السلوك الدال على الصحة النفسية على الزمان الذي حدث فيه هذا السلوك، ونقصد بالزمان هنا الحقبة التاريخية. والتاريخ كله عبارة عن سرد للتدافع التاريخي الذي يجسد كل حقبة تاريخية على تحقيق أهدافها من بناء ونماء ورخاء لأفرادها أو اضطرابات ومشكلات وصراعات وحروب وهنا يكون الزمن مؤشر للتدافع التاريخي والظروف التى تحكم كل حقبة تاريخية بعينها.

[٥] نسبية الصحة النفسية تبعًا لتغير المجتمعات:

تختلف العادات والتقاليد من مجتمع إلى آخر اعتمادًا على تغييرهما، فضلاً عن عوامل أخرى بطبيعة الحال – تختلف معايير السلوك الدال على الصحة النفسية أو الشذوذ النفسي، والأمثلة على ذلك تفوق الحصر نحتذي بعضها فيما يلي:

كما أن النقاش الذي يدور بين الطلبة والطالبات حول الأمور الجنسية في معظم الجامعات الأمريكية والأوروبية، فهو أمر يعد شاذًا مستهجنًا وقبيحًا في الجامعات العربية. ومن ناحية أخرى نلاحظ أن للقيم المادية والاقتصادية أهمية

قصوى في المجتمع الصناعي الغربي في العصر الحالي، على حين ما يزال يوجد اهتمام بالقيم الروحية والدينية لدى عدد أكبر من سكان المجتمعات الغربية، ونجد أن اختلاف نسق القيم يؤثر في السلوك الذي يعد علامة على الصحة النفسية.

والدرس الذي نخرج به من كل هذه النماذج وغيرها هو أن الحكم على الصحة النفسية يختلف تبعًا لعوامل شتى أهمها الزمان والمكان ومراحل النمو، ولذا تجب الرؤية ويتعين الحذر عند إصدار الأحكام على أنماط السلوك الدالة على التوافق أو سوء التوافق، أي التي تشير إلى الصحة النفسية أو إلى الشذوذ النفسي، إذا يتعين أن تراعى مثل هذه الأحكام مختلف المتغيرات فكل أشكال التَّدافُع الاجتماعي والثقافي والقيمي المتغيرة تلعب دور كبير في تحديد السوك السوي والسلوك غير السوي باعتبارها من العوامل التي تؤثر في الصحة النفسية، والتي تعد إلى حد كبير نسبية.

التَّدافُع والحيل الدفاعية النفسية: Defense Mechanisms

تعتبر حِيلَ الدفاع النفسي أساليب غير مباشرة تحاول إحداث التوافق النفسي لدى الافراد وتهدف إلى احتفاظ الفرد بقدرته على التَّدافُع السوي، فهي دافع ضد الوقوع في دائرة المرض والاضطراب.

وحِيلَ **الدفاع النفسي:** هي وسائل وأساليب توافقية لا شعورية من جانب الفرد ومن وظائفها أن يتخلص الفرد من حالة التوتر والقلق الناتجة عن الإحباطات والصراعات التي تهدد أمنه النفسي. وهدفها وقاية الذات والدفاع عنها والاحتفاظ بالثقة في النفس، واحترام الذات وتحقيق الراحة النفسية والأمن النفسي.

وتعتبر هذه الحيل بمثابة أسلحة دفاع نفسي تستخدمها الذات ضد الإحباط والصراع، والتوتر والقلق.

وَحِيلَ الدفاع النفسي تعتبر محاولات للإبقاء على التوازن النفسي من أن يصيبه الاختلال، وهي حِيلَ عادية تحدث لدى كل الناس، السوي واللاسوي والعادي والشاذ، والصحيح والمريض، ولكن الفرق بينهما هو نجاح الأول، وإخفاق الثاني باستمرار، ووجودها بصورة معتدلة عند الأول وبصورة مفرطة عند الثاني، وما زاد عن الحد انقلب ضده.

الفصل العاشر
التّدافُع ونظريات علم النفس

التَّدافُع ونظريات علم النفس

مقدمة:

النظريــة... سـيدة العلـم وتــاج المعرفـة، هــي القــانون الـذي يمـنح المعنــى والدلالة، هي المحققة لأهداف العلم من فهم وتفسير وقدرة على التنبؤ والضبط، حيث تمثل "النظرية العلمية" أهمية بالغة في البحث العلمي بصفة عامة .وتتحدد على أساسها "هوية" أي علم من العلوم. فالنظرية هي التي تحدد موضوع العلم وتنظم عملياته وأدواره واتجاهاته، وبذلك تختلف النظرية عن المنهج العلمي الذي يعتبـر أساسًـا واحـدًا لكـل العلـوم الطبيعيــة والإنسـانية مـع اخـتلاف الإجـراءات والأدوات باختلاف الظاهرة محل الدراسة.

والتَّدافُع مدخل تفسيري يقدم المعنى والفهم والتفسير للظواهر الكونية والبيئية والإنسانية وهذه محاولة لخلق حوار بين التَّدافُع ونظريات علم النفس المختلفة سعيًا وراء تكامل مدخلات الفهم والتفسير وتقبلاً لتعدد الرؤى المختلفة.

نظرية المجال:

تقوم هذه النظرية على عدد من المسلمات والأسس، وهى:

أولاً: أن السلوك هو محصلة للموقف الراهن الذي يطلق على تسميته المجال، ولذا سميت هذه النظرية باسم نظرية المجال.

ثانيًا: أن تحليـل المجـال يبـدأ بـالموقف ككـل، ومـن الموقـف تتمـايز الأجـزاء المكونة، وهنا يقترب كيرت ليفين من أفكار الجشطالتين التي تنص على أن الأجزاء لا يمكن تفسيرها إلا فى إطار الكل.

ثالثًا: من الممكن تمثيل الشخص الفعلي العيانى، والموقف العيانى رياضيا.

(عبده، ٢٠٠٠: ٢٦٥)

يضع ليفين خاصيتين للشخص :

١- فصله عن بقية العالم برسم حدود مستمرة بما يجعله كلا مستقلا، متفاضل أو متمايز.

٢- وضعه داخل منطقة أكبر، والتي أطلق عليها لفين "البيئة النفسية" بما يجعله جزء من كل أكبر. (عبده، ٢٠٠٠: ٢٦٦)

مفاهيم نظرية المجال:

يرسم ليفين خريطة عقلية معرفية توضح نظرية المجال ومفاهيمها الأساسية، وفيما يلي أهم مفاهيم نظرية المجال:

- الشخص: والشخص هو كيان محدد محدود داخل المجال الخارجي الأكبر منه، والشخص له خاصيتان، هما (الفصل) عن المجال و(الوصل) مع المجال، وبمعنى آخر (التكامل). (الزيادي والخطيب، ١٩٩٠: ٤٩). ويذهب ليفين إلى أن بناء الشخص بناء متفاضل متمايز أي ينقسم إلى أجزاء منفصلة ومتصلة في نفس الوقت.
- المجال النفسي: يوجد الشخص في المجال نفسي أو بيئة نفسية خارج حدوده. ويحدث تفاعل بين الشخص ومجاله النفسي. وهما –أي الشخص والمجال النفسي– يعتمدان على بعضهما البعض داخل "حيز الحياة".
- حيز الحيا Life Space: هو المجال النفسي الكلي الذي يحتوي على مجموع الوقائع الممكنة، التي تحدد سلوك الشخص في وقت محدد مثل حاجاته وخبراته وإمكانات سلوكه كما يدركه، ويحيط بحيز الحياة "غلاف غريب" لا حدود له، فيه وقائع غير نفسية تؤثر في البيئة النفسية في حيز الحياة فتؤثر بدورها في الشخص وقد أطلق عليه ليفين اسم "العالم المادي" ويعتبر (ليفين) أن حيز الحياة ليس مفهومًا ثابتًا، بل مفهومًا

ديناميكيًا يتغير باستمرار كنتيجة للتغيرات فعلينا أن نصف حيز الحياة بـ(البيئة السيكولوجية). ويرى (ليفين) أن مفهوم الحيز يتضمن الأهداف التي يسعى الفرد إلى تحقيقها والأهداف السالبة التي يحاول الفرد تجنبها والعوائق التي تقيد حركة الفرد داخل نطاق الحيز الذي تحويه الطرق أو المسارات التي يجب على الفرد أن يتبعها لكي يصل إلى الأهداف التي ينبغي عليه تحقيقها والتي تمثل الغاية من السلوك.

(بطرس، ٢٠٠٧: ٥٩)

- الحركة والاتصال: وقد أطلق ليفين على هذا اسم "مبدأ الارتباط".
- نمو الشخصية: تناول ليفين بعض التغيرات السلوكية التي تحدث خلال النمو. ويقول إن هذه التغيرات تنتج عن التنوع في نشاطات الشخص وانفعالاته وحاجاته ومعلوماته وعلاقاته الاجتماعية التي تتزايد مع نموه، ومع النمو يتزايد تنظيم نشاطات الشخص وفي نفس الوقت يتزايد التعقيد الذي يطرأ عليه. (زهران، ١٩٩٨: ١٠٩- ١١٥)
- ديناميات الشخصية: يحتوى التمثيل البنائى الجيد للشخص وبيئته على جميع الوقائع التي يحتاج المرء لمعرفتها ليستطيع تفسير أي نوع من أنواع السلوك المحتملة، إلا أنه لا تستطيع أي صورة مفصلة لحيز الحياة أن تخبرنا كيف سيكون سلوك الشخص بالفعل، والمفهومات البنائية وحدها لا تستطيع أن تفسر السلوك العيانى فى موقف نفسي فعلى، فمثل هذا النوع من الفهم يحتاج إلى مفهومات دينامية.

وخلاصة القول ان نظرية المجال، تعني ان المجال الحيوي يتعدد ويتغير بتغير الموقف والاشخاص والاحداث والمواقف، فالتَّدافُع داخل الأسرة بما يتضمنه من جملة تفاعلات بين أفراد الأسرة يختلف بدوره عن التدافعات التى تحدث للفرد في مجال عمله أو بين اصدقائه أو بين جيرانه، فالتَّدافُع في الحزن يختلف عن التَّدافُع في المواقف المفرحة وعن المواقف الضاغطة وهكذا تتعدد وتختلف

التدافعات ويصبح المجال هو الذي يحدد ويشكل شكل ونوع ونمط التَّدافُع الملائم للمجال والموقف الراهن.

النظرية الاجتماعية الثقافية لفيجوتسكي لتفسير التقييم الدينامي:

يعد فيجوتسكي في نظر بعض مؤرخي علم النفس ثاني علماء النفس الروس بعد بافلوف، أما مدرسته فتضم تحت لوائها (لوريا Luria) و(ليونتيف Leontiev)، ومن أهم إنجازات فيجوتسكي نظرية التطور التاريخي الحضاري وتسمى أحيانًا نظرية التطور الاجتماعي التاريخي، والتي تناول فيها التطور النفسي على أساس جدلي بمعنى أن مراحل النمو تؤثر في بعضها كما تؤثر العمليات في بعضها بعضًا، كما حاولت النظرية البحث في المبدأ الذي يفسر ويشرح العمليات النفسية العليا والتي تتضمن الكلام والذاكرة المنطقية وتكوين المفهوم والانتباه والاسترجاع، وطبقًا للنظرية فإن سلوك الأطفال يتأثر بالمحيطين بهم، كما أنَّ النشاط العقلي للطفل يتكون من خلال عملية التطور النمائي للطفل.

كما يرى فيجوتسكي أنَّ تطور التفكير إنما يتم تحديده عن طريق اللغة، "عن طريق الأدوات اللغوية للتفكير"، وكذلك عن طريق الخبرات الاجتماعية الحضارية، وأنَّ تطور التفكير المنطقي يكون نتيجة التحدث الاجتماعي، كما أنَّ النمو العقلي عند الطفل يكون مرتبطًا بتسيده للأسلوب التعبيري الاجتماعي للتفكير وهو اللغة. والنمو ليس نتيجة عوامل بيولوجية وإنما نمو اجتماعي حضاري، وحاول فيجوتسكي البرهنة على أن العمليات العقلية هي نتيجة التفاعل بين الكبار والصغار وهذه العمليات يستدخلها الأطفال بالتدرج. وتأتي الأفكار من ملاحظة النشاط الخارجي وما يصاحبه من استخدام اللغة والحوار. كذلك قدم فيجوتسكي نظرية في التطور العقلي عند الأطفال المعوقين وتتمثل هذه الإعاقة في عيوب الكلام، أو عيوب السمع والتأخر العقلي، وأشار إلى أنَّ أهم أسباب

هذه الإعاقات هو النمو النفسي غير السوي للطفل، ومن شأن اختلال النمو النفسي أن يضخم أثر الإعاقة الجسمية البسيطة. (ربيع، ٢٠٠٤: ٤٠٥-٤٠٧)

تشير نظرية فيجوتيسكي في الأساس إلى أنه إذا أردنا فهم التعلم والنمو، يجب أن نركز على العملية وليس الناتج. يعبر التقييم الدينامي من وجهة نظر النظرية الاجتماعية الثقافية لفيجوتسكي عن أن التعليم والتقييم جزء لا يتجزأ عن بعضهما بعضًا . يعني ذلك أن التقييم يجب ألا يركز على اختبار أداء الأطفال عبر اختبارات الأداء النهائي فقط. يرى فيجوتيسكي في نظريته أن عملية التقييم يجب إجراؤه بصورة معكوسة وذلك لأن مستويات النمو المحتملة تتباين عن النمو الفعلي ولا يمكن الاعتماد على أحدهما في الحكم على الآخر.
(Sternberg, 2009: 92)

في ضوء النظرية، يتم تعريف التقييم الدينامي كمفهوم يتناول الفروق الفردية بين الأطفال وتأثيراتها على التعلم والنمو، وهو ما يؤدي إلى المزج بين إستراتيجيات التدخل الملائمة وإجراء التقييم. يتأصل مفهوم التقييم الدينامي في أفكار فيجوتيسكي بأن التعلم حول نمو منطقة التقارب يؤدي إلى حدوث النمو.
(Guterman, 2012: 283)

لقد أصبحت أعمال فيجوتسكي في العقود الأخيرة أساسًا لكثير من الأعمال والنظريات في النمو المعرفي، وتؤكد نظريات فيجوتسكي على الدور الأساسي للتفاعل الاجتماعي في تنمية الإدراك. وفيجوتسكي يعتقد اعتقادًا جازمًا أنَّ المجتمع يلعب دورًا مركزيًّا في عملية "صنع المعنى". ويخالف نظرية بياجيه بأن نمو الأطفال بالضرورة يجب أن يسبق تعلمهم، ونمو الفرد لا يمكن أن يفهم خارج مرجعياته الثقافية والاجتماعية، وهناك اختلافات رئيسة بين بياجيه وفيجوتسكي منها:

- يضع فيجوتسكي المزيد من التركيز على تأثير الثقافة في تشكيل النمو المعرفي؛ وهذا يتناقض مع رؤية بياجيه لمراحل النمو، كما أن فيجوتسكي لا يشير إلى مراحل في النمو كما في طريقة بياجيه.
- يركز أكثر على العوامل الاجتماعية المؤثرة في النمو المعرفي.
- يركز فيجوتسكي بشكل كبير ومختلف على دور اللغة في النمو المعرفي وانتقد بياجيه بإهماله عوامل مهمة مثل اللغة، والعوامل الاجتماعية والثقافية. (Mcleod: 2007).

مفهوم التدخل الوسيط عند فيجوتسكي Vygotsky

يُقِرُّ فيجوتسكي بعملية التطور التاريخي، فالإنسان يخلق أدواته باستمرار لمواجهة العالم، فالرافعة والمطرقة والقوس والرمح، والأواني، والعجلة، هي منتجات ثقافية للإنسانية، وبفضل الأدوات تسجل الفعالية الأداتية للإنسان في مقابل الأشياء الاجتماعية التي تمنحها استمراريتها، فالطفل عندما يستخدم الأدوات الأداتية يكتشف التصرف حيالها أو طريقة استخدامها عن طريق الأجيال التي سبقته، فيتعلم بطريقة أساسية أنه من الممكن إدخال وسيط بين فعله الخاص وبين الحقيقة التي يريدها، وعندما يلتقط أحد أشيائه يكون مدفوعًا إلى تعديل سلوكه بشكل يعثر به على الاستخدام الاجتماعي لهذا الشيء أو هذه الأداة، فالمطرقة تمسك بطريقة معينة والقلم كذلك، فالطفل لا يستوعب استخدام الأدوات دون تدخل اجتماعي، فالأدوات نفسها لا تحمل فقط طابع الفعالية الإنسانية ولكن استخدامها أيضًا يفترض تعلمًا اجتماعيًّا سواء الأدوات المادية الموجهة للخارج أو الأدوات الرمزية مثل اللغة والتي تتضمن محتوى ذاتيًّا منظمًا تنعكس على مجمل الحياة العقلية. ويؤكد فيجوتسكي بصورة عامة على أن السلوك الأداتي يتحول بالعلاقة الاجتماعية إلى وساطة معنوية أي أنَّ الطفل يأخذ تعليمات اجتماعية ودعمًا للتصرف حيال استعمال الأشياء فعندما تنظر الأم لطفلها وهو يحاول

التقاط الأشياء ويتلقى المساعدة يتعلم من خلال هذا الدعم والوساطة الاجتماعية التقاط كل الأشياء فيما بعد. وبدون التدخل الاجتماعي لن يكون هناك عملية نمو. وكذلك هي اللغة كأي منتج ثقافي غير منفصلة عن استعمالاتها الاجتماعية، فتعلم اللغة كرموز لا يعود لسلامة جهاز الكلام بل إلى وسائط أخرى وإلى القدرة على التعديلات الذاتية المرتبطة بالعمليات المعرفية التي تولد من الاندماج المعرفي، كما هو الحال أيضًا لمفهوم الشخصية بمفهومها العام وصورة الذات والإستراتيجيات المعرفية في مجملها مرهونة بعملية الاندماج الاجتماعي، والوعي من وجهة نظر فيجوتسكي ما هو إلا "تماس اجتماعي مع الذات".

(كراهيه، ٢٠٠٧: ٣٨١)

كما يرى فيجوتسكي أن العلاقة بين الكيان الفردي والكيان الاجتماعي علاقة جدلية؛ الطفل يتقمص أساليب ونهج تصرفات المجتمع، فيبني نفسه ويتحرر باحتواء رموز وممارسات نفسية مرتبطة بها، ويحول الفعاليات الخارجية إلى فعاليات داخلية، أو تعديل ذاتي. فهو يرى أنَّ النضج العصبي غير قادر بمفرده على القيام بالوظائف المعنوية التي تقتضي استعمال إشاراتٍ ورموزٍ تشكل أصلاً أدوات تعديل وبناء معرفي. فعملية استيعاب واحتواء الجهاز الرمزي المؤسس للمرء والمكون للبنى المعرفية، ليس ممكنًا إلا لأن الطفل يعيش ضمن مجموعات وبنى اجتماعية وأنه يتعلم من الآخرين عبر مداخلاته.

ويمكن تلخيص ما قدمه فيجوتسكي من مقترحات في التالي:

١- تعتبر أولى مواد علم النفس التحليلية هي الفعالية الأداتية والاتصالية للأجهزة البشرية.
٢- تتضمن الوظائف العليا دمج الأدوات والرموز في الفعاليات النفسية.
٣- يحدث التطور من المغزى الأداتي إلى المعنوي.
٤- يتضمن التحول من الفعالية إلى الرمز تكثيفًا.

٥- تعتبر الرموز في بدايتها وسيطة تتيح تعديل سلوك الآخرين حيث يقوم الآخرون بواسطة الرموز بتعديل سلوك الطفل، ويقوم الطفل بتعديل سلوك الآخرين.

٦- يتضمن الموجِّه الأساسي لتطور الوظائف العليا عملية احتواء لعمليات ذات علاقة اجتماعية.

٧- لا يكمن أصل الوظائف العقلية في القوى العقلية والدماغية بل في التأريخ الاجتماعي.

٨- تؤَمِّن الثقافة الأدوات الرمزية اللازمة لبناء الإدراك والوظائف العقلية العليا.

٩- يعتبر الفرد كتنظيم واعٍ لعمليات ووظائف داخلية مع رموز (تفسح المجال للفعالية الإرادية ولمراقبة التعديل الذاتي) منبثقًا عن الرابطة الاجتماعية.

(كراهيه، ٢٠٠٧: ٣٨٢-٣٩١)

مفهوم حيز النمو الممكن Zone of Proximal Development (ZPD)

اختار فيجوتسكي كلمة المنطقة (Zone) لأنها تحمل تطويرًا، وليس كنقطة على مقياس وإنما استمرارية السلوك أو درجات النضج. وكلمة الأدنى أو القريبة (Proximal) تعني بأن المنطقة تحدد بتلك السلوكيات التي ستتطور في المستقبل القريب، فهي تعني أن السلوك أقرب إلى الظهور في أي وقت، ويمثل المستوى الأعلى الحد الأعلى الذي يمكن أن يصل إليه الطفل بالمساعدة ويدعى أداءً مساعدًا، ويرى فيجوتسكي أن مستوى الأداء المستقل مهم جدًا للوقوف على مستوى التطوير ولكن معرفته ليس كفاية، أما مستوى الأداء الممكن فهو يتضمن المنطقة التي يصلها المتعلم بالمساعدة أو التفاعل مع شخص آخر سواء بالغ أو أقران، فقد تكون المساعدة إعطاء تلميحات وأفكار أو إعادة إجابة سؤال أو إعادة صياغة ما قيل أو سؤال الطفل ماذا يفهم؟ أو يكمل جزءًا من مهمة أو المهمة

كاملة وهكذا، وممكن أن تكون المساعدة غير مباشرة مثل تهيئة بيئة معينة تسهل الأداء. (الدواهيدي، ٢٠٠٦).

ومجمل القول أن حيز النمو الممكن لا يمكن أن يتحقق إلا بإدخال شكل مختلف من التَّدافُع يمكن من خلاله تحقيق الحد الاقصى من الاداء.

نظرية التحليل النفسي

هذه محاولة لإعادة قراءة نظرية التحليل النفسي في ضوء التَّدافُع كمدخل تفسيري، ربما يستطيع أن يضيف معنى جديد للنظرية، ويؤكد على أن نظرية التحليل النفسي كانت وستظل واحدة من أهم النظريات التى تدافعت نحو تقديم فهم عميق للعلميات النفسية الداخلية للإنسان.

أولا: مكونات الشخصية:

في بدايات التحليل النفسي كان النظر إلى الشخصية على أنها مكونين أساسيين هما: الشعور واللاشعور؛ حيث يعبر الشعور عن حالة من الوعي المتصل بالعالم الخارجي والداخلي في اللحظة الحاضرة، أما اللاشعور فهو قوة ديناميكية دافعة للسلوك، تحتوي كل ما هو كامن يصعب استدعاءه نظرا لقيام قوى الكبت بالعمل على منعه من الوصول إلى حيز الشعور. وبين المكونين السابقين توجد منطقة ما قبل الشعور والتي تحتوي على كل الخبرات التي يمكن استدعاؤها.

ومع تطور أعمال فرويد تغيرت النظرة السابقة للشخصية، حيث أصبح التحليل النفسي يركز على أن الشخصية تتكون من ثلاثة مكونات أساسية هي:

١- **الهو (ID)**: مكون فطري موجود منذ الميلاد، لاشعوري، منبع الطاقة الحيوية النفسية "الليبيدو"، ومستودع الغرائز والدوافع الفطرية. وظيفته

الأساسية: جلب الراحة للفرد من خلال تحقيق رغباته دون الاهتمام بالقيم والعادات والتقاليد والأعراف حيث أنه يعمل وفقا لمبدأ اللذة.

٢-**الأنا (Ego):** من المكونات الأساسية للشخصية وممثل الواقع الخارجي لذلك فإنه مكون شعوري، وهو مشتق من الهو، يبدأ في الظهور عند العام الثاني من الميلاد تقريبا، وهو مركز الشعور والإدراك الحسي الخارجي والداخلي والعمليات العقلية، من وظائفه الأساسية محاولة التوفيق بين مطالب الهو الغريزية ومطالب الواقع، وكبح جماح الهو وخاصة فيما يتعلق بغريزتي العدوان والجنس.

٣-**الأنا الأعلى (Super Ego):** ممثل الضمير، ومستودع المثاليات والأخلاقيات والقيم والعادات وهو الجهاز الداخلي النفسي للإنسان، وظيفته الأساسية مراقبة تصرفات الأنا والحكم عليها، ومن ضمن أهدافه محاولة وصول الفرد إلى الكمال من خلال إقناع الأنا بأن تحل الأهداف الأخلاقية محل الأهداف الواقعية، ويبدو أن جملة التدافعات بين المنظمات الثلاثة للشخصية هي التي ترسم شكل وملامح ونمط وسواء أو اضطراب الشخصية.

مفهوم الغرائز من وجهة نظر التحليل النفسي:

يعرف التحليل النفسي الغرائز بأنها قوة داخلية بيولوجية تدفع الفرد إلى السلوك بهدف إشباع حاجات إنسانية والتخلص من التوتر الناتج عن عدم تحققها. وقد قسم فرويد تلك الغرائز إلى غريزتين أساسيتين هما:

- غريزة الحياة والتي تدفع بالفرد إلى السلوك البناء.
- غريزة الموت والتي تدفع الفرد نحو الميل للتدمير.

ميكانزمات الدفاع:

وهي آليات معينة وأساليب يستخدمها الفرد في التعامل مع الغرائز والواقع والإحباطات التي يتعرض لها. ومن هذه الميكانزمات: الكَبْت، الإسقاط، التبرير، التقمص، النكوص، التكوين العكسي.

أساليب العلاج بالتحليل النفسي:

يهدف العلاج بالتحليل النفسي إلى مساعدة المريض على التعبير عن صراعاته ومشكلاته المكبوتة بحيث يصبح اللاشعور شعورا، مما يساعد على زيادة قوة الأنا في مواجهة كل من الهو برغباته، والأنا الأعلى بصرامته والواقع المعاش، ومحاولة التوفيق بينهم، وهذا هو التَّدافُع بين منظمات الشخصية المختلفة، وفيما يلي الأساليب التي تعتمد عليها عملية العلاج بالتحليل النفسي:

التداعي الحر:

يعتمد هذا الأسلوب على المريض ليفصح عن كل ما يدور في خلده سواء كانت أمور غير سارة أو غير مهمة أو ذات قيمة. ويهدف التداعي الحر إلى الكشف عن الموضوعات والرغبات والذكريات التي يكبتها المريض في منطقة اللاشعور، ومحاولة استدعاءها إلى حيز الشعور بهدف الاستبصار بها، وإدراك العلاقة بينها وبين ما يعانيه من مشكلات واضطرابات حالية.

التحويل أو الطرح:

الطرح شكل من أشكال التَّدافُع بين المريض والمعالج يهدف إلى السعي نحو تحقيق الشفاء والعلاج من خلال قيام المريض بطرح كل المشاعر والانفعالات التي بداخله على المعالج الذي يقوم بتفسير كل ذلك فيما بعد حتى يستبصر بها المريض. وقد يكون التحويل إيجابي حيث يتسم بالحب والإعجاب،

أو تحويل سلبي يتسم بالكراهية والنفور، أو وتحويل مختلط يجمع النوعيين السابقين.

المقاومة:

هي تلك التي تظهر من المريض في بعض مراحل العلاج للدفاع عن النفس من أجل عدم الكشف عن المكبوتات غير المرغوب في كشفها كالخبرات الجنسية والعدوان تجاه الأبوين، وتظهر تلك المقاومة بصور مختلفة منها: الكلام بصوت مسموع، الصمت الطويل، الانصراف عن المعالج، عدم الإصغاء إليه، الحضور متأخر إلى المعالج، وعدم التقيد بمواعيد الجلسات والاعتذار عنه.

تحليل الأحلام:

تعتبر الأحلام (تعبيرا) شعوريا للاشعور ولكن أثناء النوم، فالحلم ما هو إلا محاولة تحقيق لبعض الرغبات المكبوتة في اللاشعور والتي لا يمكن لها أن تتحقق في عالم الواقع. وهذا هو التَّدافُع بالأحلام، فقد يكون ذلك الحلم تعليق على أحداث اليوم السابق والتي قد تكون بها مجموعة من الأحداث التي استثارت بعض مكونات اللاشعور. ويقول مؤسس التحليل النفسي أن الأحلام هي الطريق الملكى إلى اللاشعور، لذلك تعتمد العملية العلاجية على تحليل الحلم بشكل أساسي. ومن هذه الأحلام ما يستطيع المريض تذكرها بكل محتوياتها وعناصرها، ومنها ما هو غير واضح المحتوى.

التفسير:

هو العلاقة الديناميكية بين المعالج والمريض من خلال عملية التداعي الحر والتحويل والمقاومة والأحلام، حيث يحاول المعالج ربط العلاقة بين السلوك

الحالي وما به من مشكلات، وخبرات المريض المكبوتة خلال مراحل نموه الأولى. ويهدف التفسير إلى:

- إحداث تغيير في سلوك المريض من خلال فهمه للخبرات والأشياء التي تعوق أدائه في الحياة.
- جعل المواد اللاشعورية شعورية.
- تنمية الاستبصار لدى المريض في مواجهة صراعاته وحل مشكلاته.
- إبعاد القلق والكشف عن الصراعات والمساعدة في حله.
- تسهيل عملية التداعي الحر وتحليل التحويل والتغلب على المقاومة.

النظرية المعرفية

لقد افترض بياجيه أن البنية العقلية المعرفية مرادف للتفكير وللعمليات المعرفية لذلك فهو حينما يتحدث عن مراحل نمو التفكير كأنما يتحدث عن مراحل البنية المعرفية أو مراحل نمو العمليات العقلية المعرفية أو نمو المفهوم أو نمو المنطق أو نمو الذكاء أو نمو المعرفة. (قطامي،٢٠٠٠: ٥٣)

ووفقا لبياجيه فإن" النشاط العقلي لا ينفصل عن النشاط البيولوجي. وما الوظائف العقلية إلا حالة أو صيغة خاصة من النشاط البيولوجية، والنشاط العقلي والنشاط البيولوجي كلاهما جزء من العمليات التي يتدافع بها الكائن الحي مع البيئة وينظم من خلالها خبراته. (الأنصاري، ١٩٩٥: ٤٢)

البنية العقلية المعرفية وفقا لبياجيه هي شكل من أشكال التَّدافُع البيولوجي بين الفرد والبيئة حيث يتفاعل الفرد على نحو مستمر مع الشروط البيئية المتنوعة التي مر بها في مراحل نموه المختلفة وذلك في محاولة منه الاحتفاظ بنوع من التوازن بين حاجاته الخاصة ومطالب البيئة التي يعيش فيها.

(العناني،٢٠٠١: ٩٢)

وقد انطلق "بياجيه" من تصوره عن تطور العمليات العرفية من خلال مفهومين رئيسيين، كانا نقطة الانطلاق نحو آفاق ذلك الصرح النظري الذى أقامه بياجيه وهما:

[أ] التمثل Assimilation

[ب] المواءمة Accommodation

ففي عملية التمثيل، يتم تمثل الخبرات والمعلومات الجديدة من العالم الخارجي ويضعها فى مخطط منظم يمثل ما عرفه من قبل ويتم باستمرار تعديل هذه المخططات المنظمة عندما لا تتلاءم مع معرفته، ومن ثم فإنها كذلك تتضمن عملية تكيف مع البيئة لأنها تشمل تمثل خبرات والاحتفاظ بها وتدعيمها بالخبرات الذاتية الخاصة، ويشبه ذلك باستيعاب وتمثل القناة الهضمية للطعام، حيث إن الطعام لا يتناول إلا بقدر ما يستطيع الجسم استخدامه وبعبارة أخرى، فإن التمثل هو عملية معالجة وتصنيف للمعلومات الواقعية الجديدة بطريقة تصبح من خلالها مستدخلة فى هذا المخطط Schema.

أما عملية المواءمة فإنها تتضمن عملية إدراك وإشراك الخبرة البيئية كما هي فى الواقع، بمعنى أن التغيرات التي تحدث لموازنة المخططات العقلية مع الواقع الخارجي بدرجة أكبر ولبناء تكوينات ومخططات جديدة، فالمواءمة هي الشكل المعبر عن قدرة الفرد أو الطفل على التَّدافُع مع العالم الخارجي ويستخدم الطفل اللعب كوسيلة للتعبير عن هذا التَّدافُع في تواصله مع العالم الخارجي.

وعلى نحو مباشر، يرى "بياجيه" أن محتوى لعب الأطفال إنما هو الموضوع الخاص بنشاط الطفل وبخاصة حياته الوجدانية والتي تقوم على استخدامه للرمز، كما أن الألعاب غير الرمزية (اللعب الحاسي – الحركي) إنما هو تمثل وظيفي يمكن الطفل من تأكيد وتدعيم قدراته الحاسية – الحركية أو طاقاته العقلية، حيث

أن الرمز يوفر للطفل الوسائل التي يمكنه بواسطتها القيام بتمثل خاص برغباته واهتماماته، وطبقًا لما يراه "بياجيه" فإن اللعب هو طريقة لتمثل العالم الخارجي وهو الوسيلة التي يعبر بها عن قدرته على التَّدافُع وتناوله لكي يتلاءم مع مخططات منظمة حاضرة للشخص وبهذا فإن اللعب يقوم بوظيفة حيوية فى تطوير العمليات المعرفية. وقد أقام "بياجيه" المفارقة بين اللعب Play والتقليد أو المحاكاة Imitation حيث أن اللعب هو شكل من أشكال التمثل بينما المحاكاة هي استمرارية لعملية المواءمة.

المفاهيم الأساسية في نظرية جان بياجيه:

لقد استخدم عددا من المصطلحات والمفاهيم، التي يصعب فهم نظريته من دون فهم عميق ودقيق لها وهي:

- المحتوي المعرفي: وهو مضمون السلوك الذي يمكن ملاحظته أو القيام به".
- الوظائف المعرفية: وهي" العمليات العقلية التي يلجأ اليها الفرد عند تفاعله مع مثيرات البيئة التي يتعامل معها". (الشيباني، ٢٠٠٠: ٦٩)
- التكامل بين التمثل والمواءمة.
- البني المعرفية: عند بياجيه هي بني افتراضية تتكون داخل العقل أثناء تطور الإنسان مع الطفولة إلى الرشد وهي افكار مجرده لا يمكن ملاحظتها مباشرة بل يمكن الاستدلال عليها من قياس آثارها .
- المخططات العقلية أو الصور الإجمالية.
- التوازن وهو تحقيق الاتزان المتآزر والمتناسق بين العمليات العقلية والظروف المحيطة بالإنسان.
- العمليات العقلية المعرفية. (شرفاوي،٢٠١٢: ١١٥- ١٢٤)

مراحل النمو العقلي والمعرفي عند بياجيه:

- المرحلة الحسية الحركية.
- مرحلة ما قبل العمليات.
- مرحلة العمليات المحسوسة.
- مرحلة العمليات المجردة "الشكلية". (شرفاوي، ٢٠١٢: ١٣١-١٣٣)

ومجمل ما سبق يشير إلى أن التطور العقلي والمعرفي الذي قدمه بياجيه هو أحد أشكال النمو الارتقائي الذي يخضع بدوره إلى قانون التَّدافُع العقلي والمعرفي فانتظامه وتطوره وقدرته على التمثل والمواءمة واستخدام الرمز وصولا نحو التَّدافُع الشكلي المجرد وهو قمة النضج العقلي والمعرفي، ويبقى القول بأن نظرية هي نظرية أحادية التناول حيث ركزت النظرية على التطور العقلي المعرفي بغض النظر عن علاقته وتفاعله وتأثره بباقي جوانب النمو ومحددات الشخصية.

النظرية السلوكية

يطلق على النظرية السلوكية اسم "نظرية المثير والاستجابة"، وتعرف كذلك باسم "نظرية التعلم".

تقول النظرية: إن كل سلوك "استجابة" له مثير. وإذا كانت العلاقة بين المثير والاستجابة سليمة كان السلوك سويا والأمر على ما يرام، أما إذا كانت العلاقة بينهما مضطربة كان السلوك غير سوي والأمر يحتاج إلى دراسة ومساعدة.

ترتكز نظرية التعلم على الدافع Motive والدافعية Motivation في عملية التعلم. فلا تعلم دون دافع، والدافع طاقة قوية بدرجة كافية تدفع الفرد

وتحركه إلى السلوك، والدافع إما أولي "موروث فسيولوجي مثل الجنس" أو ثانوي "متعلم مثل الخوف". وعن طريق التعلم يكتسب الفرد دوافع ثانوية تقوم على الدوافع الفسيولوجية الأولية. وهذه تسمى الحاجات Needs ولها صفة الدافعية وتحدد السلوك، ووظيفة الدافع في عملية التعلم ثلاثية الأبعاد: فهو يحرر الطاقة الأخرى، وهو يوجه السلوك وجهة معينة ليشبع حاجة معينة عند الفرد "أحمد زكي صالح، ١٩٧٢". (زهران، ١٩٩٨: ١٠٢-١٠٣)

وأنصار هذا المدخل لا يهتمون بالإنسان إلا من حيث هو مجموعة من الاستجابات التي تنشأ للرد على المثيرات التي أدت إليها أما قضية فهم المحددات الدينامية فهي غير واردة فى أذهان أنصار المذهب السلوكي. صحيح أن المثير المعين قد أدى إلى استجابة محددة لكن ليست العلاقة بين المثير والاستجابة هي علاقة ميكانيكية آلية فحسب، فبين المثير والاستجابة عمليات عقلية وقعت فى الجهاز العصبي (المخ) الذي قام بإدراك المثير فى سياق نفس معين وقام بترجمتها إلى استجابة معينة – هذه العمليات العقلية المعقدة تختلف بالقطع عن البساطة الساذجة المتمثلة فى العلاقة الميكانيكية بين المثير والاستجابة S.R.

وهكذا انشغل علماء النفس السلوكيين بنظرية "المثير والاستجابة" بالمثيرات المسببة للاستجابات المختلفة، والتي تظهر عادة فى شكل سلوك، أو ما يعرف بالاستجابات السلوكية واثر الثواب والعقاب عندما يدعموا الاستجابة.

وبذلك فهذه النظرية لم ولن تتعدى السلوك الظاهري، ولم تسعى إلى البحث فى أعماق الإنسان لمعرفة العوامل المؤثرة على تحديد الاستجابة. وبذلك فلم تخرج نظرية "المثير والاستجابة" عن كونها نظرية ميكانيكية آلية ينقصها الفهم الذي امتلكته النظريات الدينامية، ولذلك سُمي علم النفس "المثير والاستجابة" بطريقة الصندوق المظلم . (عبده،٢٠٠٠: ٢٩٠- ٢٩١)

ركزت النظرية السلوكية على أهمية البيئة في التعلم، وأن ما يستحق دراسته عن تعلم الإنسان هو ما يمكن ملاحظته فقط، لذا انحصرت النظرية في الاتجاه السلوكي فقط وأصبحت نظرية أحادية الاتجاه في النظر إلى السلوك والشخصية، فالتَّدافُع السلوكي لا يعكس كل ما يحدث خلفه من دافعية وعمليات نفسية وعقلية مختلفة، ومن ثم لم يتطرق السلوكيون إلى الأحوال الذهنية وعمليات التفكير وغيرها.

مبادئ النظرية السلوكية:

١- ضرورة حصر مبحث علم النفس التجريبي في دراسة السلوك المباشر الملاحظ دون سواه وذلك بإقصاء الآراء العقلية والأساليب الاستنباطية والنظريات المعرفية. (حساني، ٢٠٠٩: ٩٠-٩١)

٢- تنظر النظرية السلوكية إلى الإنسان على أنه آلة ميكانيكية معقدة، وكل تصرف يعد نتاج منعكس شرطي وأن الانجاز في العملية التعليمية يأتي صدفة. (محسن، ٢٠٠٨: ٣٤)

٣- العمليات الشعورية الداخلية لا يمكن دراستها علميا لأنها غير قابله للملاحظة. (شمس الدين، ٢٠٠٣: ٥٦)

٤- يتلخص مبدأ النظرية السلوكية' في أن السلوك يكون استجابة لمثير ينتهي باستجابة ما، فالسلوك مكون من افرازات غددية وحركات عضلية، وهو على هذا خاضع للعمليات الفسيوكيميائية، فالمحيط يوفر مجموعة من المثيرات التي تنبه الكائن الحي لإحداث استجابة ما، وبذلك فإن هناك استجابة فورية من نوع ما لكل مثير، بالإضافة إلى ان كل استجابة لها نوع ما من المثير، وعليه فإن هناك هتمية بين المثير والاستجابة.

(غباري وشعيرة، ٢٠١٠: ٩١)

الفصل الحادي عشر

التّدافُع السوي والإيجابي

آليات التدافع

التَّدافُع السوي والإيجابي

مقدمة:

حينما خلق الله هذا الكون يسر له كل سبل العيش والتعايش ضمن منظومة شديدة الاتقان والابداع والتزامن، فخلق الإنسان ووفر له سبل العيش بالرزق والتزاوج والعمل والانتاج والبناء والنماء والرخاء، فخلقه في حالة تدافع نحو الخير وهي الفطرة التى خلقه الله عليها، وجاءت تعاليم الاديان من أهم الرسائل المباشرة في توجيه دفة الحياة نحو التَّدافُع الإيجابي فشملت على التعاليم والاوامر والنواهي والقيم والحث والسعي نحو إقرار السلام والمحبة والتعايش والسعي نحو النماء والرخاء والبناء والعمل والتعاون وكل القيم الإيجابية التى من شأنها صلاح هذا الكون وتعميره وبناء الحضارة وإعمال العقل والسعي نحو العلم والمعرفة والاكتشاف.

وكان من بينها آليات التدافع، والتي تعني مختلف الوسائل والاساليب والادوات المادية والمعنوية التي يستطيع الإنسان أن يستخدمها وكذلك الافراد أو الجماعات أو المجتمعات أو الدول أو الشعوب لنشر قيم الحياة الإيجابية، وكذلك في تبادل أو حماية أو الدفاع عن فكرة أو قيمة أو معتقد أو دين.

وفيما يلي سوف نقوم باستعراض هذه الاليات على نحو أكثر تفصيلاً:

التعايش:

التعايش في مدلوله العام يعني أن يعيش البعض مع البعض الآخر، وفي مفهومه الاصطلاحي المعاصر أن يكون هذا العيش المتبادل قائمًا على

المسالمة، وهذا ما يؤكده الوصف الذي غالبا ما يستعمل مرتبطًا به حين ينعت (بالسلمي). (الخطيب، ٢٠١٧: ٢٧)

يعرف التعايش بأنه الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثقافي ولأشكال التعبير والصفات الإنسانية المختلفة، وهذا التعريف يعني قبل كل شيء اتخاذ موقف إيجابي فيه إقرار بحق الآخرين في التمتع بحقوقهم وحرياتهم الأساسية المعترف بها عالميا.

التعايش: ضربٌ من التعاون المشترك الذي يقوم على أساس الثقة والاحترام المتبادل، بطواعية واختيار، والذي يهدف إلى تحقيق أهداف يتفق عليها الطرفان أو الأطراف التي ترغب في تقَبُّل بعضها.

الأصل في الحياة الإنسانية التواصل والتعايش بين المجتمعات بعضها البعض، من خلال عدة قواسم مشتركة، تعمل على تفعيل التعايش الإيجابي، الذي لا ينحصر في مجال معين، وإنما في العديد من مجالات التعاون بين الشعوب والمجتمعات سواء كانت دينية أو اجتماعية أو اقتصادية وغير ذلك، والخطاب الدعوي عبر مراحله المستمرة عبر القرون يعمل على إيجاد نقاط التقاء لتكون منطلقا لإرساء دعائم التعايش، مع الآخرين، برز من خلالها عدة أنواع من التعايش وتتمثل في:

١. التعايش الديني
٢. التعايش الاجتماعي

فالتعايش الاجتماعي يحد من تطرف الصراعات العرقية، ويكسر من شوكة التعصب القبلي، ويزيل الحواجز النفسية بين طبقات المجتمع المختلفة، وينمي الشعور بالأخوة الإنسانية، ويقضي على الحقد والضغينة، ويشيع المحبة والتعاون بين الناس، ويقوي العلاقات بين الأفراد.

٣. التعايش الاقتصادي
٤. التعايش الثقافي

والثقافة لها دور كبير في تفعيل التعايش بين الآخرين، وذلك لما تحمله من معاني سامية تميزها عن غيرها فخصائصها تكمن في انها ظاهرة إنسانية، أي أنها تأصيل بين الإنسان وسائر المخلوقات، لأنها تعبير عن إنسانيته، كما أنها وسيلته المثلي في الالتقاء مع الآخرين.

التعاون:

وتعدّ مهارات التعاون من أهم صور التفاعل الاجتماعي، لأنه لا يمكن أن تكون هناك حياة متقدمة دون تعاون يجمع بين الأفراد على الحب والألفة والمشاركة من أجل تحقيق أهداف مشتركة، لذا يعد التعاون من أهم عمليات التفاعل الاجتماعي ولا تقوم الحياة بدونه ولا يعيش الإنسان بمعزل عن الآخرين.

وهذا يرتبط بما قاله العالم العربي "ابن خلدون" (الإنسان مدني بالطبع) فالتعاون مطلب بين الأفراد في الأعمال البسيطة منها والمعقدة.
(دروزه، ٢٠٠٦: ٢٠٦)

والتعاون ليس بالمفهوم الجديد، بل هو فكرة قديمة قدم البشرية، حيث قام الناس عبر التاريخ الإنساني بأعمال تعاونية، وتمكنوا من تنظيم الجهود فيما بينهم، وبناء الحظائر، وإنشاء المخازن، كما أنهم تعاونوا من أجل دفع المخاطر وجلب النفع لهم. ومعنى ذلك أن الإنسان قد أدرك أهمية التعاون منذ زمن بعيد فهذا المفهوم ليس وليد اليوم، وإنما هو قديم قِدَم الإنسان نفسه.
(الديب، ٢٠٠٥: ١٣)

وقد لخص فلاسفة الرومان فكرة التعلم التعاوني على النحو التالي "عندما تُدرِّسْ أنت تتعلم مرتين When you teach you learn twice" فالمعلم يستفيد مرة عندما يُعلم الآخرين، ومرة أخرى عندما يَتَعلم من الآخرين.
(منسي وآخرون، ٢٠٠٢: ٢٤٥)

والهدف التعاوني كما عرفته "دروزه" (٢٠٠١: ١٦٣) بأنه الهدف الذي يشترك في تحقيقه مجموعة من المتعلمين يتعاونون فيما بينهم لإنجازه. كما يحدث تمامًا في لعبة كرة القدم على سبيل المثال، فالكل مسؤول عن نجاح الفريق وتسجيل الأهداف.

نظرية الاعتماد الاجتماعي المتبادل: لـ"جونسون وجونسون"

حيث أشارا فيها إلى عدة مفاهيم يمكن الاستفادة منها في المواقف التعاونية:

١. الاعتماد الإيجابي المتبادل: ويكون كل عضو مُؤثرًا وَمُتأثِّرًا بأفعال الأعضاء الآخرين في الجماعة
٢. الاعتماد المتبادل في المصدر: حيث يسهم كل عضو بمصادره ومعلوماته في تحقيق الهدف المشترك.
٣. الاعتماد المتبادل في أداء الأدوار أو المهام: أي تقسيم العمل بين الأعضاء، ويقوم كل عضو بدور مختلف عن زميله
٤. الاعتماد المتبادل في المكافأة: أي أن المكافأة توزع على أعضاء الجماعة بالتساوي.
٥. التفاعل وجهًا لوجه: ويتمثل في تبادل الحوار والمناقشة.
٦. القابلية للمسائلة الفردية: كل عضو مسؤول عن تعلم الجزء الخاص به والأجزاء الخاصة بزملائه في الجماعة.
٧. المهارات الشخصية: مثل مهارة الثقة، والاتصال، والقيادة، وتتالي الأدوار، وحل الصراع، وتشغيل الجماعة.

التنافس:

إن إستراتيجية التعلم المقابلة لإستراتيجية التعاون هي التنافس، فالإنسان في بعض الأحيان يحتاج إلى التنافس الشريف كوسيلة للتدافع السوي الذي يفجر الطاقات ويطلق القدرات للعمل والإنتاج.

والتنافس باعتباره أحد آليات التَّدافُع قد يحدث بين شخصين أو مجموعتين أو حتى بين دولتين وذلك من أجل الوصول إلى الهدف المنشود. فالتنافس موجود في كل المجتمعات مهما تباينت مستوياتهم الحضارية أو طبائعهم الاجتماعية حيث نجد أن الأفراد يتنافسون من أجل الوصول إلى المكانة الاجتماعية، أو تولي مركزًا مرموقًا. وغالبًا ما تعمل الدول والأمم المتحضرة على تشجيع التنافس الشريف البناء لما له أثر كبير في إحراز التقدم والازدهار وتربية الصفوة، ولعل المجتمعات الرأسمالية هي أكبر مثال على وجود التنافس بين الجماعات والأفراد.

وفي الموقف التعليمي عُرِّفَ التعلم التنافسي (CompetitiveLearning) بأنه التعلم الذي يعمل فيه الطلاب بتنافس مع بعضهم البعض، فنجاح أو فشل طالب يتناسب عكسيًا مع نجاح أو فشل طالب آخر. وفي مثل هذه البيئة التعليمية لا يجد الطالب سببًا جوهريًا يدعوه للتعاون مع زميله؛ وطبقًا لهذا النَّمط من التعلم، يتم تصحيح أعمال الطلبة ومقارنة درجاتهم مع درجات أفضل طالب في الفصل.

وهناك نوعان من التنافس: تنافس جماعي أو في مجموعات، وتنافس فردي.

ويرى كل من "كوك وستنجل" (Cook & Stingle, 1974) أن طريقتيّ التعاون والتنافس ليستا على خط مستقيم، بحيث يكون فيه التعاون في أحد طرفي الخط المستقيم، وفي الطرف الآخر التنافس، وهذا يعني أنه ليس من الضروري

عند غياب التنافس أن يوجد التعاون والعكس صحيح. ويؤيدهما في وجهه نظرهما "ايفرمان" (Eiferman)، فيرى أن سلوك التعاون والتنافس قد يتعرض لهما الشخص نفسه في مواقف مختلفة، وقد يتصرف الفرد بشكل تعاوني ولكنه في الوقت نفسه يكون هدفه تنافسي كما يحدث في الفرق الرياضية. لذلك فالتعاون والتنافس لا يمكن أن ينظر إليهما دائمًا على أنهما نقيضان، أو أنهما يقعان على طرفي خط واحد في مقياس التدرج، أو أن وجود أحدهما في سلوك الفرد يمنع من وجود الآخر.

الايثار:

الإيثار هو ذلك السلوك الذي يتم بقصد فائدة الآخرين، كما أنه سلوك لا نخطط له، ولا يتم بناء على طلب ولا ينتظر منه عائد في المستقبل أو مكافأة أو شكر وأبعاده هي (التعاطف – المساعدة – الكرم – منع الأذى – المشاركة).

النظريات التي فسرت السلوك الإيثاري:

تنوعت الدراسات التي تناولت السلوك الإيثاري وحاولت تفسيره، وقد أشار بارتال إلى أربعة مداخل لدراسة السلوك الإيثاري، هي:

- المدخل التبادلي: يرى أن السلوك الإيثاري وسيلة لتلقي المكافآت في المستقبل.
- المدخل النمائي: يعتبر السلوك الإيثاري سلوكًا متعلمًا، ويفسره من خلال النمو المعرفي.
- المدخل الثقافي: يرى أن الظروف الثقافية كالتنشئة الاجتماعية والارتقاء الاجتماعي البيولوجي تدعم السلوك الإيثاري ويمكن تفسيره من خلالها.

- المدخل المعياري: يعرض الديناميات التي تتحكم بمعايير الإيثار ويري أن الأفراد يجب أن يتعلموا الإيثار لأنهم فطريًا مدفوعون بمصالحهم الذاتية.

نظرية التحليل النفسي:

ترى نظرية التحليل النفسي أن الأنا الأعلى هو الحارس الأخلاقي الأول للشخص، وهو الأداة المسؤولة بالدرجة الأولى عن النمو الأخلاقي. وقد ربط فرويد الإيثار بغريزة الحياة إذ يرى أن تأثير غريزة الحياة ينعكس في أفعال بناءة مثل الحب والإيثار في حين يظهر تأثير غريزة الموت في أفعال مدمرة مثل الكره والعدوان.

إن مدرسة التحليل النفسي التقليدية تعد عملية التنشئة الاجتماعية شرطًا جوهريا في تعلم السلوك الإيثاري، وتقترح اثنين من الطرق الأساسية المترابطة لنمو سلوك الإيثار، هما:

- من خلال نمو بنيه الشخصية (الأنا العليا) ومن خلال تنشيط الآليات الدفاعية. فميل الفرد للإيثار لا يعد طبيعيا متأصلا بالوراثة بل متعلما من خلال عملية تفاعل الفرد مع البيئة الاجتماعية.
- الطريقة الأخرى هي حينما يكون الإيثار نتيجة للآليات الدفاعية. فتري آنا فرويد أن التكوين الضدي (التكوين العكسي) يستجيب فيه الفرد على نحو إيثاري نتيجة لمعالجته لرغبة مكبوتة تلحق الأذى به. وبسبب القلق من تأنيب المجتمع القاسي للفرد فانه سوف يؤدي سلوكًا يبدو ايثاريا بدلا من عدم أدائه الذي سيؤدي إلى إلحاق الأذى به.

نظرية التعلم الاجتماعي:

يرى أصحاب هذا المنظور أن النمو الخلقي عبارة عن تراكم للمعلومات والمعايير الاجتماعية، ويفترضون أن سلوك الطفل الأخلاقي محكوم بتعليمات الآخرين المباشرة وإشرافهم وتعزيزهم وعقابهم ونصائحهم. ووجد بريان أن مشاهدة نموذج يتحلى بالإيثار يؤدي إلى اكتساب هذا السلوك من قبل الأطفال على أن يظهر ذلك في تصرفات النموذج.

ويرى أصحاب نظرية التعلم الاجتماعي أن هناك مجموعة من الشروط التي تسهم في نمو السلوك الإيثاري:

- النمذجة
- لعب الدور
- الحثُّ والتأثير

يؤكد كل من سيالديني وبومان وكنريك على وجود سلسلة مكونة من ثلاث مراحل يمر بها الطفل لتبنيه معيار الإيثار، ففي المرحلة الأولى تظهر أفعال شبيهة بالإيثار تؤدي على نطاق متقطع دون أن يعي الطفل ماهيتها، أما المرحلة الثانية فتقابل إدراك الطفل ووعيه بأن وكلاء التنشئة الاجتماعية أمثال (الوالديان، المعلمون، الأقرباء...) يضعون قيمة على السلوك الإيثاري ويستجيبون بصورة محببة لمثل هذه الأفعال، وفي المرحلة الثالثة يصادق الطفل على معيار الإيثار بحد ذاته ويرجح وجود الإيثار بصورة علنية بوجود الجمهور وبصورة سرية عند عدم وجودهم.

وقسم روزنهان مظاهر السلوك الإيثاري على نمطين هما: الإيثار المعياري الذي يقوم في الأساس على مفهوم التطابق الاجتماعي، والإيثار المستقل الذي يشير إلى تطور الالتزام لدى الفرد المستقل داخليًا.

الحوار (التحاور):

"تفاعل لفظي وغير لفظي، بين اثنين أو أكثر، بهدف التواصل وتبدال الأفكار والمشاعر والخبرات". (الحليبي، ٢٠١٠: ١١)

"هو نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء، والبعد عن الخصومة والتعصب".

بمعناه الواسع يعني" التفاعل بين طرفين أو أكثر، تتبادل فيه الأطراف المتحاورة المشاعر، أو الاحتياجات، أو الآراء، أو الأفكار، أو المعتقدات بوسائل التعبير اللفظية وغير اللفظية"

ويمكن تعريفها أيضا بأنه" التدفق الحر للمعاني والأفكار فيما بين شخصين أو أكثر". (باترسون وآخرون، ٢٠٠٨: ٢٩)

وتُعرف أيضا بأنها "الحديث بين طرفين أو أكثر حول قضية معينة الهدف منها الوصول إلى الحقيقة بعيدًا عن الخصومة والتعصب بل بطريقة علمية إقناعية، ولا يشترط فيه الحصول على نتائج فورية".

وهناك كلمات أخرى تتقارب مع كلمة الحوار وهي:

١. الجدل ولكنه يختلف تماما عن الحوار ويعرفه الجرجاني بأنه" دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة"
٢. المناظرة وتُعرف بأنها" المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل منهمنا تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق"

والمناظرة والحوار يتفقان بكونهما مراجعة الكلام، ولكن المناظرة تكون بين الضدين ليثبت واحد منهما صحة رأيه، وعلى هذا يكون المناظرة والحوار عموم وخصوص نسبي فكل مناظرة هي حوار وليس كل حوار مناظرة.

كل حوار يؤدي إلى واحدة من نتائج ثلاث:

- الخلاف
- التحاشي والانسحاب
- التقارب والانسجام.

آداب الحوار:

للحوار آداب؛ بعضها يتعلق بالمحاورين، وبعضها يكون في أثناء الحوار، وبعضها يتعلق بما بعد الحوار، والآداب المتعلقة بالحوار كثيرة جدا، ومنها:

- الاتفاق على المبادئ.
- الحرية في طرح الآراء والأفكار والحجج.
- الابتعاد عن الانفعال والغضب.
- حسن المقصد.
- التواضع بالقول والفعل وتجنب الغرور والكبرياء.
- حسن الاستماع والإصغاء الجيد.
- الإنصاف.
- احترام الطرف الآخر.
- حسن الحديث والكلام.
- الصبر والحلم.
- أن يكون الحوار منصبا على الفكرة دون صاحبها.
- ضبط النفس.

فالحوار الهادف له تأثيره القوي في تقريب وجهات النظر، والمحاور المتمكن هو الذي يستطيع أن يصل إلى هدفه دون تعثر أو ملل.

أهمية الحوار وأهدافه:

للحوار أهمية كبيرة، وغايات سامية، وأهداف متعددة، فهو يعتبر حاجه إنسانية تتمثل أهميته باستخدام أساليب الحوار البناءة لإشباع حاجه الإنسان للاندماج في جماعه والتواصل مع الآخرين، فالحوار يحقق التوازن بين حاجة الإنسان للاستقلالية وحاجته للمشاركة والتفاعل مع الآخرين، وتزداد أهمية الحوار في ظل متغيرات العالم العلمية والمعرفية، الذي أوجد فجوة دائمة ومستمرة بين ما يمتلكه الفرد من معلومات ومعارف وبين آخر ما توصل إليه العلماء.

الاقناع

الإقناع هو عملية تغيير أو تعزيز المواقف، أو المعتقدات أو السلوك.

وتنقسم استجابتنا لرسائل الاقناع إلى قسمين "بعد تفكير، ودون تفكير"، فحينما نكون مفكرين ننصت بكل عناية إلى ما يقوله المقنع؛ ثم نقوم بقياس المميزات والعيوب وننقد الرسالة من حيث منطقيتها وتوافقها، وإذا لم يرقنا ما نسمع نطرح الأسئلة ونطلب مزيدا من المعلومات، وحينما نكون مفكرين يتحدد كدي إقناع الرسالة على حسب وقائع الحالة.

أما حينما نستجيب للرسائل دون وعي، فإن عقولنا تكون مغلقة بصورة آلية، ولا يكون لدينا الوقت والحافز والقدرة على الإنصات بحرص؛ لذا فإننا بدلاً من اعتمادنا على الحقائق والمنطق والدليل في اتخاذ الحكم نقوم باختصار ذهني، ونعتمد على غرائزنا لتمنحنا مفتاح الإجابة.

أطلق عالما النفس ريتشارد بيتي وجون كاسيبو على الطريقتين الفكرية واللافكرية اسم المركزية والطرفية.

طريقة الإقناع

حدد تشارلز مارجريسون أربعة نماذج للمحادثة، تحديدا حينما يحاول الناس التأثير على بعضهم البعض، وهما:

١. نموذج الاقناع: وفيه يحاول أحد الطرفين إقناع الطرف الآخر بتبني أو الموافقة على موقفه
٢. نموذج التفاوض: إذا لم تستطع إقناع الآخر بقبول موقفك قبولاً كليًا يمكنك عندئذ أن تبدأ التفاوض وهو أن يتنازل كل هذا الطرف قليلاً، وذاك قليلاً، وهو ما يتسبب في إيجاد حل وسط في نهاية المفاوضة.
٣. نموذج التعصب: ويحدث هذا عقب اتخاذ كل من الطرفين مواقف ثابتة، ورفضه التحرك دون اعتبار لما يطلبه الطرف الآخر.
٤. نموذج الاستقطاب: ويحدث حينما تتسع الهوة كلما استمر الحديث ودائما ما يحث حينما يقوم كل طرف بمهاجمة موقف الطرف الآخر دون نزاهة، رافضًا الاستماع إلى حجة الآخر وبينما يحاول كل طرف إثبات صحة موقفه يحدث الاستقطاب.

يرى سبينس أنه لكي تقنع الآخرين بما تريد فينبغي أن يصدقوا حديثك أولاً، ولكي يصدقوا حديثك ينبغي أن يكون حديثك واقعيًا وصادقًا. (ميلز، ٢٠٠١)

حاول هوفلاند وزملاؤه من خلال دراستهم الاجابة على السؤال التالي:

- من؟ بث الرسالة (المصدر)
- قال ماذا؟ مضمون الكلام (الرسالة)

- لمن؟ بث الرسالة (المتلقي)

إن العناصر الاقناعية (المصدر والرسالة) تحاول التشكيك في موقف إنسان، تقترح تبني موقف آخر، وتقدم العلل والدوافع (مثل الوعد بالتخلص من وضع سيء) للإصغاء إلى الرسالة الجديدة، فهمها، الإذعان لها، والمحافظة على الموقف الجديد بدلاً من الموقف القديم.

فإن العناصر التي تؤثر على عملية تغيير المواقف والاقناع هي (الإصغاء والانتباه – الفهم الإذعان – الحفظ) وهي تتأثر تأثرًا مباشرًا بعوامل أخرى مثل (المصدر– الرسالة –المتلقي وسيلة الاتصال).

فمصدر الرسالة الإقناعية يمكن أن يكون فردا، ويمكن أن يكون مجموعة (أفراد العائلة)، ويمكن أن يكون مؤسسة أو تنظيمًا. (رزق، ١٩٩٤)

التفاوض:

التفاوض واحد من أهم آليات التَّدافُع لحسم الخلافات وفض المنازعات بين الأفراد أو الجماعات أو الدول، ويسعي لتحويل مسار الخلاف والنزاع إلى مسار التَّدافُع السوي والطبيعي وتجنب اضطراب التَّدافُع المتمثل في الصراعات والنزاعات المسلحة.

الأولى: ضرورته:

وتظهر ضرورة التفاوض مدى الأهمية التي يستمدها من العلاقة التفاوضية القائمة بين أطرافه أي ما يتعلق بالقضية التفاوضية التي يتم التفاوض بشأنها وتلك هي الزاوية الأولى.

الثانية: حتميته:

نجد أن التفاوض يستمد حتميته من كونه المخرج أو المنفذ الوحيد الممكن استخدامه لمعالجة القضية التفاوضية والوصول إلى حل للمشكلة المتنازع بشأنها.

مفهوم التفاوض:

التفاوض هو نوع من الحوار أو تبادل الاقتراحات بين طرفين أو اكثر بهدف التوصل إلى اتفاق يؤدي إلى حسم قضية نزاعية بينهم، وفي نفس الوقت الحفاظ على المصالح المشتركة فيما بينهم، أي أن للتفاوض ركنين أساسيين هما وجود مصلحة مشتركة أو أكثر، ووجود قضية نزاعية أو أكثر.

ويمكن تعريف التفاوض كما يلي:

التفاوض هو عملية يتفاعل من خلالها طرفان أو أكثر لديهم اعتقاد بوجود مصالح واهتمامات مشتركة ومتداخلة وأن تحقيق أهدافهم وحصولهم على نتائج مرغوبة تتطلب الاتصال فيما بينهم كوسيلة أكثر ملائمة لتضييق مساحة الاختلاف وتوسيع منطقة الاشتراك بينهم من خلال المناقشة والتضحية والحجة والإقناع والاعتراض للتوصل إلى اتفاق مقبول للأطراف بشأن موضوعات أو قضايا التفاوض.

من خلال التعريف يتضح أن التفاوض كعملية يقوم على أسس عامة:

- يوجد لدى كل طرف هدف أو عدد من الأهداف يهتم بتحقيقها من خلال ما يقدمه الطرف الاخر من تعاون وتضحيات أو تنازلات.
- يوجد طرفان أو أكثر لديهم أسباب حقيقية للاتصال والتفاعل فيما بينهم لتحقيق نتائج نافعة لهم.

- لا يتم التفاوض الا بوجود طرفين أو أكثر بينهم موضوع أو مصالح مشتركة رغم احتمال وجود اختلاف وجهات النظر فيما بينهم.
- توجد قناعة لدى كل طرف بأن الاتصال المباشر والتفاعل والاستجابة الملائمة للطرف الآخر يعد الوسيلة الأكثر فعالية لتحقيق نتائج مرضية لكل طرف.
- يوجد قناعة لدى كل طرف من الأطراف بأن لديه قدرات تمكنه من اقناع الطرف الآخر لتعديا موقفه وتقديم تنازلات في مطالبه الأصلية للتوصل إلى اتفاق يحقق مصالح عادلة لك الاطراف.
- يتوقف ظهور الحاجة للتفاوض والاقتناع بها على امكانية خلق منطقة مشتركة بين مناطق الاختلاف بين أطراف التفاوض.
- يوجد استعداد لدى كل من الأطراف بأن يقوم بتعديل موقفه الاصلي اذا ما تقدم الطرف الاخر بحجج مقبولة بما يمكن من التوصل إلى افضل النتائج للأطراف.
- يوجد انطباع لدى كل من الاطراف بأن الاخرين لديهم القناعة بأن التفاوض هو أفضل الوسائل لتعظيم المصالح المشتركة لأطراف التفاوض.
- يتوقف نجاح التفاوض بدرجة كبير على أسلوب توظيف المهارات والقدرات لدى أفراد وفرق التفاوض في مراحل التحضير والتنفيذ للتفاوض وصياغة الاتفاق بين أطراف التفاوض.
- يُعدُّ التفاوض عملية اجتماعية تفاعلية تستخدم فيها مهارات التفاوض وقدرات التأثير والإقناع، حيث لا تتوقف على مجرد الحقائق والحسابات المنطقية، وإنما تشمل العديد من جوانب الرغبات والدوافع والحاجات والاتجاهات والعواطف والانفعالات.

- يرتبط التفاوض بالفطرة البشرية حيث يمارس الإنسان عملية التفاوض منذ مولده حتى مماته وان اختلفت الأهداف والأساليب والأدوات.

التَّدافُع والتوجه للمستقبل:

إذا أراد الإنسان أن يغيّر من حياته، وأن يكون ناجحا عليه أن يخطط لمستقبله، فهناك أشخاص لديهم رؤية لمستقبلهم لكن ليس لديهم الدافع أو أن الظروف البيئية تمنعهم من ذلك، ولا يعرفون طريق الوصول إلى الهدف الذين يريدونه وتصبح حياته بلا معنى، ففى دراستى هنا عن التوجه للمستقبل للمراهق المعاق سمعيا يكون عرضى لطموحات المعاق سمعيا والعوائق التى تصادفه وإنجازاته وإحباطاته وأمنياته، وماهى خططه وأهدافه واهتماماته التى تتعلق بالمستقبل.

يؤدي المستقبل دورًا مهمًا في حياة الفرد، فهو بمثابة مفعول السحر في حياته Fascinating ، فيمكن أن يكون آلية تحميه من خبراته الأليمة التى مر بها، ويمكن أن يكون بمثابة فرصة قوية للتغيير من أجل الوصول إلى وضع مختلف وأفضل، فالزمن بمراحله المختلفة يتمثل في الماضي وقد انتهت أحداثه، لذلك يجب على الفرد التركيز على الخبرات السعيدة والمفضلة التى مر بها، وليس التركيز على الخبرات الأليمة أو الصادمة، أما الحاضر فقد يتيح للفرد فرصًا قليلة من أجل تغيير حقيقي، لذلك يجب أن يكون الحاضر قائمًا على مبدأ هنا والآن *here and now* والرضا في كل الأحوال، أما المستقبل فهو ملاذ الفرد الذي يرى فيه تخيلاته وما يرغب فيه، فالمستقبل يقوم على افتراض الفرد للأحداث القادمة سواء قريبة أو بعيدة المدى، وبتقدير النتائج التى تترتب على أفعاله، فالأفراد الموجهون نحو المستقبل يخططون دائمًا من أجل تحقيق ما يريدون. (Snyder,&Lopez, 2007:171)

إن هناك عديد من التغيرات الكبيرة التى سوف يحملها المستقبل للإنسان، فيصبح الإنسان أشبه بالعرائس المتحركة في يد المستقبل، أما إذا استطاع الإنسان أن يحسن اللعب بخيوط هذه العرائس فلن يمثل المستقبل بالنسبة له مصدر للقلق أو الخوص، وإنما سيراقب هذا المستقبل بنوع من الشغف وحب الاستطلاع، وهذا لن يحدث إلا إذا استطاع الإنسان أن يحسن التحكم في ذاته وفي إدارة ذاته، فإذا أراد الإنسان أن يتعرف ما يمكن أن يخبئه المستقبل له، فعليه أن يطور من عملياته العقلية، فعلي قدر سرعة تطوير هذه القدرات يمكن التنبؤ بما سيحدث في المستقبل. (تيلور، ١٩٩٩:٤٣)

وقد شهدت الفترة الماضية زيادة ملموسة في الوعي بشأن المستقبل، وذلك بحكم تسارع المستجدات والتحديات التى تواجه البشرية فى ذلك العصر، وما تمثله من فرص ومخاطر وما ينتج عنه من إمكانات متعاظمة في المعلوماتية والاتصالات والتكنولوجيا والهندسة الوراثية والإبداعات في توظيف التكنولوجيا وتعظيم الطاقات البشرية، علمًا وثقافة ومهارة إلى أقصى الحدود وأصبح من المقبول الآن عند العامة والخاصة على السواء بأن دراسة المستقبل ممكنة بل وضرورية بقدر ما يمثل الاهتمام بالمستقبل حاجة أساسية وطريقة للتفكير سواء من أجل التفكير في عواقب أفعالنا في المستقبل أو من أجل التفكير في تأثير وجهة نظرنا عن المستقبل في أفعالنا الراهنة. (زاهر،٢٠٠٤:٤١٠)

أهداف الدراسات المستقبلية:

اقتراح ما يمكن تصوره للمستقبل، والقدرة على اتخاذ القرار، ورسم الخطط التى تساعد على التوجه للمستقبل، والتطلع على مستلزمات العصر، والاحتياجات الممكنة التى تساعد الشباب على تغير حياتهم واستخلاص عبرة من الماضي من خلال دراسة أهم التطورات على المستويين الدولي والإقليمي وما ينتج عنها من

تأثيرات مثل: الفرص المُتاحة, القيود المفروضة والتهديدات والمخاطر الناجمة، بهدف تحديد صورة مستقبلية.

المستقبل فى علم النفس:

ويُعدُّ من أهم أهداف الصحة النفسية منح قوة داخلية للفرد، وذلك عن طريق تبصيره بهدف مستقبلى يستطيع من خلاله أن يتطلع للأمام، ولعل من الخصائص المميزة للإنسان أنه يستطيع أن يحيا بواسطة تطلعه إلى المستقبل، فهو بمثابة خلاص الإنسان من أحلك الظروف التى يمكن أن يمر بها فى حياته فالإنسان الذى لا يرى نهاية لوجوده المؤقت يكون غير قادر على أن يرنو إلى هدف فى الحياة فالأمل يساعد الفرد على وضع هذه الأهداف، بل والاستمرار فى الحياة بصورة سوية، ويجب على الشخص ألا يفقد الأمل أو يتخلى عنه طالما أن الإنسان لا يعرف ما سيأتى فى المستقبل، ومن المفترض أن يقوم الإنسان بالتخطيط للمستقبل، وذلك لما يمتلكه من خصائص ومميزات ووفقا لإمكاناته وقدراته، ويعمل جاهدا على تحسين الظروف المحيطة به، وذلك من أجل مستقبل أفضل، أما إذا فقد الإنسان ثقته فى المستقبل فإنه يفقد تماسكه المعنوى ويصبح عرضة للقلق والخوف من المستقبل مما يؤدى إلى إحداث عديد من الاضطرابات النفسية والسلوكية وبخاصة عند الشباب. (منصور، ١٩٨٢: ١١٤)

مفهوم التوجه للمستقبل:

لم يختلف مصطلح التوجه للمستقبل عن مصطلح التوجه المستقبلى أو التوجه نحو المستقبل سواء فى القواميس العربية أو الإنجليزية فهما يعطيان نفس المعنى.

كما عرف (Rachel, 2009:3) التوجه نحو المستقبل: أنه الصور التى يتخيلها الفرد بشأن مستقبله والصور التى يمثلها الوعى وصور التقرير الذاتى

وهى ترى أن هذا الاتجاه ينبنى على فكرة أنه تعتبر السمات غير الموضوعية كالامتداد إلى المستقبل وميل الشخصية للتفكير فى المستقبل ذات أهمية فإن الأفكار الرئيسية للتفكير فى المستقبل أو محتوى هذا التفكير والطابع الغالب عليه هى جوانب فى التوجه نحو المستقبل .

تعريف التوجه نحو المستقبل (Future Orientation) هو الصور التى يتخيلها الفرد بشأن مستقبله(المهنى والزواجى والأسرى على وجه الخصوص) والصور التى يمثلها الوعى وصور التقرير الذاتى. (على،٢٠١١: ٩)

كما يعرف (بدر، ٢٠٠٣:٢٠) التوجه المستقبلى هو إدراك إيجابي للأحداث المستقبلية من حيث انفتاح المستقبل على فرص كافية وحقيقية للإشباع، وما ينطوى عليه الحاضر من صعوبات وحرمان حيث يقوم هذا الإدراك على تحدي الفرد للأهداف المستقبلية التى يتطلع إلى إنجازها وارتباط هذه الأهداف بخطط ومهام مستقبلية تتناسب مع امكانات الفرد وقدراته الواقعية، كما تنسجم مع قيم الشخصية ومستوى طموحها ومن ثم ينعكس على تفاؤل الفرد بشان المستقبل، وهذا يعنى تطلع الفرد الدائم نحو المستقبل كسبيل لبلوغ الأهداف وتحقيق الاشباع.

مكونات التوجه للمستقبل:

وقد حدد (بدر، ٢٠٠٣: ٢١–٢٢) المكونات التى يتكون منها مفهوم التوجه المستقبلى، وهى: **أولاً:** الإدراك الموضوعى للحاضر (الواقعية) فى تحديد الإهداق التى يتطلع إليها الفرد فى المستقبل، ومدى الادراك الموضوعى لصعوبات الحاضر التى تعوق تحقيق هذه الأهداف. **ثانياً:** التحدى والاصرار، لتخطى هذه الصعوبات من أجل الأهداف. **ثالثاً:** التخطيط للمستقبل من خلال تحديد الأهداف المستقبلية والتطلع لإنجازها، بما فى ذلك تحديد الخطط المستقبلية التى توظف

الامكانات والقدرات الذاتية للفرد، والتفاعل الايجابى مع البيئة بهدف تحقيق الأهداف المستقبلية على مختلف أبعادها. **رابعاً**: الثقة فى الذات من حيث تناسب الأهداف مع إمكانات الفرد وقدراته الواقعية وانسجامها مع مستوى طموحه وتطابقها مع قيمه الشخصية، وكل هذا يؤدى إلى ثقة الفرد بذاته ويساعده على بلوغ أهدافه مهما كانت الصعاب التى يواجهها. **خامساً**: الثقة فى البيئة من حيث التفاؤل بشأن حدوث التغيرات الموجبة فى البيئة مستقبلا، وذلك على الرغم من الاحباطات الراهنة. **سادساً**: مستوى التوجه المستقبلى، وذلك من خلال التفاؤل بشأن المستقبل من حيث انفتاحه على فرص حقيقية، ومن ثم التطلع الدائم للمستقبل كمخزون لطاقات ذاتية لم تتحقق، وبعد تغيرات موجبة لم تحدث بعد، مما يسمح فى حال تحقيقها مستقبلا ببلوغ الأهداف وتحقيق الإشباع .

ويوضح نورمى Nurmi مجموعة من العمليات الداخلية التى يرتكز عليها بناء التوجه المستقبلى، فهى تتمثل فى **أولاً**: الدافعية Motivation التى تظهر فى صورة الإهتمامات والأهداف والقيم التى توجه الفرد فى حياته وفى مستقبله وتنتهى بوضع الفرد لمجموعة الأهداف التى يسعى إلى تحقيقها. **ثانياً**: التخطيط Planning وذلك عن طريق وضع استراتيجية قائمة على مجموعة من الأهداف الفرعية من أجل إنجاز الأهداف الكبرى التى وضعها من قبل، وذلك من خلال مجموعة من الانشطة والافعال التى تساعد على تحقيق هذه الخطط، بالإضافة إلى ذلك فالفرد فى هذه المرحلة يقوم بعمل تصورات عن الاوضاع المستقبلية وعن النتائج التى يمكن أن تترتب عليها. **ثالثاً**: التقييم Evaluation والذى يُعدُّ شكلا من أشكال تنظيم الذات، والذى يعنى تقييم ما تم إنجازه من أهداف والفاعلية والمجهود الذى تم بذله من أجل إنجاز هذه الأهداف، وهو يتضمن بذلك مراقبة للسلوك Behavior Monitoring التى تمثل تدعيما قويا للذات، وكذلك يتضمن عملية التقييم ما يمكن تحقيقه من أهداف جديدة أو بديلة تنتج عن تحقيق الأهداف السابقة أو عدم تحقيقها. (البيومي، ٢٠١٦)

أهمية التوجه للمستقبل:

تأتى أهمية التوجه للمستقبل وذلك لمساعدة الشباب لتفادي البطالة واختيار التخصص، والتأهيل في الأعمال والمهن المناسبة التي يمكن أن يتعلمها الشباب وتتناسب مع قدراته ومؤهلاته، وبذلك يساعد التوجه للمستقبل على الموائمة بين استعداد الشباب وفرص سوق العمل المتاحة، وزيادة على ذلك فإن هناك شريحة من الشباب الصم الواعد والمبادر والكفوء المبدع، وهؤلاء يمكن اكتشافهم واكتشاف أنفسهم من خلال عمليات الإرشاد والتوجيه المهني .

يرى (عبد السلام، ١٩٩٥: ٦٥٧) أهمية المستقبل فى قول انه مكون رئيس لسلوك الفرد، ومؤثر في قدرته على بناء أهداف شخصية بعيدة المدى والعمل على تحقيقها، كما أن عدم قدرة بعض الأفراد على إنجاز الخطط المستقبلية بعيدة المدى مرتبط بالافتقار إلى منظور زمن المستقبل، كما أنه عرف منظور زمن المستقبل (Future Time Perspective) على أنه "نزعة الفرد لإعطاء أهمية كبيرة للأهداف بعيدة المدى، والاعتقاد في أن العمل الجاد هو الوسيلة لإنجاز تلك الأهداف".

يرى كيربلمان وموشير (Kerpelman & Mosher,2004:187 – 190) أن التوجه المستقبلى يعتبر ذا أهمية كبيرة بالنسبة للمراهقة، وشديد الاهمية بالنسبة للشباب، لما له من أهمية كبيرة يمكن أن تؤدى إلى نتائج إيجابية أو سلبية، مما يعنى أن التوجه المستقبلى هو كيفية رؤية الشباب للمستقبل، التى تصاغ فى صورة أهداف وآمال وتوقعات مستقبلية من شأنها أن تؤدى إلى نتائج إيجابية لدى الشباب، وقد توصل كبربلمان أن هناك مجموعة من العوامل التى ترتبط بالتوجه المستقبلى، وهى **أولاً:** الهوية حيث تتمثل فى اكتشاف الفرد لذاته، وهى تمثل أهمية كبيرة فى تحديد الامكانيات المستقبلية لدى الشباب، مما يمكنهم من الوصول إلى حياة إيجابية، أما الفشل فى اكتشاف الهوية فإنه يؤدى إلى

توجه سلبى نحو الحياة. **ثانياً**: تحمل المسئولية والضبط الداخلى، وهذا يتوقف على مجهود الفرد وقدراته وتحمله المسئولية تجاه قراراته التى يتخذها فيما يتعلق بالأهداف التى يريد تحقيقها، والنتائج المترتبة على هذه الأهداف. **ثالثاً**: مدى فاعلية الفرد من حيث قدرته على تنظيم ذاته وتنفيذ الخطوات التى تم تحديدها، وذلك وصولا للنتائج المرغوبة، وبالإضافة إلى ما سبق فإن هناك مجموعة من العوامل التى تؤثر على التوجه المستقبلى وهى العمر، والنوع، ودخل الأسرة والمستوى التعليمى للآباء.

وتأكيداً لذلك قام (Malamberg, 2002: 79) بدراسة التوقعات المستقبلية لدى المراهقين، وذلك باعتبار أن المستقبل من الأمور المهمة فى حياة المراهقين والشباب، فحينما يتوجه المراهقين نحو المستقبل يقومون بوضع الأهداف التى يريدون التوصل إليها، وتقييم النتائج المتوقعة، والقيام بالأنشطة والأعمال التى تساعدهم من أجل تحقيق الأهداف. وتكونت عينة الدراسة من ١٤٥ طالبا منهم ٦٩ من الإناث و٧٦ من الذكور، تتراوح أعمارهم بين ١٢-١٨ عاما بمتوسط عمر ١٥,٥عاما. واستخدمت الدراسة مجموعة من الأدوات هى: مقياس التوجه المستقبلى، مقياس تقدير الذات. وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج، هى: وجود علاقة بين تقدير الذات والتوقعات المستقبلية، وأن المراهق يستطيع توقع المستقبل الأسرى والتعليمى له، وأن الذكور والإناث متساويان من حيث التوقعات المستقبلية الأسرية، ووجدت الدراسة أيضا أن الإناث أقل فاعلية فى التوقعات المهنية من الذكور. (البيومي، ٢٠١٦)

الفصل الثاني عشر
اضطرابات التَّدافُع

اضطرابات التدافع

التَّدافُع سلسلة لا تنتهي من السعي نحو تحقيق الأهداف والغايات التى تكون هدفًا للوجود في الحياة، ويتطلب التَّدافُع الإيجابي للوجود في الحياة أن يخضع بدوره للعديد من القواعد والقوانين التى تنظمه وتساعد على تحقيقه وترسم ملامح تحقيقه في الوجود المادي، بل وتمنح الدلائل والمؤشرات التي يمكن من خلالها تحقيق الوجود السوي، ومن ثم التَّدافُع السوي والإيجابي الذي يعبر عن إرادة الله في خلقه من وجود سوي وطبيعي يسعى إلى الخير وإلى النماء وإلى أسمى معاني التعايش الإيجابي والسلام النفسي الداخلى والمادى في العلاقة بالعالم الخارجي، والنمو الارتقائي الذي يمر به الإنسان عبر مراحله المختلفة هو قمة التجسيد لمعنى السعي نحو تحقيق الوجود الفاعل الإيجابي عبر قوانين نمو محدده وسلسلة من التغيرات تنظم هذا الشكل من التَّدافُع الارتقائي والنمائي الذي يرسم بدوره ملامح النمو السوي (التَّدافُع السوي) أو يرسم ويتيح كل أشكال الاضطراب والمرض من خلال التَّدافُع الارتقائي السلبي أو المرضي.

وفي ضوء هذا التصور، يمكن تقسيم التَّدافُع إلى:

- التَّدافُع السوي أو الإيجابي: وهو التَّدافُع الذي يسعى إلى تحقيق الأهداف والغايات والخير والنماء، ويهدف إلى تحقيق التعايش الإيجابي والسلام الداخلي مع الذات ومع الآخرين.
- اضطراب التَّدافُع أو التَّدافُع السلبي: وهو كل سلوك أو فعل يعاقب عليه القانون ويخالف معايير الجماعة ويخالف تعاليم الأديان بمفاهيمه وقيمه، ويؤدى إلى إحداث الضرر المادي أو المعنوي بالآخرين، سواء كان هذا السلوك فردي أو جماعي.

وفي ضوء هذا التعريف فيمكن إدراك جميع أنواع الامراض والاضطرابات التى وردت في الدليل الإحصائي التشخيصي للأمراض والاضطرابات النفسية

والعقلية المعروف اختصارًا DSM5 ضمن اضطرابات التَّدافُع باعتبار أن كل شخص يحتاج إلى علاج أو إرشاد أو تدخل أو تعديل سلوك أو تنمية مهارات أو برنامج علاجي أو تأهيلي هو شخص فقد قدرته على التَّدافُع السوي، وهذا التدخل يسعى إلى محاولة إعادته إلى التَّدافُع الطبيعي أو السوي ضمن معطيات الحياة العادية والطبيعية بين الناس ومعهم وبينهم، كذلك يمكن إدراج جميع أنواع السلوكيات التى وردت ضمن قانون العقوبات باعتبارها سلوك مخالف للقانون ويؤدى إلى الحاق الضرر أو الأذى بذات الشخص المرتكب للفعل أو بالضرر للآخرين أو المجتمع ويقع تحت طائلة القانون هو بالضرورة يمكن تصنيفه ضمن اضطرابات التدافع، حيث تصبح العقوبة السلبة للحرية (السجن) بمثابة عقوبة وعلاج يسعى إلى التأديب والتهذيب والاصلاح لإعادة قدرته على التَّدافُع السوي مع الاخرين.

كما يجدر الاشارة إلى ما يسمى الامراض أو الاضطرابات النفسية الاجتماعية، وهي تلك الاضطرابات التى تصيب المجتمع بشكل عام، وهي بالضرورة تدخل ضمن اضطرابات التَّدافُع والعرض التالي سوف يلقي مزيد من الضوء على هذا التصور.

وفي العرض التالي تصورًا مختصرًا عن هذا التصور لاضطراب التدافع:

أولاً: الدليل الاحصائي التشخيصي للأمراض والاضطرابات النفسية والعقلية DSM5:

- **الاضطرابات العصبية – النمائية: مثل**

الإعاقات الفكرية– إعاقة فكرية (اضطراب فكري نمائي)– تأخر نمائي شامل– إعاقة فكرية غير محددة (اضطراب فكري نمائي).

- **اضطرابات التواصل مثل:**

اضطراب اللغة- اضطراب صوت الكلام (الاضطراب الفونولوجي سابقًا)- اضطراب الطلاقة البادئ في الطفولة (التأتأة).

- **اضطراب التواصل الإجتماعي (الغرضي/ الهادف) مثل:**

اضطراب تواصل غير محدد- اضطراب طيف التوحد- اضطراب ضعف الإنتباه / فرط الحركة- اضطراب ضعف الإنتباه / فرط الحركة- اضطراب ضعف الإنتباه / فرط الحركة محدد آخر- اضطراب ضعف إنتباه / فرط حركة غير محدد - اضطراب تعلّم محدد- اضطرابات الحركة- اضطراب التآزر (التناسق) النمائي- اضطراب الحركة النمطية -اضطرابات اللزمات- اضطراب توريت - اضطراب لزمة حركية أو صوتية متواصل (مزمن)- اضطراب لزمة مؤقت- اضطراب لزمة غير محدد - اضطرابات عصبية - نمائية أخرى- اضطراب عصبي - نمائي غير محدد.

- **اضطرابات طيف الفصام والاضطرابات الذهانية الأخرى مثل:**

اضطراب (شخصية) فصامي النوع-اضطراب ضلالي (هذائي)- اضطراب ذهاني وجيز- اضطراب فصامي الشكل- فصام- اضطراب فصام وجداني- اضطراب ذهاني ناتج عن تعاطي مواد أو أدوية- اضطراب ذهاني عائد إلى حالة طبية أخرى-الكتاتونيا- كتاتونيا مع اضطراب عقلي آخر (محددة للكتاتونيا)- اضطراب كاتاتوني عائد إلى حالة طبية أخرى- كتاتونيا غير محددة.

- **الاضطراب ثنائي القطب والاضطرابات ذات العلاقة مثل:**

اضطراب ثنائي القطب من النوع الأول-اضطراب ثنائي القطب من النوع الثاني- اضطراب دوري (سايكلوثيميا)- اضطراب ثنائي القطب واضطراب ذي

علاقة ناتج عن تعاطي مواد أو أدوية- اضطراب ثنائي القطب واضطراب ذي علاقة عائد إلى حالة طبية أخرى- اضطراب ثنائي القطب واضطراب ذي علاقة محدد- اضطراب ثنائي القطب واضطراب ذي علاقة آخر غير محدد.

- **الاضطرابات الإكتئابية مثل:**

اضطراب ضعف تنظيم المزاج التخريبي- اضطراب اكتئابي جسيم، نوبة مفردة ونوبات متكررة- اضطراب اكتئابي متواصل (ديسيثميا)- اضطراب تكدّر (عُسر) المزاج السابق للطمث- اضطراب اكتئابي ناتج عن تعاطي مواد أو أدوية- اضطراب اكتئابي عائد إلى حالة طبية أخرى -اضطراب اكتئابي محدد آخر- اضطراب اكتئابي غير محدد.

- **اضطرابات القلق مثل:**

اضطراب قلق الانفصال- البكم الاختياري- رهاب محدد- اضطراب القلق الاجتماعي (الرهاب الاجتماعي)- اضطراب هلع- وبة هلع (مُحَدِدَه)- اضطراب القلق العام (المُعمم)- اضطراب قلق ناتج عن تعاطي مواد أو أدوية- اضطراب قلق عائد إلى حالة طبية أخرى- اضطراب قلق محدد آخر- اضطراب قلق غير محدد.

- **اضطراب الوسواس القهري والاضطرابات ذات العلاقة مثل:**

اضطراب الوسواس القهري- اضطراب تشوه الجسد الوهمي-اضطراب الكنز (الخزن)- اضطراب نتف الشعر- السلخ (كشط الجلد)- اضطراب وسواس قهري واضطراب ذي علاقة ناتج عن تعاطي مواد أو أدوية- اضطراب وسواس القهري واضطراب ذي علاقة عائد إلى حالة طبية أخرى- اضطراب وسواس القهري واضطراب ذي علاقة آخر محدد- اضطراب وسواس القهري واضطراب ذي علاقة غير محدد.

- **الاضطرابات المتعلقة بالصدمات والضغوط النفسية مثل:**

اضطراب التعلق الاستجابي- اضطراب الاختلاط (التفاعل) الاجتماعي الجامح- اضطراب الشدة التابع للصدمة- اضطراب الضغط النفسي الحاد- اضطرابات التوافق- اضطراب متعلق بالصدمات. والضغوط النفسية آخر محدد- اضطراب متعلق بالصدمات والضغوط النفسية غير محدد.

- **الاضطرابات الإنشقاقية مثل:**

اضطراب الهوية الإنشقاقية- فقدان الذاكرة الإنشقاقي- اضطراب اختلال الآنية / اختلال الواقع - اضطراب انشقاقي آخر محدد.

- **الأعراض الجسدية والاضطرابات ذات العلاقة مثل:**

اضطراب الأعراض الجسدية- اضطراب قلق المرض- اضطراب تحولي (اضطراب الأعراض العصبية الوظيفي)- عوامل نفسية تؤثر على حالة طبية أخرى- اضطراب مُصطنع (مُختلق)- اضطراب الأعراض الجسدية واضطراب آخر محدد- اضطراب الأعراض الجسدية واضطراب آخر غير محدد.

- **اضطرابات التغذية والأكل مثل:**

البيكا [أكل أشياء غير صالحة للأكل]- اضطراب الإجترار -اضطراب تناول الطعام التجنبي/الحصري- فقدان الشهية العصبي- الشره العصبي- اضطراب النُهام- اضطراب تغذية أو أكل محدد- اضطراب تغذية أو أكل غير محدد- اضطرابات الإخراج- سلس البول (البوال)- التغوط- اضطراب إخراج محدد آخر- اضطراب إخراج غير محدد.

- **اضطرابات النوم واليقظة مثل:**

اضطراب الأرق- اضطراب فرط النعاس- النوم الإنتيابي- اضطرابات النوم المتعلقة بالتنفس- ضعف التنفس الإنسدادي أثناء النوم - إنقطاع التنفس أثناء النوم- نقص التهوية المتعلق بالنوم- اضطرابات النوم واليقظة الخاصة بإيقاع الحياة اليومية (الساعة البيولوجية)- إنحرافات (شذوذات) النوم-اضطرابات الإثارة الخاصة بالنوم غير المصحوب بحركة العين السريعة- المشي أثناء النوم (التجوال النومي)- فزع النوم (الفزع الليلي)- اضطراب الكوابيس- اضطراب سلوكي خاص بالنوم المصحوب بحركة العين السريعة-زملة تململ (قلقلة) الساقين- اضطراب نوم ناتج عن تعاطي مواد أو أدوية-اضطراب أرق محدد آخر- اضطراب أرق غير محدد- اضطراب فرط نعاس محدد آخر- اضطراب فرط نعاس غير محدد- اضطراب نوم ويقظة محدد آخر- اضطراب نوم ويقظة غير محدد.

- **الاضطرابات الجنسية إختلالات الوظيفة الجنسية) مثل:**

تأخر القذف (القذف المتأخر)- اضطراب الانتصاب-اضطراب الذروة الجنسية عند الإناث- اضطراب الرغبة الجنسية/الإثارة عند الإناث- ألم الجهاز التناسلي [عند الإناث] / اضطراب الإيلاج- اضطراب ضعف الرغبة الجنسية عند الرجال-القذف المبكر- اختلال جنسي ناتج عن تعاطي مواد أو أدوية- اختلال جنسي محدد آخر- اختلال جنسي غير محدد- الضيق الجنسي- ضيق جنسي غير محدد.

- **اضطرابات التخريب (التعطيل) وضبط الإندفاعات والمسلك مثل:**

اضطراب الرفض الإعتراضي (الاضطراب المُتحدي المُعترض)-اضطراب الانفجارات المُتقطعة (الاضطراب الانفجاري المُتقطع)- اضطراب المسلك-

اضطراب شخصية معادية للمجتمع- هوس الإشعال (الحرائق)- هوس السرقة- اضطراب تخريب (تعطيل) وضبط اندفاعات ومسلك آخر محدد- اضطراب تخريب (تعطيل) وضبط اندفاعات ومسلك آخر غير محدد.

- **اضطرابات الإدمان والاضطرابات المتعلقة باستخدام المواد مثل:**

الاضطرابات المتعلقة بتعاطي المواد- اضطرابات تعاطي المواد-اضطرابات ناتجة عن استخدام المواد - التسمم والانسحاب الناتج عن المواد- اضطرابات عقلية ناتجة عن تعاطي مواد أو أدوية- الاضطرابات المتعلقة بالكحوليات- اضطراب تعاطي الكحول-التسمم بالكحول (التسمم الكحولي)- انسحاب الكحول (الانسحاب الكحولي)- اضطرابات أخرى ناتجة عن الكحول- اضطراب غير محدد متعلق بالكحول- الاضطرابات المتعلقة بالكافيين-التسمم بالكافيين- انسحاب الكافيين- اضطرابات أخرى ناتجة عن الكافيين- اضطراب غير محدد متعلق بالكافيين- الاضطرابات المتعلقة بالقُنّبْ-اضطراب تعاطي القنب-التسمم بالقنب- انسحاب القنب- اضطرابات أخرى ناتجة عن القنب- اضطراب آخر غير محدد متعلق بالقنب - الاضطرابات المتعلقة بالمهلوسات- اضطراب تعاطي الفينسيكليدين- اضطراب تعاطي المهلوسات آخر- التسمم الفينسيكليدين- تسمم آخر بالمهلوسات- اضطراب الإدراك المتواصل الخاص بالمهلوسات- اضطرابات أخرى ناتجة عن الفينسيكليدين- اضطرابات أخرى ناتجة عن المهلوسات- اضطراب متعلق بالفينسيكليدين غير محدد- اضطراب متعلق بالمهلوسات غير محدد- اضطرابات مرتبطة بالمستنشقات- اضطراب تعاطي المستنشقات- التسمم بالمستنشقات-اضطرابات أخرى ناتجة عن المستنشقات- اضطراب متعلق بالمستنشقات غير محدد- الاضطرابات المتعلقة بالأفيون- اضطراب تعاطي الأفيون- التسمم بالأفيون - انسحاب الأفيون- اضطرابات أخرى ناتجة عن الأفيون- اضطراب متعلق بالأفيون غير محدد- الاضطرابات

المتعلقة بالمُسكنات أو المُنومات أو مضادات القلق- اضطراب تعاطي المُسكنات أو المُنومات أو مضادات القلق- التسمم بالمُسكنات أو المُنومات أو مضادات القلق- انسحاب المُسكنات أو المُنومات أو مضادات القلق- اضطرابات أخرى ناتجة عن المُسكنات أو المُنومات أو مضادات القلق - اضطراب متعلقة بالمُسكنات أو المُنومات أو مضادات القلق غير محددة- الاضطرابات المتعلقة بالمنشطات (المنبهات)- اضطراب تعاطي المنشطات (المُنبهات)-التسمم بالمنشطات (المُنبهات)-انسحاب المنشطات (المُنبهات)-اضطرابات أخرى ناتجة عن المنشطات (المُنبهات) - اضطراب متعلق بالمنشطات (المُنبهات) غير محدد- الاضطرابات المتعلقة بالتبغ- اضطراب تعاطي التبغ- التسمم بالتبغ- اضطرابات أخرى ناتجة عن التبغ- اضطراب متعلق بالتبغ غير محدد-اضطراب متعلق بمادة أخرى معروفة (أو غير معروفة) - اضطراب متعلق بمادة أخرى معروفة (أو غير معروفة) - التسمم بمادة أخرى معروفة (أو غير معروفة) - انسحاب مادة أخرى معروفة (أو غير معروفة) - اضطرابات أخرى ناتجة عن مادة أخرى معروفة (أو غير معروفة)- اضطراب متعلق بمادة أخرى (أو مادة غير معروفة) غير محدد-اضطرابات غير متعلقة بالمواد - اضطراب المقامرة

- **اضطرابات عصبية- ذهنية مثل:**

الهذيان- هذيان آخر محدد- هذيان غير محدد- اضطرابات عصبية - ذهنية جسيمة وطفيفة- اضطراب عصبي- ذهني جسيم- اضطراب عصبي- ذهني طفيف- اضطراب عصبي- ذهني جسيم أو طفيف عائد إلى مرض الزهايمر- اضطراب جبهي- صدغي عصبي- ذهني جسيم أو طفيف- اضطراب عصبي- ذهني جسيم أو طفيف مرتبط بأجسام ليوي- اضطراب وعائي عصبي- ذهني جسيم أو طفيف- اضطراب عصبي- ذهني جسيم أو طفيف عائد إلى إصابة دماغية رضية- اضطراب عصبي- ذهني جسيم أو طفيف ناتج

عن مواد أو أدوية- اضطراب عصبي- ذهني جسيم أو طفيف عائد إلى الإصابة بالإيدز -اضطراب عصبي- ذهني جسيم أو طفيف عائد إلى مرض بريون- اضطراب عصبي- ذهني جسيم أو طفيف عائد إلى مرض باركينسون- اضطراب عصبي- ذهني جسيم أو طفيف عائد إلى مرض هانتنجتون- اضطراب عصبي- ذهني جسيم أو طفيف عائد إلى حالة طبية آخرى- اضطراب عصبي- ذهني جسيم أو طفيف عائد إلى مسببات متعددة- اضطراب عصبي- ذهني غير محدد.

- **اضطرابات الشخصية مثل:**

اضطراب شخصية عام- اضطرابات الشخصية من المجموعة (أ): اضطراب الشخصية بارانوية (إضطهادية)- اضطراب شخصية شيزويدية (شبه فصامية) - اضطراب الشخصية فصامية النوع.

اضطرابات الشخصية من المجموعة (ب): اضطراب الشخصية المضادة للمجتمع- اضطراب الشخصية الحديّة- اضطراب الشخصية الهستيرية- اضطراب الشخصية النرجسية.

اضطرابات الشخصية من المجموعة (ج): اضطراب الشخصية التجنبية- اضطراب الشخصية الإعتمادية (الإتكالية)- اضطراب الشخصية الوسواسية القهرية- اضطرابات شخصية أخرى- تغيير في الشخصية عائد إلى حالة طبية أخرى- اضطراب شخصية آخر محدد- اضطراب شخصية غير محدد.

اضطرابات الإنحرافات (الشذوذات) الجنسية مثل:

اضطراب تلصصي (مشاهدة)- اضطراب إستعراضي- اضطراب إحتكاكي (تلاصقي)-اضطراب المازوخية (الماسوشية) الجنسية- اضطراب السادية

الجنسية- اضطراب إشتهاء الأطفال- اضطراب فيتيشي (توثين)- اضطراب ارتداء ملابس الجنس الآخر (متحول الزي)- اضطراب انحراف جنسي محدد آخر- اضطراب انحراف جنسي غير محدد.

ثانيًا: الجريمة كأحد أشكال اضطراب التدافع

تعد الجريمة ظاهرةً اجتماعية يرتبط وجودها بوجود المجتمعات، فمتى وجدت المجتمعات وجد الأفراد برغباتهم وأهوائهم وأهدافهم المختلفة التي قد تتضارب وتتعارض أحيانًا، مما يجعل البعض يرى في الاعتداء على الآخرين سبيلاً لتحقيق أهدافه الخاصة، فالجريمة قديمٌة قدم الوجود الإنساني، ولعل أول جريمة حدثت في التاريخ البشري هي جريمة قتل قابيل لأخيه هابيل.
(سيلرز واكرز، ٢٠١٣: ١)

تعريف الجريمة تُعرّف الجريمة (بالإنجليزية:) (Crime) بأنّها أيّ انحراف عن مسار المقاييس الجمعيّة التي تتميّز بدرجةٍ عاليةٍ من النوعيّة والجبريّة والكليّة؛ ومعناه أنه لا يُمكن للجريمة أنْ تكون إلّا في حالة وجود قيمة تحترمها الجماعة فيها، كما أنّها توجّه عدواني من قِبل الأشخاص الذين يحترمون القيمة الجمعيّة، تجاه الأشخاص الذين لا يحترمونها.

كما عرّفها البعض بأنّها عمل أو امتناع عن عمل شيء ينصُّ القانون عليه، ويُجازي فاعله بعقوبةٍ جنائيّة. ويختلِفُ مفهوم الجريمة كذلك بحسب المنظور الذي يُنظر له من خلاله، ومنها:

- الجريمة في الشّريعة الإسلاميّة: عرّف الماوردي الجريمة بأنها محظور شرعيّ نهى الله عن فعله إما بحدّ أو تعزير، والمحظور هو عملُ أمرٍ نهى الله عنه، أو عدم عمل أمرٍ أَمَرَ به.

- الجريمة من النّاحية القانونيّة: هي عملٌ غير مشروع ناتج عن إرادة جنائيّة، ويُقرّر القانون لها عقوبةً أو تصرّفًا احتياطيًّا.
- الجريمة من النّاحية الاجتماعية والنّفسية: هي عملٌ يخترقُ الأسس الأخلاقية التي وُضعت من قبل الجماعة، وجعلت الجماعة لاختراقها جزاءً رسميًا.
- أما تعريفُ المُجرم فهو: الإنسان البالغ الراشد الذي ارتكب فعلاً مؤذيًا نصّ عليه قانون مُعيّن، مما تترتّب عليه عقوبات جنائية مُحدّدة في القانون ذاته.

تفسير ارتكاب الجريمة أسباب ارتكاب الجريمة يُعزى ارتكاب الأفراد للجريمة إلى كثيرٍ من الأسباب، منها:

- انعدام أو ضعفُ الوازع الدّيني: حيثُ تُعدّ القوانين الدّينية والمحظورات التي تُحرّم الجرائم رادعًا قويًّا يتمثله الأفراد.
- ضعف الوازع الأخلاقي: يُعدّ الوازع الأخلاقي ركنًا مهمًّا من أركان الإصلاح الاجتماعي، ولذلك يجبُ أن تُمارس جميع المؤسسات التربوية دورها في غرس القيم والأخلاق لدى الأبناء لمنع انتشار السلوكات الإجرامية.
- البيئة الفاسدة: حيثُ يتأثر الإنسان بمن حوله سواءً أكانوا صالحين أم فاسدين.
- البطالة والظّروف الاقتصادية الصّعبة: حيثُ يقوم الكثيرُ من الشّباب بارتكاب الجرائم لتحصيل الأموال بأسلوب غير مشروع نظرًا لحاجتهم.
- تعاطي المُسكِرات والمُخدّرات: وتداول صور الإجرام والإرهاب: حيثُ إنّ ٧٠% من جرائم القتل تعودُ لتعاطي الفرد للمخدرات.

مفهوم الجريمة من الناحية القانونية :

التعريف: الجريمة هي فعل غير مشروع صادر عن إرادة جنائية ويقرر القانون لهذا الفعل عقوبة أو تدبيرا من تدابير الأمر ومن هذا التعريف تتضح عناصر الجريمة (الجانب المادي – القانوني – المعنوي).

الجريمة هي السلوك المخالف لما ترضيه الجماعة وعلماء الاجتماع يرون الجريمة تشمل جميع الأفعال المرفوضة اجتماعيا. (الربيعي، ٢٠٠٥: ١٠٦)

الفرق بين الجريمة الجنائية والجريمة المدنية :

ينص القانون الجزائري المدني: "كل خطأ سبب ضرر يلزم مرتكبه بالتعويض". ويوصف الفعل الصادر عن الخطأ المحدث بالغير ضررا بالجريمة المدنية جزاؤها إلزام مرتكبها بالتعويض.

الفرق بين الجريمة الجنائية والجريمة التأديبية :

الجريمة الجنائية تعد عدوانا على المجتمع بأكمله، أما الجريمة التأديبية فهي عدوان على هيئة معينة أي أن الأولى أكثر خطورة من الثانية من حيث أن العقوبة الجنائية أشد قوة من التأديبية ومن حيث أن المحاكمة الجنائية تختص بها المحاكم الجنائية، والجريمة التأديبية تختص بها المحاكم الإدارية.
(بولمالين، ٢٠٠٨: ١٨– ١٩)

لقد تضمن تحليل تيسو استعراضا مفصلا للشروط الواجب توفرها في الفعل لكي يكون جريمة نسوقه إجمالا على النحو الآتي:

١–أن تكون بصدد ضرر مادي أو أدبي محقق محتمل الوقوع .

٢- أن يقدم الجاني على الفعل بوعي حقيقي إذا كان في مقدوره استيعاب خطورة ما قدم ليه، وبالتالي فلا عقاب على السكران أو المجنون لانعدام حرية التصرف في حقهما.

٣- أن يكون الضرر موجها إلى الغير

٤- أن يكون الفعل نشاط إيجابي وليس مجرد امتناع

٥- أن يكون الفعل ذو طبيعة ملموسة يمكن إثباتها

٦- أن يدخل بخطر الفعل صراحة

٧- وأخيرا أن تكون مصلحة عامة أو منفعة اجتماعية من العقاب على إتيانه. (بولمالين، ٢٠٠٨: ٢٤)

ثالثًا: العنف كأحد أشكال اضطراب التَّدافُع

العنف هو صورة من تفاعل الكائن الحي مع بيئة تؤدى إلى الأذى الذي قد يصيبه أو يصيب الآخرين في الجسد أو النفس أو الممتلكات، ويسبب أضرار قد تكون مقصودة أو غير مقصودة، تبدأ من التأذي والضيق وتنتهي بالإصابات. (الصداق، ٢٠٠٠: ٣)

العنف: أي سلوك يصدر من فرد أو جماعة، تجاه فرد آخر أو آخرين: ماديا أم لفظيا مباشرًا أو غير مباشر، نتيجة للشعور بالغضب أو الإحباط أو للدفاع عن النفس أو الممتلكات أو الرغبة في الانتقام من الآخرين، أو الحصول على مكاسب معينة. (أميمة جادو، ٢٠٠٥: ٤)

أسباب العنف:

هناك أسباب كثيرة تسهم في ارتفاع درجة العنف في المجتمع، وقد صنف العلماء أهم هذه الأسباب ضمن: عوامل نفسية منبثقة من الشخص نفسة، وسماته

العقلية والانفعالية مثل الإحباط والانفعالات الشديدة (إجلال محمد، ٢٠٠٣: ٤٢-٤٤) وعوامل اجتماعية مثل التنشئة الاجتماعية والمدرسة وجماعة الرفاق وغيرها.

وللعنف ثلاثة أنماط وهي:

١-العنف الموجه للذات ويقسم إلى (سلوك انتحاري – انتهاج الذات).
٢-العنف بين الأشخاص ويقسم إلى (العنف العائلي وبين القرناء وثيقي الثقة- العنف المجتمعي).
٣-العنف الاجتماعي ويتمثل في (عنف اجتماعي – عنف سياسي – عنف اقتصادي). (الشمري، ٢٠١٢: ٢٢٨-٣٣٩)

أشكال العنف: يأخذ سلوك العنف عدة أشكال ومنها:

- **العنف المادي (الجسدي):** ويشمل كل السلوكيات التي تمارس باستخدام الحركة الجسدية مثل الشد والرفس والضرب.
- **العنف الرمزي(السلبي):** ويشمل التصرف بشكل يعبر عن الاحتقار للآخرين أو السخرية منهم.
- **العنف اللفظي:** وهو ما يتوقف عند حدود الكلام.

(حكيمة وفتيحة ومحمد، ٢٠١١: ١٥-١٦)

رابعًا: الاحتكار كأحد أشكال اضطراب التدافع

الاحتكار هو قدرة شخص أو عدة أشخاص طبيعيين كانوا أو معنويين على الانفراد بإنتاج سلع مميزة أو عرضها أو توزيعها أو بيعها أو الانفراد بأداء خدمة ما، على مستوى سوق معين دون منافسة فعلية مما يؤدي إلى عرقلة حرية المنافسة والإضرار بالاقتصاد والمستهلك". (بن يطو،٢٠١٠: ٢٤)

أنواع الاحتكار من حيث الحجم: ينقسم الاحتكار من حيث حجمه إلى قسمين، احتكار تام يضم كامل السوق، واحتكار قلة يضم جزء منه فقط.

أنواع الاحتكار من حيث المصدر: ينقسم الاحتكار من حيث مصدره إلى قسمين، يتعلق القسم الأول بالاحتكار الطبيعي، أما القسم الثاني فيتناول الاحتكار المصطنع الذي يستند إلى القانون أو الاتفاق.

أنواع الاحتكار من حيث الجهة المحتكرة: ينقسم هذا النوع من الاحتكار إلى قسمين: احتكار عمومي واحتكار خاص. (بن يطو،٢٠١٠: ٢٨-٣٠)

شروط الاحتكار

اشترط الفقهاء لتحقيق الاحتكار شروطا منها:

- أن يكون الوقت وقت ضرورة وضيق بحيث يسبب الاحتكار ارتفاع الأسعار على الناس.
- أن يترتب على الاحتكار الإضرار بالناس والتضييق عليهم
- أن يقصد المحتكر بالحبس انتظار الغلاء .
- أن يكون الاحتباس لسلعة محل الاحتكار لمدة.

(لعور، ٢٠١٤: ٢٥-٢٧)

اهتمام النظرية الاقتصادية بالتوصل إلى مقاييس لتحديد درجة الاحتكار السائد في السوق، وكانت أهم هذه المقاييس كما يلي:

١-مقاييس درجة الاحتكار: مما سبق يمكن القول بأن العنصر الاحتكاري في السوق يتزايد كلما قل عدد البائعين أو المنتجين والعكس صحيح وبالتالي تكون أعلى درجات الاحتكار في حالة الاحتكار التام، ثم تتناقص عنها في حالة الاحتكار الثنائي، ثم احتكار القلة، ثم المنافسة

الاحتكارية، ثم المنافسة الكاملة، حيث يتغلب عنصر المنافسة على عنصر الاحتكار في السوق فيتلاشى تمامًا. (حسين عمر، ١٩٦٢)

٢-مقياس نسبة العرض الكلي: هذا المقياس يربط بين حجم أو نسبة سيطرة المنشأة على السوق ودرجة المنافسة السائدة في هذا السوق، فهو مقياس يحدد النسبة التي يتحكم فيها منتج واحد أو قلة أو مجموعة من المنتجين من العرض الكلي لسلعة معينة في السوق.

٣-مقياس عدد البائعين: لما كانت درجة الاحتكار تتزايد مع قلة عدد البائعين والعكس صحيح، فإن هذا المقياس يضع رقمًا قياسيًا لدرجة الاحتكار، وهو عبارة عن مقلوب عدد البائعين المتنافسين في السوق و. هذا المقياس يعطي قيمًا تتراوح بين الواحد الصحيح في حالة الاحتكار التام وبين الصفر في حالة المنافسة الكاملة.

٤-مقياس مقارنة الثمن بالتكلفة الحدية: تقوم فكرة هذا المقياس على مقارنة الثمن السائد في السوق للسلعة محل الاحتكار بالتكلفة الحدية لإنتاجها، حيث تحسب درجة الاحتكار كما يلي :

$$\textbf{درجة الاحتكار} = \frac{\textbf{الثمن} - \textbf{التكلفة الحدية}}{\textbf{الثمن}}$$

وكلما كان الفرق بين الثمن والتكلفة الحدية كبيرًا كلما كانت درجة الاحتكار كبيرة والعكس صحيح . (ذو النون والبيلي، ٢٠١٦: ٧)

خامسًا: التعصب كأحد أشكال اضطراب التدافع

[١] التعصب الديني

حيث الايمان بأن نجاح الإنسان في حياته يتوقف على اعتناقه دينا معينا دون سواه، والتعاطف مع الأشخاص يدينون بالدين نفسه عندما يقعون في مأزق،

وذلك بتقديم المساعدة لهم، والثقة والصادقة والمصاهرة فيما بينهم، والتحمس لمناصرة الدين والدفاع عنه، والصدق مع أبناء الدين نفسه، والالتزام بأداء الشعائر الدينية في أوقاتها، والنفور ممن يعتنقون دينًا آخر، أو الغيظ الشديد منهم، وغير مسموح لهم إقامه علاقات مع أفراد الدين الآخر، سواء بشكل علاقات صداقة، أو علاقات عمل، أو علاقات تتصل بتقديم أو تلقي خدمات معينة.

(بنيه،٢٠١١: ١٨)

أنماط التعصب الديني:

- التعصب الإرادي: وهو تعصب تأتي عن طريق التحصن من قبول فكر الآخر ويتٌم رفضه حتى أن كان هنالك منطق أو حجة عقلية.
- التعصب الفكري: فالتعصب الدينيٌ يتٌجه في أغلب الأحيان نحو معتقدات نمطية يغلب فيها الفكر المتصلب إلى حد التحجر الذي يصاحبه الانغلاق الذهني الذي يقاوم التغيير بطريقة غير منطقية تأنف منها كل الديانات السماوية.

أهم الأسباب التي تؤدي إلى التعصب:

- الانحراف عن معايير العدالة والعقلانية.
- غلبة مفهوم التعصب عن مفهوم المواطنة.
- الجهل بالدين وأصوله وقواعده ومقصده.
- مقاومة التغيير والاستكانة.
- عدم الاعتراف بالآخر.
- العوامل النفسية والاجتماعبة.
- العوامل السياسية والاقتصادية.
- غياب النظرة العلاجية لظاهرة التعصب الديني.
- محدودية الثقافة الدينية، وعدم القراءة المتعمقة في أصول وجوهر العقيدة.

- تفسير العقيدة وفق المصالح الفردية أو الجماعية.

(إسماعيل،٢٠١٧: ١١–١٣)

[٢] التعصب الرياضي:

هي حالة حال أنواع التعصب الأخرى فهي فكرة خطأ يصاحبها انفعال زائد يتبعه في كثير من الأحيان سلوكيات عدوانية ضد من يعارضون الفكرة. والمشكلة هنا عندما تتسع دائرة التعصب لتشمل مجموعات بدل من أفراد وبالتالي تتولد لدى أفرادها مشاعر البغض والكره والعدوان اتجاه مشجعي الفرق الأخرى المعارضين لتلك المجموعة في آراءها وأفكارها. (حامد،٢٠١١: ١٥)

والتعصب الرياضي بوصفه شكل من أشكال اغضي يعد مشكلة نفسية واجتماعية تشكل خطورة على الفرد والمجتمع على حد سواء لأنها تصيب المجتمع بالخلل وبالتالي تعليقه عن أداء وظائفه فهو يقود إلى الكثير من التصرفات والمخالفات غير الأخلاقية والظواهر السلبية المصاحبة لعملية التشجيع واستخدام الكلمات البذيئة البعيدة كل البعد عن الذوق وقد يصل الأمر إلى الاعتداء والتدمير والحرق وحتي إلى القل في الكثير من الأحيان.

مؤشرات التعصب الرياضي:

أ. التوتر والقلق النفسي.

ب. عدم قبول الرأي الآخر.

ج. التحيز للرأي.

د. سرعة الغضب.

هـ. عدم التمتع بالروح الرياضية.

و. العيش في أوهام والإيمان بصحتها.

ز. قلة الأصدقاء.

ح. لون فريقه المفضل يتحكم في حياته.

ط. ثقافته هشة. (العتيق،٢٠١٧ :٢٥-٢٨)

أهم الأسباب التي تسهم في انتشار التعصب لدى الجمهور الرياضي وهي كالتالي:

- المواقع الإلكترونية، والمعلومات المغلوطة.
- الأقوال والأفعال غير المتزنة وغير الصادقة.
- المواجهات في المدارس والمدرجات والشوارع.
- اللوحات الاستفزازية بالعبارات التي تحملها.
- ظاهرة الرشاوي.
- انتشار المراهنات.
- تزييف الحقائق.
- حب التسلط.
- ضعف التحكيم.
- عدم وضوح اللوائح والقوانين وتناقضها، والتفاوت في تطبيقها.
- ضعف اللجان والجهات صاحبة القرار (العتيق،٢٠١٧ : ٣١-٣٢)

الأسباب المؤدية إلى التعصب الرياضي:

لاشك أن معالجة أي ظاهرة تبدأ من تحليل الأسباب والعوامل المؤدية إليها، ويمكن الاتفاق على أن العناصر التي قد تسهم إسهامًا كبيرًا في التعصب الرياضي تتمثل في الآتي:

أولاً: أسباب تتعلق بالجمهور:

- تنشئة الصغار على التعلق بناد معين.
- نقص الثقافة الرياضية لدى المشجع الرياضي.

- قلة وجود القدوة من الرياضيين ولإداريين في الأندية.
- التصرفات المسيئة لرابطة الجماهير في الأندية.
- حب إيذاء الآخرين واستغلال اللقاءات الرياضية لهذا الغرض.
- حب الذات التي تسهم في عدم قبول الرأي الآخر وتقبل النقد الإيجابي.

ثانياً: أسباب نفسية وصحية:

حينما يتعرض الفرد إلى ضغوط من قبل الأسرة والأصدقاء والمجتمع؛ فإن ذلك يسهم في اللجوء إلى القيام بمظاهر شد الانتباه والتصرف ببعض الأعمال التي يشعر بأنها قد تكون نوعًا من التنفيس على ما يشعر به من قلق.

ثالثاً: أسباب تتعلق بوسائل الإعلام:

- تأثير الإعلام المقروء أو المسموع أو المشاهد على انتشار ظاهرة التعصب.
- قلة الوعي بأهمية الرياضة ودورها في حياة الفرد والمجتمع.
- التأثر بما يكتب في عناوين الصحف أو أعمدة الكتاب الرياضيين أو البرامج الرياضية؛ خاصة التي تثير جانب التعصب بين جماهير الأندية.
- تقصير الإعلام في القيام بواجبه في غرس مبادئ الأخلاق الرياضية بين الجماهير.

رابعاً: أسباب تتعلق بالكيانات الرياضية:

- عدم القيام بواجب التوعية.
- عدم تحقيق بعض الأندية للانتصارات والبطولات.
- التصريحات الاستفزازية غير المدروسة من قبل المسؤولين في الأندية واتحادات الكرة ولجان التحكيم.
- تقديم المصلحة الخاصة على المصلحة العامة.

- الصراع التنظيمي داخل أندية والاتحادات الرياضية.
- عدم الإلمام الكافي بالمعاني الحقيقية للتنافس الرياضي الشريف، وعدم التمتع بالروح الرياضية التي تتقبل الخسارة.
- عدم كفاءة جهاز التحكيم الرياضي. (العتيق، ٢٠١٧: ٣٨-٥٢)

يتضمن سلوك الفرد المتعصب ثلاث جوانب أساسية "الجانب الإدراكي"، وله ثلاث مستويات (الرأي – المعتقد- الاتجاه)، أما "الجانب العاطفي"، ويرتبط بحالة الانفعال الشديد التي تؤثر على تفكير المتعصب، فتجعله لا يدرك أو يستبصر الحقائق الواضحة بشأن مهارة أو قدرات المنافس بالنسبة لإمكانات فريقه، بينما" الجانب النزوعي" يبرز الجانب الإدئي للعمل الذي يقوم به نحو الآخرين.
(محمد وعيد، ٢٠٠٧: ٨٢-٨٥)

سادسًا: الثأر كأحد أشكال اضطراب التدافع

هو دافع يُلزم الفرد من عبية خاصة بالانتقام أي الثأر لاحد أقربائه ممن قتله، ويقول الميداني بأنه "الحقد، والعداوة، وطلب مكافأة بجناية جنبت، وقال لا ينام إلا من أثأر"، أي من اراد الثأر حرم على نفسه النوم كما يحرموا المطيبات أو القرب من النساء حتى ينالوا من قاتل قريبهم، وعندما يدرك بثأره يحل على نفسه الطيبات. (الحلفي، ٢٠١٣ :٩)

ويمكن تعريفه أيضًا بأنه: عداوة تدفع الأطراف إلى قتل بعضهم البعض ثأرًا، وأنه ليس مجرد جريمة قتل ترتكب عشوائيًا لإشباع رغبة في الإنتقام أو القصاص لجرم سابق، بل هو نظام اجتماعي متماسك له ملامحه الأساسية وقوانينه الخاصة التي تحكمه، والتي تميزه عن جرائم القتل العادية.

إن الاجراءات التي تتخذ من قبل الفرد أو الجماعة على حد سواء ضد فرد أو جماعة أخرى بقصد الثأر، ماهي إلا شفاء للغليل، وارضاء للضمير وعلى

الرغم مما تسببه من مشكلات اجتماعية كثيرة ومثيرة الا انها تثلج صدر من كابد معاناه القتل، وعاش ذروة مأساته، ورسم صورة خيالها البشع في سجل ذكرياته الحزينة المؤلمة.

كان الثأر شريعة مقدسة عند العرب فالعربي لا يهدأ له بال إذا لم يأخذ به من أجل الحظوة بمكانه اجتماعية متميزة يظهرا رد الفعل السريع في القتل، تعزيزا لتلك المكانة، إنه سلوك ثوري، قوري له آثاره الإيجابية سواء من جهة الأمن أم من المنظور الاجتماعي والاقتصادي، فهو يؤدي إلى الأمن والطمأنينة والاستقرار النفسي ويحقق الضبط الاجتماعي في ظل فقدان السلطة المركزية.
(الأحبابي،٢٠٠٣: ٩-١١)

والثأر هو جريمة يرد بها جماعة المجني عليه أو أحد أفرادها على جريمة قتل سابقة قام بها أحد أفراد حماية الجاني من قبل ولا تعرف الجماعات المحلية في تلك المجتمعات بأنه جريمة القتل جريمة عامة تخص المجتمع كله. وطبقًا لقواعد وأحكام القانون السائد، ولكن ترى أن حق إنزال العقاب على المعتدي والثأر منه أمر يخص فقط الحماية القرابية المعتدى عليها وهي بذلك تطبق قانونها العرفي السائد وذلك طبقًا لثقافتها الفرعية والتي تختلف عن الثقافة العامة في المجتمع كله.

النظريات المفسرة للثأر:

[١] نظرية الصراع الثقافي والاجتماعي
Culture and Social Conflict theory

يعد الصراع الثقافي تصادمًا بين عناصر ثقافتين وأهم هذه العناصر العادات والتقاليد والقيم ويعد "ثورستين سيللين Thurston Sellin" أكثر الباحثين شمولاً بنظرية الصراع الثقافي والتي يلخصها بأنها جريمة تنشأ نتيجة الصراع

الثقافي حيث الصراع بين المعايير السلوكية والقيم المختلفة التي ينتمي إليها الأفراد.

ويمكن أن نربط بين هذه النظرية وبين تقاليد وعادات وثقافات الثأر في الصعيد نجد أن التقاليد لها قوة تفوق قوة القانون فإن الثأر Vendetta هو القصاص باليد أي تطبيق قانون العين بالعين والسن بالسن فنجد المجني عليه يتمسك بتطبيق القصاص بنفسه ونجد الأم قد ترضع طفلها وتُنشئه على الأخذ بثأر أبيه عالمة بأنها قد تفتقده هو الآخر.

ومن قوة الثأر أنه لا يسقط بالزمن ولا تمحوه السنين وقد يتربص صاحب الثأر بغريمه سنوات طويلة وقد ينتقل الثأر من جيل إلى جيل آخر ونجد من تقاليد الثأر أنه يمتنع صاحبه عن تبليغ السلطات وعدم اتهام الجاني حتى يأخذ الثأر بيده وأن يمتنع عن قبول العزاء ويطلق ذقنه ويمتنع عن الاتصال بامرأته حتى تمام الثأر.

[٢] نظرية الحتمية الاقتصادية Economic Determinism في سببية الجريمة:

تدور فكرة ماركس الأساسية حول أن التباين الاجتماعي Social Inequality والفقر Poverty الناتج عن الحرمان، من حق الملكية لوسائل الإنتاج والنظام الذي يستغل الطبقات العاملة يكون سببًا في تحول الناس تجاه الجرمية ومن هذه الفكرة انطلق علماء الإجرام في دراستهم لسببية الجريمة مشيرين إلى أن معدلات الجريمة تتأثر بالظروف الاقتصادية.

وتأسيسًا لما سبق تقع الجريمة إما نتيجة لإخفاق الشخص في كبت نزعاته الغريزية ولا يعبر المجرم عن نزعاته تعبيرًا مباشرًا وقد يفلح في كبتها وإسقاطها

في اللاشعور ولكنه مع ذلك يعود إلى التعبير عنها رمزيًا بسلوك يعتبر جريمة في القانون على ذلك ترجع الجريمة إلى:

إما لعجز الأنا عن الصمود لما تلقاه من ضغط الهو من جهة وحراسة الأنا العليا من جهة أخرى، وإما إلى تخلف الأنا العليا ذاتها أو ضعفها بحيث لا تجد الأنا ملهمًا يمدها بروح القوة.

قائمة المراجع

١. إبراهيم (زكريا). (١٩٦٧). مشكلات فلسفية ٢ مشكلة الإنسان. القاهرة: مكتبة مصر.

٢. إبراهيم (زكريا). (١٩٧١). مشكلات فلسفية ٧ مشكلة الحياة. القاهرة: مكتبة مصر.

٣. إبراهيم (زكريا). (١٩٨٤). مشكلات فلسفية ٥ مشكلة الحب. الطبعة الثالثة. القاهرة: مكتبة مصر.

٤. إبراهيم (زكريا). (١٩٩٠). مشكلات فلسفية ٨ مشكلة البنية. القاهرة: مكتبة مصر.

٥. أبو حطب (فؤاد) وصادق (آمال). (٢٠٠٢). علم النفس التربوي. الطبعة السادسة. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

٦. الأحبابي (عارف). (٢٠٠٣). الثأر في الشعر العربي قبل الإسلام. رسالة دكتوراه، جامعة تكريت، العراق.

٧. أسرة المواد العلمية بمدارس الهداية وطيبة الإسلام الأهلية. (٢٠١٢). مهارات الحوار الفعال كأحد الأساليب التربوية وزارة التعليم: مكتب التعليم بشرق الدمام.

٨. إسماعيل (إسماعيل). (٢٠١٧). التطرف والتعصب الديني: أسبابه والعوامل المؤدية اليه. المجلة الليبية العالمية. ٢٨، ١-٢٠.

٩. آل موسي (علي). (٢٠١٥). نحو ثقافة قرآنية ما الذي يحرك المجتمع. شبكة مزن الثقافية

١٠. اماني عبد الفتاح. (٢٠١٢). مهارات الاتصال والعلاقات الإنسانية. مكتبة الانجلو، القاهرة.

١١. بن عون (الزبير). (٢٠١٢). تحليل سوسيولوجي للصراع في الهيئات المحلية المنتخبة "دراسة حالة المجالس الشعبية المحلية المنتخبة بولاية الأغواط". رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقله الجزائر.

١٢. بن يطو (آمال). (٢٠١٠). حكاية المستهلك من الاحتكار في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي، جامعة الجزائر، كلية الحقوق.

١٣. بوبر (كارل). (٢٠٠٣). أسطورة الإطار في دفاع عن العلم والعقلانية (ترجمة: يمني الخولي). تحرير مارك أ نترونو. الكويت: مطابع السياسة.

١٤. بوحجي (محمد). (٢٠١٣). بذور على طريق التنافسية (نحو جيل جديد من الحكومات المُلهمة). منتدي المعارف.

١٥. بوضياف (عبير). (٢٠٠٧). سوق الأوراق المالية في الجزائر. جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الاقتصادية والتسيير.

١٦. بوليمان (نجيب). ٢٠٠٨. الجريمة والمسألة السوسيولوجية دراسة بأبعادها السوسيوثقافية والقانونية. رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع والديمغرافيا.

١٧. توق (محي الدين) وآخرون. (٢٠٠٣). أسس علم النفس التربوي. ط٣. عمان–الأردن: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٨. تيماشيف (نيقولا). (١٩٧٤). النظرية الاجتماعية : الطبيعة والنمو، ترجمة محمد الجوهري وآخرون. القاهرة: دار المعارف.

١٩. جادو (أميمة). (٢٠٠٥). العنف المدرسي بين الأسرة والمدرسة والاعلام. القاهرة: دار السحاب للنشر والتوزيع.

٢٠. الجبالي (حسني). (٢٠٠٣). علم النفس الاجتماعي بين النظرية والتطبيق. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.

٢١. حامد عبدالسلام زهران. علم النفس الاجتماعي. (٢٠٠٠). عالم الكتب، القاهرة.

٢٢. حامد (رجب). (٢٠١١)، التعصب الرياضي سم يقلب الحب حقدا، مجلة ارامكوا. السعودية، موقع القافلة.

٢٣. حدة (لوناس). (٢٠١٣). علاقة التحصيل الدراسي بدافعية التعلم لدى المراهق المتمدرس. رسالة ماجستير، جامعة أكلي محند أولحاج البويرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

٢٤. حساني (أحمد). (٢٠٠٩). دراسات في اللسانيات التطبيقية. الجزائر: ديوان المطبوعات الجماعية. ط٢.
٢٥. حساني (أحمد). (٢٠٠٩). دراسات في اللسانيات التطبيقية. الجزائر: ديوان المطبوعات الجماعية. ط٢.
٢٦. حسن (عبدالباسط). (١٩٩٠). أصول البحث الاجتماعي. ط١١. القاهرة: مكتبة وهبه.
٢٧. حسني الجبالي. (٢٠٠٣). علم النفس الاجتماعي بين النظرية والتطبيق. مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.
٢٨. حسونة (عبدالباسط) والعفيف (محمود). (٢٠١٤). إدارة المفاوضات. جامعة الباحة، كلية العلوم الإدارية والمالية.
٢٩. الحسيني (هيثم). (١٤٣٥). مقاربة نقدية للنظريات المادية في واقعية "فلسفة التاريخ". موقع الإمام الشيرازي.
٣٠. حقيبة مهارات الحوار الفعال . جامعة أم القري، المعهد العالي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ٧: ٢٠
٣١. الحقيل (إبراهيم). (٢٠١٢). من سنن الله تعالي في خلقه (٢) مُدافعة بعضهم بعضا.
٣٢. حكيمة (أيت)، فتيحة (بلعسلة) ومحمد (ميرود). (٢٠١١). مظاهر وأسباب العنف في المجتمع الجزائري من منظور الهيئة الجامعية. فعاليات الملتقي الوطني حول دور التربية في الحد من ظاهرة العنف. جامعة الجزائر. ١١-٢٩.
٣٣. الحلفي (صبيح). (٢٠١٣). الثأر في العصر الأموي. رسالة ماجستير، جامعة البصرة : العراق.
٣٤. حلمي ساري ومحمد حسن. علم النفس الاجتماعي. (٢٠١٠). الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، القاهرة.
٣٥. الحليبي (خالد). (٢٠١٠) مهارات التواصل مع الأولاد كيف تكسب ولدك؟. الرياض: مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.

٣٦. حمزة (راوية). (٢٠١٦). ملامح النظرية السلوكية في ظل منهاج تعليمية أنشطة اللغة العربية في الطور الأول من المرحلة الابتدائية في الجزائر. جامعة محمد خضر بسكرة، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية.

٣٧. حمزة (راوية). (٢٠١٦). ملامح النظرية السلوكية في ظل منهاج تعليمية أنشطة اللغة العربية في الطور الأول من المرحلة الابتدائية في الجزائر. جامعة محمد خضر بسكرة، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية.

٣٨. الخالدي (خليل). (٢٠١١). التربية ودورها في التنمية المجتمعية: دراسة اجتماعية تحليلية. المؤتمر العلمي الرابع لكلية العلوم التربوية بجامعة جرش (التربية والمجتمع: الحاضر والمستقبل). الأردن:ص٣٠٩- ٣١٥.

٣٩. الختاتنة (سامي). (٢٠١١). علم النفس الإداري، عمان: دار مكتبة الحامد.

٤٠. الخطيب (عبدالله). (٢٠١٧). الاسلام والتعايش السلمي .

٤١. دروزه (أفنان). (٢٠٠٦). المناهج ومعايير تقييمها، نابلس -فلسطين: جامعة النجاح الوطنية.

٤٢. الدريويش (أحمد). (. .). الحوار مفهومه ضوابطه وآدابه. الرياض.

٤٣. دوسون (روجر). (١٩٩٥). أسرار التفاوض الفعال. مجلة خلاصات كتب المدير ورجال الأعمال. العدد ٢٤. ١-٨ .

٤٤. ذو النون (عز الدين)و البيلي (خالد). (٢٠١٦). دور سياسات حماية المنافسة ومنع الاحتكار في ظل الاقتصاد الحر "أهم التجارب الدولية مع دراسة خاصة للحالة السودانية"، مجلة العلوم الاقتصادية. العدد ١٧ (٢) . ص٣٥: ٥٤.

٤٥. الربيعي (مكي). (٢٠٠٥). أسباب العودة للجريمة. مجلة أهل البيت عليهم السلام، العدد (٢). ١٠٢:١١٣

٤٦. رزق (علي). (١٩٩٤). نظريات في أساليب الاقناع دراسة مقارنة. بيروت: دار الصفوة.

٤٧. رمزية الغريب. (١٩٧٧). التعلم (دراسة نفسية- تفسيرية -توجيهية)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة السابعة.

٤٨. زهران (حامد). (٢٠٠٠). علم النفس الاجتماعي. القاهرة: عالم الكتب.

٤٩. زهران (حامد). (١٩٩٨). التوجيه والارشاد النفسي. القاهرة: عالم الكتب.
٥٠. الزهراني (خالد). (٢٠٠٧). سنة التَّدافُع في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية. رسالة ماجستير، جامعة أم القري، كلية الدعوة وأصول الدين.
٥١. ساري (حلمي) وحسن (محمد). (٢٠١٠). علم النفس الاجتماعي. القاهرة: الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات.
٥٢. سعود (علي). (٢٠٠٢). التمويل الدولي. الأردن: دار الكندي
٥٣. سلطان (جاسم). (٢٠٠٨). قواعد في الممارسة السياسية. القاهرة: مؤسسة أم القري للترجمة والتوزيع.
٥٤. سليم (فتحي) وغزال (زياد). (٢٠٠٨). حكم الشرع في البورصة. عمان: دار وضاح للنشر والتوزيع.
٥٥. سليم (محمد). (١٩٩٨). تحليل السياسة الخارجية. القاهرة: مكتبة النهضة العربية. ط٢.
٥٦. سيلرز (كرستين) واكرز (رونالد). (٢٠١٣). نظريات علم الجريمة المدخل والتقييم والتطبيقات. ترجمة ذياب البداينة ورافع الخريشة. الأردن: دار الفكر.
٥٧. شرفاوي (حاج). (٢٠١٢). علاقة البنية المعرفية الافتراضية بالبنية المعرفية الملاحظة دراسة تحليلية في ضوء نظرية بياجية لدى عينة من طلبة المتوسطات والثانويات. جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم النفس.
٥٨. شرفاوي (حاج). (٢٠١٢). علاقة البنية المعرفية الافتراضية بالبنية المعرفية الملاحظة دراسة تحليلية في ضوء نظرية بياجية لدى عينة من طلبة المتوسطات والثانويات. رسالة دكتوراه، جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية.
٥٩. شلابي (زهير). (). الصراع التنظيمي وأساليب إدارته في المنظمة. الجزائر: المركز الجامعي.
٦٠. الشمري (صاحب). (٢٠١٢). أسباب العنف لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية من وجهة نظر المعلمين والمعلمات. مجلة دراسات تربوية، العدد (١٨)،٢١٩-٢٦٢

٦١. شمس الدين (جلال). (٢٠٠٣). علم اللغة النفسي (مناهجه ونظرياته وقضاياه المناهج والنظريات. الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجماعية.
٦٢. شمس الدين (جلال). (٢٠٠٣). علم اللغة النفسي (مناهجه ونظرياته وقضاياه المناهج والنظريات. الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجماعية.
٦٣. الشيب (هادي)ويحيي (رضوان). (٢٠١٧). مقدمة في علم السياسة والعلاقات العامة. ألمانيا : المركز الديموقراطي العربي.
٦٤. الشيباني (بدر). (٢٠٠٠). سيكولوجية النمو: تطور النمو من الإخصاب إلى المراهقة. الكوي: مركز التراث والمخطوطات والوثائق.
٦٥. الشيباني (بدر). (٢٠٠٠). سيكولوجية النمو: تطور النمو من الإخصاب إلى المراهقة. الكوي: مركز التراث والمخطوطات والوثائق.
٦٦. صالح محمد علي. (٢٠٠٥). علم النفس التربوي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، الطبعة الرابعة.
٦٧. الصداق (سحر). (٢٠٠٠). قيم العنف في صحافة الأطفال العربية بالتطبيق على ما يقرأه الطفل المصري دراسة للمضمون والقائم بالاتصال والجمهور، رسالة ماجستير، كلية الإعلام .
٦٨. الصرايرة (طالب). (٢٠٠٦). سُنة التَّدافُع بين الحق والباطل في القرآن الكريم. رسالة دكتوراه، جامعة دمشق، كلية الشريعة.
٦٩. طبشي (بلخير). (٢٠٠٧). الاتجاه نحو مهنة التدريس وعلاقته بالدافعية للإنجاز. رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
٧٠. العابدين (محمد). (٢٠٠٩). دور مؤسسات المجتمع المدني في تنمية المجتمع المحلي. رسالة دكتوراه، معهد الدراسات والبحوث التربوية.
٧١. العارف (يوسف). ( ). في آفاق النص التاريخي قراءات في الدرس التاريخي الحديث والمعاصر. الرياض: دار أصالة
٧٢. عبد الحليم منسي. (١٩٩٠). علم النفس التربوي للمعلمين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

٧٣. عبد الفتاح (أماني). (٢٠١٢). مهارات الاتصال والعلاقات الإنسانية. القاهرة: مكتبة الانجلو.

٧٤. عبد المعطي (عبد الباسط). (١٩٩٥). اتجاهات نظرية في علم الاجتماع. القاهره: عالم المعرفة.

٧٥. عبدالله (محاسن). (). التعايش في القرآن الكريم دراسة تأصيلية. المؤتمر القرآني الدولي السنوي مقدس ٧. السعودية.

٧٦. عبده (أشرف). (٢٠٠٠). الارشاد النفسي بين النظرية والتطبيق. الرياض: مكتبة الرشد.

٧٧. العتيق (محمد). (٢٠١٧). التعصب الرياضي أسبابه وآثاره وسبل معالجته بالحوار. الرياض: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

٧٨. عدس (عبدالرحمن). (٢٠١٢). مبادئ علم النفس. عمان:دار الفكر للنشر والتوزيع

٧٩. عسلي (نورالدين). (٢٠٠٩). إدارة الصراع واثرها على الرضا الوظيفي للعاملين"دراسة حالة مؤسسة مطاحن الحضنة- ولاية المسيلة". رسالة ماجستير، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة الجزائر.

٨٠. عطيه (محسن). (٢٠٠٨). الإستراتيجيات الحديثة في التدريس الفعال. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.

٨١. عطيه (محسن). (٢٠٠٨). الإستراتيجيات الحديثة في التدريس الفعال. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.

٨٢. عقيل (عبدالرحمن). (2017). سنة التَّدافُع (الخامسة).

٨٣. علوش (محمد). (٢٠١٦). أهمية الحوار في تحقيق التدافع. شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات.

٨٤. علي (أمل) والياسري (أكرم). (٢٠٠٧). استراتيجيات ادارة الصراع التنظيمي مع استراتيجيات مقترحة لإدارة الصراع في منظمات الأعمال العراقية. مجلة أهل البيت عليهم السلام العدد (٥)، ١١٦ : ١٣٥.

٨٥. علي (صالح). (٢٠٠٥). علم النفس التربوي. الطبعة الرابعة. عمان– الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
٨٦. عمارة (محمد). (١٩٩٨). الحضارات العالمية تدافع؟. . أم صراع؟؟. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
٨٧. العناني (حنان). (٢٠٠١). علم النفس التربوي، الأردن: دار صفاء للنشر والتوزيع.
٨٨. عودة (نبيلة). (٢٠١٧). صلة الإدارة التربوية بالعلوم الاجتماعية: دراسة تطبيقية على علم النفس، السودان، جامعة ام درمان الاسلامية.
٨٩. غالب (عبد السلام). (. . . . . .). أثر الحوار في التعايش مع الاخر. جامعة عليكرة الاسلامية. الهند www.alukhah.net
٩٠. غباري (ثائر) وشعسرة (خالد). (٢٠١٠). علم النفس اللغوي. عمان: مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع.
٩١. الغريب (رمزية). (١٩٧٧). التعلم (دراسة نفسية– تفسيرية –توجيهية). ط٧. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
٩٢. فايد (محمد). (٢٠٠٨). التعلم بطريقتي التعاون والتنافس وأثرهما على تحصيل الطلبة في مادة الرياضيات في الصفين الخامس الأساسي والأول ثانوي واتجاهاتهم نحو كل من الطريقين. رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا.
٩٣. فؤاد أبو حطب وامال صادق. (٢٠٠٢). علم النفس التربوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة السادسة.
٩٤. قرقر (مجدي). (٢٠٠٢). التَّدافُع الحضاري بديلا عن الصراع.
٩٥. قطامي (يوسف) وقطامي (نايفة). (٢٠٠٠). سيكولوجية التعلم الصفي. عمان– الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع.
٩٦. قطامي (يوسف). (٢٠٠٠). نمو الطفل المعرفي واللغوي. الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع.

٩٧. كامل (سهير). (٢٠٠٨). علم النفس الاجتماعي بين التنظير والتطبيق. الرياض: دار الزهراء للنشر والتوزيع.
٩٨. كريشة (عبدالرحيم). (٢٠٠٣). دراسات في علم اجتماع التنمية. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث
٩٩. لعور (هدي). (٢٠١٤). الاحتكار وعقوبته بين الشريعة الاسلامية والقانون الوضعي. رسالة ماجستير، جامعة الوادي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية.
١٠٠. لغتيري (مصطفي). (٢٠١٣). السعادة والتوازن النفسي. مقال بديوان العرب.
١٠١. مجموعة من الأكاديميين العرب. (٢٠١٢). فلسفة التاريخ جدل البداية والنهاية والعود الدائم. تحرير (علي المحمداوي). بيروت: ابن النديم للنشر والتوزيع.
١٠٢. محسن (ألاء). (٢٠١٥). دور القائد السياسي في صنع السياسة الخارجية (الرئيس فلاديمير بوتين نموذجا). رسالة ماجستير،كلية العلوم السياسية، قسم العلاقات الدولية
١٠٣. المحلبدي (مزنة). (٢٠١١). التعايش السلمي في إطار التعددية المذهبية داخل المجتمع المسلم وتطبيقاته التربوية في الأسرة والمدرسة. رسالة ماجستير، جامعة أم القري، كلية التربية.
١٠٤. محمد (صدقي)و عيد (دلال). (٢٠٠٧). مدخل لدراسة سلوك العدوان والتعصب والإنتماء في مجال الرياضة والتربية البدنية (أسس علمية – توجهات إرشادية). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
١٠٥. محمود (سمير). (٢٠٠٤). اثر استخدام التغذية الراجعة فى حل مشكلة التوازن لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية. مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية. ٢ (٣). ٥١: ٨٣.
١٠٦. محي الدين توق وآخرون. (٢٠٠٣). أسس علم النفس التربوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الثالثة.
١٠٧. مصباح (زايد). (٢٠٠٢). السياسة الدولية بين النظرية والتطبيق. بيروت: دار الرواد

١٠٨. منسي (محمود) وصالح (أحمد)، ناجي (محمد) والجندي (أمسية) . (٢٠٠٢). علم النفس التربوي والفروق الفردية للأطفال، الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب.
١٠٩. منسي (عبدالحليم). (١٩٩٠). علم النفس التربوي للمعلمين. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
١١٠. مهارات الحوار. أكاديمية قادة المستقبل. جمعية أسرة.
١١١. المياحي (أحمد). (٢٠١٤). التعصب الرياضي لدى طلبة الجامعة. مجلة العلوم التربوية والنفسية العراق. العدد (١٠٦). ٥٣٦: ٥٦٦.
١١٢. ميلز (هاري). (٢٠٠١). فن الأقناع كيف تسترعي انتباه الاخرين وتغير آرائهم وتؤثر عليهم. السعودية: مكتبة جرير.
١١٣. الناشر (محمد). (٢٠٠٢). التعامل بالأسهم،الأردن: دار الجامعة العربية.
١١٤. النعيمي (أحمد). (٢٠٠٦). السياسة الخارجية،بغداد: مطبعة جامعة بغداد.
١١٥. نيرنبرج (جيرارد آي) وكاليرو (هنري إتش). (٢٠١٠). الفن الجديد للتفاوض كيف تنجز أي صفقة. السعودية: مكتبة جرير
١١٦. الهذال (عويد). (٢٠١٦). علم النفس الصناعي والتنظيمي. الكويت: دار الفكر.
١١٧. الهنداوي (علي). (٢٠٠٢). مبادئ أساسية في علم النفس. عمان: دار حنين.
١١٨. وزيري (أحمد). (٢٠١٢). ديناميات البناء النفسي لدى عينة من الشباب ذوي النزعة نحو الثأر. رسالة ماجستير، كلية التربية،جامعة عين شمس.
١١٩. يوسف (حاج). (٢٠٠٢). التعصب والعدوان في الرياضة"رؤية نفسية اجتماعية". القاهرة:مكتبة الأنجلو.
١٢٠. يوسف قطامي ونايفه قطامي. (٢٠٠٠). سيكولوجية التعلم الصفي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن.
١٢١. يوسف (جمعه). (٢٠٠٧). ادارة الضغوط. القاهرة: مركز تطوير الدراسات العليا والبحوث فى العلوم الهندسية.

١٢٢. يوسف (عبدالوالي). (٢٠١٤). ضوابط التفاعل الحضاري وسائله وآثاره التربوية. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

123. read30.amuntada.com
124. www.hrdiscussion.com

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات



أ.د/ خالد عبد الرازق النجار

- أستاذ علم النفس ورئيس قسم العلوم النفسية - كلية التربية للطفولة المبكرة جامعة القاهرة
- عضو اللجنة العلمية الدائمة للترقيات لجنة دراسات الطفولة منذ ٢٠١٢
- قام باعداد التقرير السنوي الاول عن الاعاقة في الوطن العربي ٢٠٠٣
- قام باعداد وثيقة معايير العمل مع ذوي الاعاقة السعودية ٢٠١٣
- عضوية الهيئة العلمية الاستشارية للعديد من المجلات العلمية المحلية والاقليمية
- له العديد من المؤلفات والبحوث في مختلف فروع علم النفس

التدافع... وثبة تأملية في بُعد المعنى والتأصيل للبحث والتفكير نحو تحقيق واحد من أهم أهداف العلم، وهو الفهم والتفسير لتلك الصيرورة الدينامية المتحركة والمتجددة والتي يجسدها المعني الضمني والمباشر لكلمة التدافع.

فمنْ منّا منْ لا يدفع غيره ومنْ منّا منْ هو ليس مدفوع من غيره، وتتواصل التدافعات لكي تشكل جملة أشكال التفاعل التي تحكم الفرد في علاقته بنفسه "المدفوعة نحو تحقيق أهدافها" وبين الآخرين المدفوعين نحو تحقيق أهدافهم، لتكون المحصلة شبكة معقدة من التدافعات بين البشر وبعضهم، فينجح من ينجح ويخفق من يخفق وفق نسق التدافعات وشدتها والعوامل الميسرة لتحقيقها ... وهذا هو جوهر البحث في علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد والسياسة.